الجامعة الإسلامية - غـــزة
عـمـادة الـدراسـات الـعـلـيـا
كـلـيـة أصـول الـديـن
قسم التفسير وعلوم القرآن

منهجيات الإصلاح والتغيير في سور (الأحزاب - سبأ - فاطر) دراسة موضوعية

إعداد الطالب

مصعب أحمد أبو حلبية

إشراف الأستاذ الدكتور

زكريا إبراهيم الزميلي

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن

1435هـ - 2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ...إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾

[هود: ٨٨]

إِهْدَاءٌ

إلى حبيبي وقرة عيني وشفيعي؛ سيدي رسول الله ﷺ، المُصلح الأول، ودليل المصلحين ..

إلى من أعطاني معنى الحب الأعظم لهذا الدين، ورباني على الحق وطريقه منذ الصغر، والذي لولا الله ثم دعمه ودعواته ما جلست هذا المجلس ولا قريباً منه؛ أبي الحبيب..

إلى من رسمت من رموش عينيها طريقي للعلم، وقدمت راحتي وخدمتي على نفسها؛ أمي الحبيبة..

إلى من سهرت معي، وساندتني لأُتمَّ هذا البحث؛ زوجتي الغالية، وإلى أول فرحتي؛ ابنتي البِكْر (ريم)..

إلى من تربيت في كنفهم، ومثّلوا لي عالمي الصغير؛ أشقائي وشقيقاتي الأحباب..

إلى من خطّوا طريق الإصلاح والتغيير بمداد دمائهم لا أقلامهم؛ الشيخ أحمد ياسين وإخوانه الشهداء..

إلى دعاة الإصلاح والتغيير في العالم بأسره، وخاصة في أرضي الحبيبة؛ غزّة العزة..

أُهدي هذا البحث المتواضع

شكر وتقدير

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، الحمد لله الذي أكرمني بإتمام هذا البحث، والصلاة والسلام على معلّم البشرية الخير، الهادي البشير والسراج المنير، النبي الأميّ الصادق الأمين؛ محمد بن عبد الله ﷺ.

اعترافًا مني لأهل الفضل بفضلهم، وانطلاقًا من تعاليم الإسلام التي تدعو إلى شكر الناس، واستناداً إلى قول الله ﷻ: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل: ٤٠] وإلى قول رسول الله ﷺ: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"[1]، فإنه يشرفني أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى كل من مدّ لي يد العون في إتمام هذه الدراسة، وأول كلمات الشكر إلى **فضيلة الأستاذ الدكتور/ زكريا إبراهيم الزميلي**، الذي شرُفت بقبوله الإشراف على رسالتي، فقدم كل عون، وما فتئ يقدم لي النصح، ويعطيني من بحر علمه الغزير، وأشكره على اهتمامه البالغ، حتى تخرج هذه الرسالة بأفضل هيئة، وأشكره على ملاحظاته وتوجيهاته الطيبة، وأسأل الله ﷻ أن يجزل له العطاء، ويجزيه خير الجزاء، ويجعل جهده هذا في ميزان حسناته.

كما أتقدم في هذا المقام بخالص شكري وامتناني للأستاذين الفاضلين:

الدكتور/ محمود هاشم محمود عنبر، والدكتور/ ماجد رجب العبد سكر

الذَين تفضلا مشكورَين بقبولهما مناقشة هذه الرسالة، وعلى كل إفادة أو نصيحة أو توجيه قدماه لي.

والشكر موصول إلى أعضاء الهيئة التدريسية بالكلية، الذين علّمونا بعضًا مما علمهم الله، فجزاهم الله كل الخير. والشكر موصول إلى جامعتي العريقة؛ الجامعة الإسلامية، صرح العلم الشامخ، وإلى كلية أصول الدين التي تفتح أبوابها للجميع، وتهتم بطلابها وطالباتها، لترتقي بهم في سلم العلوم، وأتقدم بشكري إلى عمادة الدراسات العليا بالجامعة لاعتنائها بطلابها، وتوفير كل ما تستطيع من أجل خدمتهم.

والشكر الجزيل موصول إلى من قدما لي كل العون، وأعطوني كثير عطفهما ودعمهما المادي والمعنوي والديّ الكرام –أطال الله أعمارهما–.

وأبرق بالشكر لزملاء الدراسة في مرحلة الماجستير الذين عشت معهم، فأفادوني وقدموا لي نصحهم، فبارك الله فيهم، وأختم بجزيل الشكر لكل من ساندني ولو بدعوة صادقة، وكل من شجعني خلال مشواري العلمي هذا.

فبارك الله فيكم جميعًا، وجزاكم الله عنّي خير الخير

([1]) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم: 1954، وقال: حديث حسن صحيح.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، الذي جعل القرآن نورًا، وأنزل فيه الخير والصلاح لأمة الإسلام في كل زمان ومكان، الحمد لله عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، والصلاة والسلام على معلم البشرية الخير، الهادي البشير، والسراج المنير، الأميّ الصادق الأمين محمد بن عبد الله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومن سار على دربه، واقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد:

فقد أنزل الله ﷻ القرآن على أمة العرب فوحدهم بعد تشتت وفرقة وقتال، فأصبحوا في ظل دين الله إخواناً قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ... وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ... ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقادت أمة الإسلام الأمم، وسادت العصور بفضل توجيهات هذا الكتاب العظيم، ويوم أن تركوه تخلفت أمة الإسلام عن ريادتها، وأصبحت فريسة لكل طامع ومحتل.

فما أحوجنا اليوم –نحن أمة الإسلام– إلى العودة إلى منهاج الله ﷻ القويم، الذي سُدنا به الأمم، وجعلناهم يدخلون في دين الله أفواجًا بفضل الله، ثم بفضل التشريعات الربانية العادلة في جميع جوانب الحياة الإنسانية، فقد جاء الإسلام مصححاً للمعتقدات الخاطئة التي كان يدين بها العرب، وكذلك جاء مصححًا للتوجيهات التربوية والأخلاقية الخاطئة التي كانت منتشرة عند العرب، وجاء –كذلك– مصححًا للتشريعات والسياسات التي كانت تتبع في العهود السالفة، وجاء ليدعو إلى المنهج الصحيح بأساليب متنوعة.

ولأن القرآن الكريم يحتوي هذا الكم الكبير من جوانب التغيير والإصلاح في الأمم كان لابد من الوقوف على هذه المنهجيات، وإيضاحها للناس، وبيان مدى صلاحية التشريع القرآني لكل زمان ومكان، وأنه الأفضل والأجدر لقيادة الأمة إلى بر الأمان.

ومن هذه المنطلقات السامية الراقية، عقدت العزم وتوكلت على الله ﷻ فكانت رسالتي بعنوان: **منهجيات الإصلاح والتغيير في ضوء القرآن الكريم من خلال سور (الأحزاب، سبأ، فاطر)**، وذلك في إطار دراسة تفسيرية موضوعية محكمّة.

أولاً: أهمية الموضوع:

1- تعلق هذا الموضوع بأشرف وأجل الكتب على الأرض، ألا وهو القرآن الكريم.

2- التعامل مع النص القرآني من حيث التدبر والتأمل، للوصول إلى أفضل منهجيات القرآن الكريم في الإصلاح والتربية والسياسة والأخلاق والعقيدة، وغيره..

3- هذا الموضوع يتعلق بالبحث عن عوامل رقي وتقدم المجتمعات وفق المنهج الرباني.

4- بيان صلاحية المنهج الإسلامي لكل زمان ومكان مهما كانت تطورات هذا الزمان.

5- معالجة الفساد والمعتقدات الخاطئة من خلال منهجيات التغيير والإصلاح المستوحاة من آي القرآن الكريم.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

1- خدمة كتاب الله ﷻ وذلك بدراسة موضوع مهم وذا فائدة للأمة.

2- إيجاد العلاج القرآني لكثير من المشكلات التي تواجه المجتمعات في عصرنا.

3- العمل على ترسيخ المفاهيم والأولويات لأساليب التغيير والإصلاح.

4- الوقوف على أسباب التغيير وكيفية الإصلاح كما وضحهما القرآن الكريم.

ثالثًا: أهداف البحث:

1- ابتغاء الأجر من الله ﷻ، والطمع في عفوه ومغفرته في الدارين.

2- الرقي والنهوض بالمجتمعات المسلمة من خلال التوجيهات الربانية في السور الثلاث محل البحث.

3- تلمس مواضع الإصلاح والتغيير التي احتوتها السور من عدة جوانب، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

4- العمل على إيجاد الحوافز للأمة للعودة إلى منهجها الأصيل، وكتابها الأشرف "القرآن الكريم" لما فيه من الخير والسداد في كل المجالات، وفي كل الأزمان.

5- إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة علمية محكمة تتناول الجديد في علم التفسير.

رابعًا: الدراسات السابقة:

عند البحث حول الكتابات في هذا المجال، وجد الباحث أن الدكتور صلاح سلطان قد كتب فيه من خلال عدة سور من القرآن الكريم، وهي: الكهف، يوسف، الصف، والفجر.

وكذلك أعدَّت كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة خطة لاستكمال الكتابة في هذا الموضوع ليشمل سور القرآن الكريم كلها، وكنت ممن تشرف بفضل الله للكتابة في هذا المشروع خدمة لكتاب الله ﷻ.

خامسًا: منهج البحث:

1- اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي والاستنباطي في سور (الأحزاب، سبأ، وفاطر).
2- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوها إلى أماكن وجودها في السور.
3- الرجوع إلى كتب التفسير القديمة والحديثة والوقوف على أقوال العلماء في تفسير الآيات.
4- تقسيم كل سورة إلى مباحث ومطالب مع وضع العناوين المناسبة لها.
5- استخراج منهجيات الإصلاح والتغيير من خلال السور الثلاث –محل البحث–.
6- ربط هذه المنهجيات بواقع الأمة حتى نصلح ونغير الأمة إلى ما هو أفضل.
7- تفسير الآيات التي تحتوي على المنهجيات تفسيراً موضوعياً مبسطاً.
8- شرح معاني الكلمات الغريبة والمصطلحات التي تحتاج إلى بيان، وذلك في الحواشي.
9- ذكر المصادر والمراجع في الحاشية، بذكر اسم الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة، وترك بقية مواصفات المرجع لتذكر في فهرس المراجع.
10- تخريج الأحاديث الواردة في البحث حسب الأصول مع بيان حكم العلماء عليها، عدا الوارد منها في الصحيحين.
11- ترجمة الأعلام والقبائل والبلدان غير المعروفة الواردة في ثنايا البحث.
12- تذييل الرسالة بالفهارس التي تخدم البحث، وتسهل عملية الرجوع إلى محتوياته.

سادسًا: خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وهي على النحو الآتي:

ملخص الرسالة باللغتين العربية والانجليزية.

المقدمة

وتشتمل على:

- أولاً: أهمية الموضوع
- ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع
- ثالثًا: أهداف البحث
- رابعًا: الدراسات السابقة
- خامسًا: منهج البحث
- سادسًا: خطة البحث

التمهيد

ويشتمل على:

- أولاً: مفهوم المنهج
- ثانيًا: مفهوم الإصلاح
- ثالثًا: مفهوم التغيير

الفصل الأول

سورة الأحزاب ومنهجيات الإصلاح والتغيير فيها

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول: مدخل إلى سورة الأحزاب:**

ويشتمل على مطلبين:

- **المطلب الأول: بين يدي السورة:**
  - أولاً: محور السورة
  - ثانيًا: تسمية السورة
  - ثالثًا: عدد آيات السورة وترتيبها ونوعها
  - رابعًا: أهداف السورة وموضوعاتها
  - خامسًا: أسباب نزول السورة

- **المطلب الثاني: المناسبات في السورة:**
  - أولاً: مناسبة السورة لما قبلها (السجدة)
  - ثانيًا: مناسبة السورة لما بعدها (سبأ)
  - ثالثًا: مناسبة محور السورة لافتتاحيتها وخاتمتها
  - رابعًا: مناسبة افتتاحية السورة لخاتمتها

- **المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير في السورة:**

ويشتمل على أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: الجانب العقدي:**
  - المنهجية الأولى: دوام التقوى ارتقاء إيماني
  - المنهجية الثانية: وحدة العقيدة قوة أكيدة
  - المنهجية الثالثة: ما خاب من توكل على الله ﷻ
  - المنهجية الرابعة: الإيمان بقضاء الله وقدره تسليم وانقياد
  - المنهجية الخامسة: الاقتداء بالرسول ﷺ طريق الوصول
  - المنهجية السادسة: الثواب لمن أطاع والعقاب لمن عصى
  - المنهجية السابعة: مبدع الشيء مالكه
  - المنهجية الثامنة: مهمة الأنبياء دعوة واصطفاء
  - المنهجية التاسعة: علم الغيوب عند علّام الغيوب
  - المنهجية العاشرة: نار جهنم لمن ابتعد عن منهج الله ﷻ
- **المطلب الثاني: الجانب التربوي والأخلاقي:**
  - المنهجية الأولى: الولاية العامة للنبي ﷺ
  - المنهجية الثانية: زوجات النبي ﷺ أمهات المؤمنين
  - المنهجية الثالثة: النصر حليف المؤمنين
  - المنهجية الرابعة: عهد المؤمنين مع الله
  - المنهجية الخامسة: إرشاد الأمة كشف للغمّة
  - المنهجية السادسة: أمانة التكاليف وعظمة الثواب
- **المطلب الثالث: في الجانب التشريعي والسياسي:**
  - المنهجية الأولى: تحريم ظاهرة الظهار
  - المنهجية الثانية: تحريم عادة التبني

- المنهجية الثالثة: ثواب المحسنات من أمهات المؤمنين
- المنهجية الرابعة: بقدر النعمة تكون النقمة
- المنهجية الخامسة: طهارة آل البيت
- المنهجية السادسة: حكم الطلاق قبل المساس
- المنهجية السابعة: أحكام خاصة للنبي ﷺ في النكاح
- المنهجية الثامنة: زر غبًّا تزدد حبًّا
- المنهجية التاسعة: التزمي الحجاب تبلغي الأسباب

- **المطلب الرابع: في الجانب الدعوي:**
  - المنهجية الأولى: لا جُناح في الخطأ مالم يُتعمد
  - المنهجية الثانية: الدعوة إلى الله ميثاقه الغليظ
  - المنهجية الثالثة: المنافقون داء كل زمان
  - المنهجية الرابعة: أذكر الله يذكرك
  - المنهجية الخامسة: فضل الصلاة على النبي ﷺ
  - المنهجية السادسة: عقوبة من يؤذي الله ﷻ ورسوله ﷺ والمؤمنين

الفصل الثاني

سورة سبأ ومنهجيات الإصلاح والتغيير فيها

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول: مدخل إلى سورة سبأ:**

يشتمل على مطلبين:

- **المطلب الأول: بين يدي السورة:**
  - أولاً: محور السورة
  - ثانيًا: تسمية السورة
  - ثالثًا: عدد آيات السورة وترتيبها ونوعها
  - رابعًا: أهداف السورة وموضوعاتها
- **المطلب الثاني: المناسبات في السورة:**
  - أولاً: مناسبة السورة لما قبلها (الأحزاب)
  - ثانيًا: مناسبة السورة لما بعدها (فاطر)
  - ثالثًا: مناسبة محور السورة لافتتاحيتها وخاتمتها

- رابعًا: مناسبة افتتاحية السورة لخاتمتها

- **المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير في السورة:**

ويشتمل على أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: في الجانب العقدي:**
  - المنهجية الأولى: توحيد الله ﷻ
  - المنهجية الثانية: علم الله مطلق
  - المنهجية الثالثة: إنكار الساعة البعث والجزاء
  - المنهجية الرابعة: الشفاعة عند الله لمن أذن له
  - المنهجية الخامسة: الرزق والهدى من الله
- **المطلب الثاني: في الجانب التربوي والأخلاقي:**
  - المنهجية الأولى: وجوب شكر الله على نعمه
  - المنهجية الثانية: الترغيب في الانفاق
- **المطلب الثالث: في الجانب التشريعي والسياسي:**
  - المنهجية الأولى: وجوب طاعة الأمير
  - المنهجية الثانية: التغيير سنة الله في أرضه
- **المطلب الرابع: في الجانب الدعوي:**
  - المنهجية الأولى: عالمية الرسالة الخالدة
  - المنهجية الثالثة: التفكر والتدبر طريق الوصول إلى الحق
  - المنهجية الرابعة: الحق غالب

الفصل الثالث

سورة فاطر ومنهجيات الإصلاح والتغيير فيها

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول: مدخل إلى سورة فاطر:**

ويشتمل على مطلبين:

- **المطلب الأول: بين يدي السورة:**
  - أولاً: محور السورة
  - ثانيًا: تسمية السورة
  - ثالثًا: عدد آيات السورة وترتيبها ونوعها

- رابعًا: أهداف السورة وموضوعاتها

- **المطلب الثاني: المناسبات في السورة:**
  - أولاً: مناسبة السورة لما قبلها (سبأ)
  - ثانيًا: مناسبة السورة لما بعدها (يس)
  - ثالثًا: مناسبة محور السورة لافتتاحيتها وخاتمتها
  - رابعًا: مناسبة افتتاحية السورة لخاتمتها

- **المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير في السورة:**

يشتمل على أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: في الجانب العقدي:**
  - المنهجية الأولى: الخالق يستحق العبادة
  - المنهجية الثانية: الملائكة مكلفة بمهام متنوعة
  - المنهجية الثالثة: البعث حقيقة واقعة لا محالة
  - المنهجية الرابعة: افتقار الخلق إلى الله
  - المنهجية الخامسة: لا تزر وازرة وزر أخرى
  - المنهجية السادسة: فريق في الجنة وفريق في السعير
  - المنهجية السابعة: قدرة الله مطلقة والآلهة الباطلة عاجزة
  - المنهجية الثامنة: الأجل مقدّر ومحتوم
- **المطلب الثاني: في الجانب التربوي والأخلاقي:**
  - المنهجية الأولى: وسوسة الشيطان وأثرها
  - المنهجية الثانية: عدم تساوي الخير والشر
  - المنهجية الثالثة: التجارة الرابحة والميراث الشريف
  - المنهجية الرابعة: أخذ العبر والعظات من الأمم السابقة
- **المطلب الثالث: في الجانب التشريعي والسياسي:**
  - منهجية: التكليف الرباني بالخلافة
- **المطلب الرابع: في الجانب الدعوي:**
  - المنهجية الأولى: سعة رحمة الله
  - المنهجية الثانية: من ابتغى العزة بغير الله ﷻ ذل
  - المنهجية الثالثة: كلما ازددت علمًا ازددت خشية لله ﷻ

- المنهجية الرابعة: لا يحيق المكر السيء إلا باهله

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي سيتوصل إليها الباحث.

قائمة المصادر والمراجع

الفهارس:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام المترجم لها.
- فهرس الموضوعات.

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل

التمهيد

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم المنهج

المطلب الثاني: مفهوم الإصلاح

المطلب الثالث: مفهوم التغيير

المطلب الأول: مفهوم المنهج

أولاً: مفهوم المنهج في اللغة

المنهج لغةً: مشتق من النهج بمعنى الطريق ويقال نهج الطريق: بينة، وهو منهاج مستقيم[1]، والنهج الطريق الواضح، ونهج الأمر وأنهج: وضح، ومنه الطريق ومنهاجه، ومنه قولهم: نهج الثوب وأنهج: بان فيه من أثر البلى[2].

ويقال طريق نهج إذا كان واضحاً[3]، يقول ابن فارس: (نهج: النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول: النهج، الطريق، والمنهج الطريق أيضًا، والجمع المناهج، والثاني: الانقطاع، وأتانا فلان ينهج: إذا أتى مبهورًا، منقطع النفس، وضربت فلاناً حتى أنهج: أي سقط)[4]، طريق نهج: بين واضح، والجمع نَهَجات ونُهُج ونُهُوج[5]، والنهج: الوجه الواضح الذي جرى عليه الاستعمال[6]، وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجًا واضحًا بينًا[7]، الناهجة: الْبَيِّنَة[8]، والمِنهاج كالمنهَج يكون اسْما وصفة وفي التنزيل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨][9]، والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الأمر إذا وضح[10].

ونهج الطريق ينهجه نهجًا: سلكه، طريق ناهجة: واضحة، والمنهج والمنهاج: الطريق الواضحة[11]، والمنهاج: الخطة المرسومة ومنه منهاج الدراسة ومنهاج التعليم ونحوهما[12]، وقيل في معناه أنه السنّة، رُوي عن ابن عباس، وقيل هو السبيل عن مجاهد[13].

---

(1) مقاييس اللغة لابن فارس (ص:845).
(2) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (825).
(3) أحكام القرآن للجصاص (4/ 97).
(4) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (361/5).
(5) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده المرسي (4/ 171).
(6) الكليات للكفوي (ص:913).
(7) لسان العرب لابن منظور (2/ 383).
(8) الفائق في غريب الحديث (4/ 35).
(9) المخصص لابن سيده المرسي (3/ 307).
(10) روح المعاني للألوسي (3/ 321).
(11) الوافي معجم وسيط اللغة العربية للبستاني (ص:655).
(12) المعجم الوسيط (2/ 957).
(13) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (1152/4).

التمهيد

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم المنهج

المطلب الثاني: مفهوم الإصلاح

المطلب الثالث: مفهوم التغيير

ويرى الباحث من خلال التعريفات السابقة أن **المنهج** هو لفظ مشتق من (نهج)، ويشتمل على معاني الوضوح، البيان، الانقطاع والسقوط، واستقامة الطريق، والخطط المرسومة.

ثانيًا: مفهوم المنهج اصطلاحًا

لم يختلف العلماء كثيرًا في تعريف المنهج اصطلاحًا، ولهم تعريفات كثيرة، نورد منها على سبيل المثال لا الحصر:

وقد عرّفه ابن كثير: المنهاج: فهو الطريق الواضح السهل[1]، ويقول الدكتور وهبة الزحيلي: منهاجاً طريقاً واضحاً مستمراً يسير عليه الناس في الدين[2].

ويرى الباحث أن المنهج من منظور قرآني: هو الطريق البين الواضح، الذي لا غموض فيه ولا لبس ولا إبهام، يسلكه الناس ويستمرون فيه، وقد حددته الشريعة الإسلامية.

ثالثًا: الفرق بين الشرعة والمنهاج

إذا أردنا الوصول إلى الفرق بين هذين المصطلحين، فإن خير شاهد في ذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]، وهناك فرق بينهما؛ حيث ان الشرعة هي: الأحكام التفصيلية مثل وجوب الصلاة، أما المنهجية فهي كيفية وصولنا إلى أن الصلاة فريضة، والجواب هو: من النصوص القطعية من الكتاب والسنة[3].

ومثالاً لذلك، قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، أشارت الآية إلى منهجية اتخاذ القرار، أن يكون قرار الحرب في المدينة أو خارجها، أو أن نجعل البئر أمامنا أو خلفنا، أو ان نعطي ثلث ثمار المدينة لبعض القبائل ليخذلوا عنا المشركين. هذه آثار وأحكام وشرعة لمنهجية الشورى في اتخاذ القرارات[4].

ولهذا؛ فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وإن كان النص القرآني نزل في حادثة مخصوصة، إلا أن الأمر عامٌ في كل أمر يخص المسلمين.

وفي آية الوضوء؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ

---

(1) تفسير القرآن العظيم (3/ 129).

(2) التفسير المنير (6/ 214).

(3) سورة الكهف، منهجيات في الإصلاح والتغيير، د. صلاح سلطان (ص:23).

(4) المرجع السابق (ص.23).

﴿ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ ﴾ [المائدة: ٦]، فهذه شرعة لا تصلح إلا للوضوء والغسل والتيمم، ولكن في نفس الآية ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ ﴾ [المائدة: ٦]، فهذه منهجية تفكير واستنباط كل الأحكام[1].

وأئمة المذاهب لم يصيروا أئمة أصحاب مذاهب إلا لأن لكل واحد منهم منهجية وخطة يتميز بها، عن غيره، فأكثرهم يعتمد القياس، وابن حزم لا يأخذ به، ويعتمد علماء السنة كل ما صح من الأحاديث من جميع الصحابة الثقات من علماء الأمة، بينما يعتمد الشيعة الأحاديث الواردة فقط عن طريق آل البيت، وهذه كلها مناهج للاعتماد والاستنباط[2].

(1) سورة الكهف، منهجيات في الإصلاح والتغيير، د. صلاح سلطان (ص:24).

(2) المرجع السابق (ص:24).

المطلب الثاني: مفهوم الإصلاح

أولاً: الإصلاح في اللغة

الإصلاح مأخوذ من الفعل صَلح، وصَلح: أصل واحد يدل على خلاف الفساد[1]، يقال رجل صالح في نفسه ومصلح في أعماله وأموره[2]، وصَلُح كصَلح: لغتان وصَلاحاً وصُلوحاً صدرها[3]، وهذا الشيء يصلح لك، والإصلاح نقيض الإفساد[4].

الصلاح ضد الفساد، ونقل الفراء صُلح أيضًا بالضم، وقد اصطلحا وتصالحا واصّالحا بتشديد الصاد، والإصلاح ضد الإفساد، والمصلحة واحدة، جمعها المصالح والاستصلاح ضد الاستفساد[5].

والصَّلاح: هو سلوك طريق الهدى، وقيل هو استقامة الحال على ما يدعو إليه الفعل، والصلاح لا يستعمل في النعوت؛ فلا يقال: قول صلاح إنما قول صالح، والصالح: المستقيم الحال في نفسه، أو القائم بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد، والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين والمرسلين[6]، ومصلِح: اسم الفاعل من أصَلح[7]، والصِّلاح (بكسر الصاد) مصدر المصالحة، والاسم منها هو الصلح، يذكر ويؤنث[8].

وأصلحه ضد أفسده، وقد أصلح الشيء بعد فساده، أقامه، ويقال أصلح الدابة: إذا أحسن إليها فصلحت[9].

ثانيًا: مفهوم الإصلاح اصطلاحًا

يرى الكفوي أن الإصلاح هو سلوك طريق الهدى وقيل: هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل[10]. وقال الأصفهاني: والصلح يختص بإزالة النِفار بين الناس يقال منه

---

(1) مقاييس اللغة لابن فارس (303/1).
(2) العين للفراهيدي (1001/2).
(3) الجامع لأحكام القران للقرطبي (203/1).
(4) لسان العرب لابن منظور (374/5).
(5) مختار الصحاح للرازي (ص: 178).
(6) الكليات– الكفوي (ص:56).
(7) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (203/1).
(8) الصحاح للجوهري (406/2).
(9) تاج العروس للزبيدي (548/6).
(10) الكليات للكفوي (ص:561).

اصطلحوا وتصالحوا، وإصلاح الله تعالى للإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحاً بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده، وتارة يكون بالحكم له بالصلاح[1].

أما ما ورد بمعنى الإصلاح والصلاح عند بعض المفسرين، قال الزمخشري: والصلاح هو الحصول على الحال المستقيمة النافعة[2]. وعند الألوسي: هو عبارة عن الإتيان بما ينبغي والاحتراز عما لا ينبغي[3]، أما الصلاح عند البقاعي: هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع[4]، فالصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من الفساد[5]، وعند عبد الحميد الفراهي[6]: عبارة عن أثر الحكمة والعلم وهو الأصل الكلي للكمال[7].

إنَّ المتَتَبِّعَ للمواضع التي ذُكِر فيها الإصلاحُ في القرآن يظهر له بوضوح لا يدع مجالاً للشكِّ أنَّ هذه الكلمة وما يتفرَّع منها من ألفاظ واشتقاقات، وما يُستوحى منها من معانٍ ومدلولات، قد تبوّأت مكانًا عليًّا في هذا الكتاب، إذْ عُدَّتْ من جملة أخلاقه وفضائله التي دعا إليها وحثَّ على التزامها والتَّحلِّي بها، ويكفي للدِّلالة على أهميَّتها وبروزها أنْ ذُكِرت أكثرَ من مائةٍ وسبعين مرَّة بأساليبَ متنوّعةٍ وسياقاتٍ مختلفةٍ ومدلولات تَخْلُصُ إلى أنَّ كلَّ ما يؤدِّي إلى الكفِّ عن المعاصي ومجانبة الفساد، أو إلى فعلِ الطَّاعات واتِّباع الرَّشاد فهو إصلاح[8].

---

(1) انظر: مفردات القرآن للأصفهاني (ص:289-290).

(2) الكشاف (179/1).

(3) روح المعاني (7/2).

(4) نظم الدرر (145/4).

(5) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير لابن باديس (206/1).

(6) هو الشيخ الفاضل عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي، الأنصاري الفراهي الأعظمكدهي، المعروف بحميد الدين الفراهي، أحد العلماء المشهورين، ولد في جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائتين وألف في قرية فريهه من قرى مديرية أعظم كده، واشتغل بالعلم، وتعلم الإنجليزية ونال الفضيلة في العلوم الغربية أيضاً وامتاز في الفلسفة الحديثة، وانتخب رئيساً للجنة دار المصنفين الإدارية، وهو من كبار العلماء، له خبرة تامة بالعلوم الأدبية، وقدرة كاملة في الإنشاء والترسل، وتودد إلى معارفه وأصحابه مع جودة فهم، ووفور ذكاء، وزهد وعفة، وشهامة نفس وانجماع، لا سيما عن بني الدنيا وعدم اشتغال بما لا يعنيه، راسخ في العلوم العربية والبلاغة، متعمق فيها، حسن النظر في كتب اليهود والنصارى، عاكف على التدبر في القرآن، والغوص في معانيه وأساليبه، مات في التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وألف في مدينة متهرا، ودفن بها. (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للحسني الطالبي (1267/8)).

(7) مفردات القرآن للفراهيدي (ص:60).

(8) الإصلاح في القرآن الكريم، الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ عز الدين رمضاني الجزائري، تاريخ نشر المقال يوم السبت 19 ديسمبر 2009م azeddin.ramdhani.com.

ثالثًا: أهمية الإصلاح

إن للإصلاح في المجتمعات، وخاصة المجتمع المسلم، أهمية كبرى؛ ذلك أن الإصلاح غاية كل سَوِيّ، ويمكن أن نذكرها في نقاط:

1- الإصلاح أمر يقتضيه التكليف، ويتطلبه الابتلاء: لأن الإنسان مكلف بعمارة الكون وفق المنهج الإلهي، ونظراً لأنه مبتلى، والأشخاص متفاوتون في مقدار الطاعة والمعصية، مما يقتضي قيام المطيعين برد العاصين إلى جادة الصواب، وإلا هلكوا جميعاً[1]،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

إن استمرارية الإصلاح أمر توجبه القوانين، وتقتضيه طبيعة البشر، فكل الدول تسن القوانين سعياً لإصلاح ما فسد وترميم ما خرب، هذا من جهة، والنفس البشرية مجبولة على حب التخلص من القيود والتفلت من الضوابط، كما أن للبعد الزماني والمكاني أثرًا في تراجع الالتزام، هذا من جهة ثانية، كل هذا يستوجب استمرار الإصلاح، وإلا فسد البشر وأصبحوا أكثر فتكًا من الوحوش[2].

2- خصوصية الإسلام في الإصلاح: لقد خصّ الله ﷻ نبيه محمد ﷺ بأن يكون خاتم الأنبياء والمرسلين، وبه ختمت الرسالة، وكانت دعوته خاتمة للرسالات السابقة، لذلك فمسؤولية الحفاظ على الشريعة وتبليغ الدين انتقلت إلى الأمة[3].

3- الإصلاح يقوم على الالتزام بما أمر الله: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وفي الآية دلالة، وهو الإظهار في موضع الإضمار، حيث قامت لفظة المصلحين مقام الضمير، للدلالة على أن المتمسك بالكتاب حقيقة، يكون مصلحاً[4]، وهم الذين يلتزمون أحكامه، ويصدقون بأخباره، ويعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويحلون حلاله، ويحرمون حرامه، كل ذلك وفق سنة رسول ﷺ[5].

([1]) إصلاح الأمة في ضوء الكتاب والسنة- نصار أسعد نصار ص484.

(2) المرجع السابق (ص:484).

(3) المرجع السابق (ص:484).

(4) التسهيل لعلوم التنزيل لابن الجزري (53/2).

(5) إصلاح الأمة في ضوء الكتاب والسنة- نصار أسعد نصار (ص:485).

ومن خلال هذه النقاط الثلاث، نجد بأننا لو أردنا أن ننهض بالإسلام ونصلح ما آل إليه حالنا، فعلينا أن نسعى لبناء الفرد المسلم، الذي سيكون نواه لأسرة مسلمة، وبها يتكون المجتمع المسلم، وبعدها يعم الإسلام المجتمع، وبذلك يعود المجد لأهله، والحق لأصحابه.

رابعًا: قواعد الإصلاح:

لابد من ضمان السير السليم للوصول إلى الإصلاح الحقيقي، وهذا السير يتطلب قواعداً متينة للاستعانة بها في طريق الإصلاح، وهذه القواعد:

أولاً: مراعاة المصالح والمفاسد: تحرص الشريعة الإسلامية على تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل، ودرء المفاسد عنهم، ومعيار المصلحة والمفسدة هو الإسلام، فما شهد له الإسلام بالصلاح فهو مصلحة، وما شهد له بالفساد فهو مفسدة.

ثانيًا: الشعور المسؤولية الاجتماعية: إن عملية الإصلاح تحتاج إلى تضافر كل الجهود حتى تنجح وتحقق أهدافها، لذلك فكل فرد في المجتمع مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع وإزالة الفساد منه على قدر طاقته ووسعه.

ثالثًا: الفهم العميق: لإقامة الإصلاح على أسس متينة، لابد من الفهم العميق لمرامي ومقاصد الشريعة الإسلامية من خلال معرفة بعض الأمور التي تعين على الوصول إلى تحقيق الإصلاح، مثل فهم خطاب الله للبشرية خصوصاً فيما يتلق بالعقيدة والاستخلاف، وكذلك فهم السنة المشرفة فهي موضحة وشارحة للقرآن، وفيها فلاح ونجاح الدارين، التأمل والتفكر في مخلوقات الله، وقصص الأمم السابقة، وما إلى ذلك.

رابعًا: بعث الأمل والطمأنينة: جُبل الناس على الخوف من التغيير، وذلك راجع إلى تفكيرهم في الأسباب التي سيتركها في حياتهم، وذلك سينسحب على عملية الإصلاح، لذلك فالإصلاح لابد أن يكون نابعاً من روح الدين، مطابقاً للعقيدة، متجاوباً مع مشاعر الأمة، ومن هنا لا يجد عداءً ولا مقاومةً ولا سخطاً[1].

خامسًا: مجالات الإصلاح:

إن الإصلاح يستهدف جميع جوانب الحياة، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧] ، وجعل هذه الجوانب تسير متوافقة مع

(1) انظر: منهجيات في الإصلاح والتغيير في ضوء سورة عبس، رسالة ماجستير، للطالبة: ابتسام ديب سمور، الجامعة الإسلامية – غزة (ص:22-24).

الشريعة الإسلامية، المتوافقة أصلاً مع الفطرة البشرية، ولقد ركز الباحث على أهم جوانب الإصلاح وهي:

1. **الجانب العقدي:** وهو مهم جداً لأنه أساس تكوين الفرد المسلم في المجتمع، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].
2. **الجانب التربوي:** فيعطي قوانين إلهية لتربية النفوس، وتهذيبها بما يتناسب مع الأخلاق والآداب، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٩ – ١٠].
3. **الجانب السياسي:** وذلك لأن صلاح الساسة يعني صلاح المجتمع، وصلاح السياسات المتبعة يعكس صورة المجتمع.
4. **الجانب الاقتصادي:** القائم على التوازن وتحقيق العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع الإسلامي.
5. **الجانب العسكري:** الذي أمر المسلمين بإعداد العدة لأعدائهم؛ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والثبات عند ملاقاة الكافرين وعدم الفرار والتولّي؛ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال: ١٥]، إلى غير ذلك من أمثلته.

فما سبق أمثلة بسيطة على الجوانب التي يتناولها القرآن للإصلاح، وغيرها كثير، وجميعها تتبع أسلوب التدرج في إحداث التغيير المنشود، ويتلخص هذا المنهج في تكوين الفرد المسلم والأسرة المسلمة، ثم المجتمع المسلم، ثم الحكومة المسلمة، فالدولة، فالخلافة الإسلامية، وأخيرًا يكون الوصول إلى أستاذية العالم[1].

(1) مقال الإمام حسن البنا، تاريخ نشر المقال: 16 يوليو 2007 موقع قصة الإسلام www.islamstory.com.

سادسًا: ثمار الإصلاح:

إن الأمة الإسلامية إذا ما طبقت منهج القرآن الرباني في إصلاح الفساد الذي آلت إليه، والتدهور الديني والأخلاقي والتربوي، والسياسي وغيرها، فإن من ثمار هذا الإصلاح التي سوف تُحصد:

1. يتحقق به خيرية الأمة الإسلامية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ... ﴾ [آل عمران: ١١٠].
2. عودة الأمة إلى مجدها وعزها؛ لأن هذا المجد والعزة مستمدان من الالتزام بمنهج الله القويم.

المطلب الثالث: مفهوم التغيير

أولاً: مفهوم التغيير لغةً

قال الراغب الأصفهاني: والتغيير يقال على وجهين: أحدهما: لتغيير صورة الشيء دون ذاته. يقال: غيرت داري: إذا بنيتها بناء غير الذي كان. والثاني: لتبديله بغيره. نحو: غيرت غلامي ودابتي: إذا أبدلتهما بغيرهما، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١][1].

تغير الشيء عن حاله: تحول. وغيره: حوله وبدله كأنه جعله غير ما كان[2]، والمتأمل فيما أورده الراغب وابن منظور يجد الكلمة تأتي لثلاثة معان: أولها: تغيير صورة الشيء دون ذاته، وثانيها: تبديله بغيره وهو معنى تحويله وجعله غير ما كان، وثالثها: التخفيف وإصلاح شأن الشيء كما خفف صاحب البعير عن بعيره من رحله ويصلح من شأنه[3].

ثانيًا: مفهوم التغيير اصطلاحًا

قال الجرجاني: (التغيير هو إحداث شيء لم يكن قبله، وأيضًا: هو انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى)[4]، وقال الطاهر ابن عاشور إن "التغيير هو تبديل شيء بما يضاده فقد يكون تبديلَ صورة جسم كما يقال: غَيّرتُ داري، ويكون تغيير حال وصفة ومنه تغيير الشيب أي صباغه، وكأنه مشتقّ من الغير وهو المخالف"[5].

ورود لفظة التغيير واشتقاقاتها في القرآن الكريم:

وقد ورد مفهوم (التغيير) في القرآن الكريم في أربعة مواضع سنسردها في السطور التالية، ويقود التدبُّر العميق لكل موارد لفظ التغيير في القرآن الكريم، إلى مجموعة من المعاني يمكن سردها فيما يأتي:

---

(1) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ص: 619).

(2) لسان العرب لابن منظور (5/ 40).

(3) التغيير في حياة الأمم وعوامل الثبات والاهتزاز، لأحمد العسال (ص:224).

(4) التعريفات (ص:87).

(5) التحرير والتنوير (45/10).

1- تغيير خلق الله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ ﴾ [النساء:119]، فهذه الآية جاءت في معرض حديثه تعالى عن غواية إبليس -لعنه الله- لعباد الله ودعائِه إيَّاهم إلى طاعته، وتزيينه لهم الضلال والكفر حتى يزيلهم عن منهج الطريق، ومن مَعارِيضِه[1] - لعنه الله- أمره للعباد بتغيير خلق الله[2].

وقد اختلف العلماء في هذا التغيير إلى أقوال:

أ- تغيير دين الله:

وذلك أن آية النساء تتفق مع قوله تعالى: ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾ [الروم:30].

وتغْيير دين الله له وجهان:

الوجه الأول: ما ورد في الحديث الصحيح؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[3]، فالمولود يولد على فطرة الإسلام، وبعد ذلك يتبع دين آبائه ومربيه.

الوجه الثاني: أن المراد من تغيير دين الله هو تبديل الحلال حراماً والحرام حلالاً[4].

ب- تغيير الصفات الحسية للخلق:

فقوله تعالى: ﴿ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ ﴾ هو التَّغيير المتعلِّق بالظواهر الحسية للخلق، مثل قطع الأذن وفقء الأعين والخصاء، وكذلك النمص والوصل والوشم الذي نهى الرسول ﷺ عنه، رَوى عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ: " لعن الله الواشمات

---

(1) العرب تقول: عرفت ذاك في عروض كلامه، أي في معاريض كلامه، (مقاييس اللغة لابن فارس (4/ 274)).

(2) جامع البيان للطبري (213/9).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، حديث رقم: 1358، (95/2).

(4) جامع البيان للطبري (183/5) ، مفاتيح الغيب للرازي (49/11-50).

والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله"[1]، قال: وذلك لأنَّ المرأة تتوصل بهذه الأفعال إلى الزنا[2].

2- تغيير نعمة الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [الأنفال:53].

"يحتمل خمسة أوجه: أحدها: لم يك مغيراً نعمة أنعمها عليهم بالنصر لهم على أعدائهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الثقة به والتوكل عليه. والثاني: لم يك مغيراً نعمته عليهم في كف أعدائهم عنهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعته والكف عن معصيته. والثالث: لم يك مغيراً نعمته عليهم في الغنى والسعة حتى يغيروا ما بأنفسهم. من تأدية حق الله تعالى منه. والرابع: لم يك مغيراً نعمته في الثواب والجزاء حتى يغيروا ما بأنفسهم من الإيمان. والخامس: لم يك مغيراً نعمته عليهم في الإرشاد حتى يغيروا ما بأنفسهم من الانقياد"[3].

وسبب ذهاب هذه النعم وتغيُّرها راجع إلى أنَّهم قابلوا النِّعم بالكفر والفسوق والعصيان، فلا جرَم استحقُّوا تبْديل النعم بالنِّقَم، والمِنَح بالمِحَن[4]، وزاد ابن عطية الآية توضيحاً، فقال: تغيير ما أمروا به من طاعة الله، تغيير إما منهم وإما من الناظر لهم، أو ممن هو منهم بسبب، كما عبر تعالى بالمنهزمين يوم أحد بسبب تغيير الرماة ما بأنفسهم[5].

وذهب الفخر الرازي إلى أنه تعالى أنعم عليهم بالعقل والقدرة، وإزالة الموانع وتسهيل السبل، فإذا صرفوا هذه الأحوال إلى الفسق والكفر، فقد غيروا نعمة الله تعالى على أنفسهم[6].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الموصولة حديث رقم: 5948 (7/ 167).

([2]) مفاتيح الغيب للرازي (11/49-50).

([3]) النكت والعيون للماوردي (2/327).

([4]) غرائب القرآن ورغائب القرآن للنيسابوري (3/410).

([5]) التحرير والتنوير لابن عاشور (10/45).

([6]) مفاتيح الغيب (13/187).

وذهب الطاهر بن عاشور إلى مثله فقال: فتغْيير النعمة إبدالُها بضدِّها وهو النقمة وسوء الحال؛ أي: تبديل حالة حسنة بحالة سيئة ... والمراد بهذا التَّغْيير: تغيير سببه، وهو الشُّكْر بأن يبدلوه بالكفْران[1].

3- تغيير ما بأنفس القوم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:11].

وهذه الآية جاءت بعد أن ذَكَر -سبحانه- إحاطة علْمِه بالعباد وأن لهم معقبات ملائكة يحفظونهم؛ فقال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾، وقد اجمع المفسرون أن السياق يدل على أن الله ﷻ لا يغيّر ما هم فيه من النعم بإنزال الانتقام إلا بانغماسهم في المعاصي[2].

قال الإمام ابن تيمية: "هذا التَّغيير نوعان:

أحدهما: أن يُبْدوا ذلك فيبقى قولاً وعملاً يترتب عليه الذم والعقاب.

والثَّاني: أن يغيّروا الإيمان الذي في قلوبهم بضده من الريب والشك والبغض، ويعزموا على ترك فعل ما أمر الله به ورسوله، فيستحقون العذاب هنا على ترك المأمور، وهناك على فعل المحظور، وكذلك ما في النفس مما يناقض محبة الله، والتوكل عليه، والإخلاص له، والشكر له، يعاقب عليه؛ لأن هذه الأمور كلها واجبة، فإذا خلا القلب عنها، واتصف بأضدادها، استحق العذاب على ترك هذه الواجبات"[3]، وبهذا التفصيل تزول شبه كثيرة، ويحصل الجمع بين النصوص، فإنها كلها متفقة على ذلك.

ويقول صاحب الظلال: لا يغير نعمةً أو بؤساً، ولا يغير عزاً أو ذلة، ولا يغير مكانةً أو مهانة إلا أن يغير الناس، وبعد تقرير المبدأ يُبرز السياق حالة تغيير الله ما بقومٍ إلى السوء؛ لأنه في معرض الذين يستعْجِلون بالسيِّئة قبل الحسنة[4].

([1]) التحرير والتنوير (45/10).

([2]) مفاتيح الغيب للرازي (22/19).

([3]) مجموع الفتاوى لابن تيمية (109/14).

([4]) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (78/5).

إن في الآية تغييرين: تغيير الله ما بأنفس القوم، وتغيير القوم ما بأنفسهم، وإن التغيير الذي ينبغي أن يحدث أولاً هو التغيير الذي جعله الله مهمة القوم وواجبهم بإقدار الله لهم على ذلك، وإن حدث أي تهاون في الخلط بين التغييرين وإدخال التغيير الذي يحدثه الله بالتغيير الذي يقوم به القوم أو العكس، يفقد الآية فعاليتها وتضيع فائدة السنَّة الموجودة فيها[1].

ثالثًا: وسائل التغيير

إن الباحث في كنوز القرآن والسنة، يجد أنها أوضحت طرق التغيير التي يجب على المؤمنين اتباعها للتغيير، هذه الطرق التي يجب أن يدرسوها ويختاروا أيُّها أدق وأفضل للعمل، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[2].

ورد الحديث بصيغة الأمر، والأمر يفيد الوجوب فدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال القاضي عياض: "هذا الحديث أصل في صفة التغيير، فحق المغيِّر أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولاً كان أو فعلاً"[3].

وإن اختيار هذا الأسلوب أو ذاك يجب أن يخضع لحساب عسير وتمحيص دقيق؛ لأن عملية التغيير تحتاج إلى كثرة المعرفة والدراية في القرآن والسنة، وفي سنن الله، وتجارب التغيير، ودراسة الواقع، ومعرفة موازين القوى؛ لاكتشاف ما يجب عمله وكيف ومتى يعمل! ولكي لا يصبح العمل التغييري مختبراً يجرب فيه على البشر، فإن لم ينفع يجرب أسلوب آخر وكأن شيئا لم يكن[4].

إن لكل أسلوب سمات وخصائص، وإن تحديد سمة مرحلة التغيير وأدواته يحتاج إلى عقل راشد، وحس مرهف بالأوضاع، وجهد مضني في امتلاك الوسائل والأدوات للوصول لأفضل أسلوب، وإلا فإن الارتجال والضحالة تقود إلى كوارث في عملية التغيير، فتضيع الفرص السانحة، وتنتكس الأوضاع أكثر، مما يعني استمرار ذل الأمة لعشرات السنين، وتتعطل المصالح ويظل يقبع ألوف من الناس في الأغلال ويصعد ألوف إلى المشانق أو ينالهم رصاص الظلم في قتل جماعي بطيء[5].

([1]) حتى يغيروا ما بأنفسهم- جودت سعيد ص46.

(2) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم: 49 (69/1).

(3) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (20/2-22).

(4) نظريات التغيير لمنير شفيق (ص:64).

(5) أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي للراشد (110/4)، في نظريات التغيير لمنير شفيق (ص:46-47).

وسائل التغيير في هذا الزمن:

والهدف الأسمى من التغيير، هو الرجوع إلى الحاكمية للإسلام، وتحقيق عقائده ومبادئه الراسخة، التي تعالج كل قضايا المجتمع، ويلتزم بها المجتمع أيّما التزام، ومن هذه المبادئ؛ مبدأ الشورى، التي تعتبر أصلاً من الأصول الأولى للنظام السياسي الإسلامي، بل امتدَّت لتشمل كل أمور المسلمين؛ وتأسيسًا على ذلك فإن الدولة الإسلامية تكون قد سبقت النظم الديمقراطية الحديثة في ضرورة موافقة الجماعة على اختيار مَنْ يقوم بولاية أمورها ورعاية مصالحها وتدبير شئونها؛ ممَّا يؤكِّد قيمة وفاعلية الإجماع عند المسلمين[1]، وفي غياب هذا المبدأ، فإن التغيير في المجتمع يخضع لإحدى ثلاث وسائل وهي: التغيير الديمقراطي (الانتخابي)، والتغيير العسكري (الخروج على الحاكم)، وثالثها ما كان له الأثر الكبير في السنوات القليلة السابقة؛ وهو التغيير بالمظاهرات السلمية (إسقاط نظام الحكم بدون عسكرة).

أولاً: النظام الديمقراطي:

إن الديمقراطية التي يتغنى بها أرباب الحرية في معناها الحقيقي تعني الاحتكام لاختيار الشعوب، وذلك من خلال الانتخابات، وهذا الاحتكام هو الذي يحدد الفئة التي تحكم، وإن تحققت هذه الوسيلة انتفى معها باقي الوسائل، ذلك لأنها الأسهل، والأحقن لدماء الأمة.

وبهذه الطريقة يمكن التوجه إلى الانتخابات وتحقيق الإصلاح والتغيير المنشودين، ويمكن التحالف مع قوى اجتماعية لخوض عملية الإصلاح والتغيير من خلال الانتخابات، بشرط أن يتشكل رأي عام حاسم في رفض الانقلاب على الخيار الديمقراطي، والاتفاق بين جميع الأطراف على احترام وقبول نتائج الانتخابات[2].

ولكن الناظر في أحوال الأمة اليوم، وخصوصاً أولئك الذين يتشدقون بالحرية، ويتغنون بالديمقراطية، الناظر إليهم يرى بأنهم أوائل الرافضين لها، لأن الشعوب لو أعطت حق الاختيار لما اختارت إلا شعاراً واحداً وهو (الإسلام)، لأن هذا الدين يحقق مبادئ الحياة الرغيدة، والتكافل الاجتماعي، وتحقيق مقاصده العليا؛ المتمثلة في حفظ النفس والمال والولد والدين والعِرض.

أما إذا حدث وانتخبت فئة لا تريدها الطغمة الفاسدة، فنرى التشوية والقدح، وتصيد الأخطاء، والمراقبة الدائمة للحركات والسكنات، فإذا ما تمكنت بذلوا كل الجهود لإسقاط الحكم بالإسلام، او من يدعون إلى تحكيم الإسلام، وتجارب الأمة في هذه الأيام حافلة بمثل هذه الأمور والناظر الواعي يرى بدقة ما تحدثنا عنه.

---

(1) تاريخ النظم والحضارة الإسلامية للنبراوي (ص: 24).

(2) نظريات التغيير لشفيق (ص:60).

ثانيًا: التغيير العسكري:

إذا ما فشلت الطرق الديمقراطية بتغيير الظلم والمنكر والفساد، فعلى المنادين بإصلاح الدولة وتغيير الواقع، أن يلجؤوا إلى الخيار العسكري بالخروج على الحاكم، وهذا من أصعب الخيارات وأقساها، ولا ينبغي اللجوء إليه إلا إذا دُرس الواقع جيداً، ووضع ميزان القوى، وظروف الصراع تحت المجهر.

ومن خلال استقراء التاريخ نجد أن علماء الأمة حرصوا بعد تجارب مريرة على التعامل مع الخروج بحذر شديد وغلب عليهم منع الخروج سدا للذريعة، ويحتاج الخروج أو الثورة إلى توفر شروط لتحقيق شرعيته وضمان نجاحه وهي:

1- القوة المسلحة التي تستطيع إقامة الحكم، ومواجهة الحكومة، لأن منطق الحكومات هو القوة وليس قوة المنطق، لذلك تخمد كل صوت بالحديد والنار ويضرب كل تحرك شعبي يريد التغيير، ولا يفل الحديد إلا الحديد.

2- القاعدة الجماهيرية العارمة التي تشبه الإجماع، التي إذا تحركت لا يستطيع أحد أن يواجهها أو يصد مسيرتها؛ لأنها كالموج الهادر والسيل العارم لا يقف أمامه شيء، حتى القوات المسلحة؛ لأنها في النهاية جزء منها، والجماهير ليسوا إلا أهلاً لهم وأبناءً أو إخواناً[1].

أما إذا كان النظام القائم دكتاتورياً لا يسمح بالتداول للسلطة من خلال الانتخابات، ويصادر الحريات، ويشيع جواً من الإرهاب النفسي والفكري، ولم تمتلك المعارضة قاعدةً جماهيرية عريضة، وقوةً تنفيذية مسلحة، فإن نظرية الصبر والعمل على مستوى الفرد تربية وتوعية وتثقيفاً، والتغيير باللسان والقلم والنصح، ضمن الحدود الشرعية، ومن غير صدام بالنظام هي نظرية الممكن والمتاح ضمن ظروف محددة، وموازين قوى معينة[2].

ثالثًا: التغيير بالمظاهرات السلمية:

إن الناظر في واقع الأمة يرى أن المظاهرات السلمية التي عمّت كثير من البلدان العربية في الفترة الأخيرة، استطاعت تحقيق ما عجزت عن تحقيقه غيرها من الوسائل، وشرعية هذه المظاهرات بشرعية مطالبها، فالمظاهرات السلمية، التي لا تُشهر السلاح، ولا تسفك الدماء، ولا تخرج للاعتداء على الأنفس والممتلكات ليست خروجًا مسلحًا على الحكام، وهي وسيلة من وسائل التعبير عن الرأي، ومن وسائل التغيير، ومن وسائل الضغط على الحاكم للرضوخ لرغبة

---

(1) فقه الدولة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي (ص:125).

(2) نظريات التغيير لمنير شفيق (ص:63).

الشعب. فإن كان الرأيُ صوابًا، والتغييرُ للأصلح، ورغبةُ الشعب مشروعةً -كانت المظاهرةُ حلالاً، بشرط ألاّ يترتب عليها مفسدة أعظم من مصلحتها المطلوبة؛ فحكم المظاهرات حكم الوسائل، وللوسائل حكم الغايات والمآلات[1].

ويرى البعض بأن المظاهرات السلمية ليست خروجاً على الحاكم وتخضع لثلاث حالات؛ الحالة الأولى: أن تكون هذه المظاهرات مطالبة بإصلاح النظام فقط سواءً كان إصلاحاً شاملاً أو لبعض الجوانب، فهذا أمر مشروع، ولا يدخل قطعاً في باب الخروج على الحاكم، الحالة الثانية: أن تبدأ المظاهرات بسلمية ثم لا يستجيب النظام الحاكم فيواجهها بالقتل والعنف كم رأينا في تونس ومصر وسوريا وليبيا؛ ففهي هذه الحالة تتغير المطالب إلى إسقاط النظام وهذا مشروع لسببين:

1- أن الشعب في نظر الإسلام هم أهل العقد والحل، فإذا طالبت غالبيتهم بالتغيير فهذا حق لهم.

2- أهم مقاصد الشريعة في نصب الحكام هي الحفاظ على مصالح البلاد والعباد، والحفاظ على الضروريات، فإذا لم تطبق الحكومات ذلك أصبحت بلا غطاء شرعي ولا شعبي

أما الحالة الثالثة: فإن تغيير النظام الظالم بكل الوسائل السلمية المتاحة واجب، ومن أهمها صناديق الاقتراع، فهي الواجب الأول لو وجدت، أما إذا لم توجد، أو وجدت ولكن هيمن عليها النظام الظالم فزوّرها، وحينئذ تكون الطريقة المثلى: المظاهرات السلمية الشعبية العامة[2].

---

(1) حكم المظاهرات السلمية- الشريف حاتم العوني، موقع قصة الإسلام www.islamstory.com. الأربعاء 9 فبراير 2011.

(2) التأصيل الشرعي للمظاهرات السلمية، لعلي القرة داغي (ص:10).

الفصل الأول

سـورة الأحـزاب

ومنهجيات الإصلاح والتغيير فيها

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مـدخـل إلى سـورة الأحـزاب

المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير في السورة

المبحث الأول

مدخل إلى سورة الأحزاب

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: المناسبات في السورة

المطلب الأول: بين يدي السورة

أولاً: محور السورة

هذه السورة تتناول قطاعاً حقيقياً من حياة الجماعة المسلمة، في فترة تمتد من بعد غزوة بدر الكبرى، إلى ما قبل صلح الحديبية، وتصور هذه الفترة من حياة المسلمين في المدينة تصويراً واقعياً مباشراً. وهي مزدحمةٌ بالأحداث التي تشير إليها خلال هذه الفترة، والتنظيمات التي أنشأتها أو أقرتها في المجتمع الإسلامي الناشئ[1].

ثانيًا: تسمية السورة

سميت سورة الأحزاب لاشتمال الكلام فيها على وقعة الخندق أو الأحزاب الذين تجمعوا حول المدينة، من مشركي قريش وغطفان، بالتواطؤ مع المنافقين ويهود بني قريظة، لحرب المسلمين ومحاولة استئصالهم، كما سميت (الفاضحة) لأنها افتضحت المنافقين، وأبانت شدة إيذائهم لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم في أزواجه وتألبهم عليه في تلك الموقعة[2].

ثالثًا: عدد آيات السورة وترتيبها ونوعها

أجمع علماء العدد بأن عدد آياتها ثلاث وسبعون آية، وهي الثابتة في المصحف المدوَّن، وقدر ورد أنها كانت تعدل سورة البقرة، قبل نسخ بعض منها؛ عن زر بن حبيش قال: قال لي أُبيّ بن كعب: كأيِّن تقرأ سورة الأحزاب؟ أو كأيِّن تعدها؟ قال: قلت له ثلاثاً وسبعين آيةً، فقال: قط! لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عليم حكيم[3]، وترتيبها الثالث والثلاثين، وهي مدنية.

رابعًا: أهداف السورة موضوعاتها[4]:

1. بدأت السورة بتوجيه الرسول ﷺ إلى تقوى الله عز وجل، وعدم الطاعة للكافرين والمنافقين.
2. القول بكلمة الحق والفصل في بعض التقاليد والأوضاع الاجتماعية، فلابد أن يتجه الإنسان إلى إله واحد وأن يتبع نهجًا واحدًا، وأن يدع ما عداه من مألوفات وتقاليد وأوضاع وعادات.

---

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (5/ 2817).

(2) التفسير المنير للزحيلي (21/ 225).

(3) أخرجه أحمد، مسند الأنصار، حديث زر بن حبيش، حديث رقم: 21207 (134/35)، قال الحاكم: صحيح الإسناد، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (975/6).

(4) في ظلال القرآن لسيد قطب (2818/5-2821).

3. ومن ثم يأخذ سياق الآيات في إبطال عادة الظهار، وهو أن يحلف الرجل على امرأته أنها عليه كظهر أمه فتحرم عليه حرمة أمه.
4. ويعقب على طريقة القرآن عن تلك النظم والتشريعات، والمبادئ، والتوجيهات، لتقر في الضمائر والأخلاد، وتصبح واقعاً مطبّقاً.
5. ثم يأخذ في تصوير وقعة الأحزاب وبني قريظة تصويرًا حيًا، يتناول بيان نعمة الله على المؤمنين، إذ رد عنهم كيد الأحزاب والمهاجمين، ونصرهم عليهم بالرياح، وبالملائكة جنود الله.
6. وهذا إلى جانب عرض تصورات المؤمنين الصادقين للموقف، وتصورات المنافقين والذين في قلوبهم مرض والمخذّلين.
7. تناولت السورة إشارة غير صحيحة إلى موضوع تزويج زينب بنت جحش القرشية الهاشمية بنت عمة رسول الله ﷺ من زيد بن حارثة مولاه.
8. بينت السورة حكم المطّلقات قبل الدخول، وهو إذا طُلِّقت المرأة قبل الدخول بها، فليس لها عدة.
9. تتضمن السورة سؤال الناس عن الساعة.

خامسًا: أسباب نزول السورة

إن لبعض آيات هذه السورة أسباب نزول مرفوعة إلى النبي ﷺ، نذكر منها على سبيل المثال[1]:

1. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [الأحزاب: ٥]، نزلت في زيد بن حارثة عندما تبناه النبي ﷺ[2].
2. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، نزلت في أنس بن النضر، حين غاب عن غزوة بدر، وحضر أُحد، فقُتل فيها، ووجدوا به بضعاً وثمانين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، وما عُرف إلا ببنانه[3].

---

(1) الصحيح المسند من أسباب النزول للهمداني الوادعي (ص: 162-170).

(2) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الأحزاب، حديث رقم: 3209 (353/5)، وقال: حديث حسن صحيح.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القتال، باب غزوة أحد، حديث رقم: 4048 (19/4).

3. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، نزلت هذه الآية عندما أتت أم عمارة الأنصارية إلى النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء[1].

4. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، نزلت في زينب بنت جحش، وكانت تفاخر بين زوجات النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهلكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات[2].

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الأحزاب، حديث رقم: 3211 (354/5)، وقال حديث حسن غريب.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، حديث رقم: 7420 (124/9).

المطلب الثاني: المناسبات في السورة

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها (السجدة)

افتتح الله سبحانه سورة الأحزاب بأمر نبيه باتقائه ونهيه عن الصغو إلى الكافرين والمنافقين، واتباعه ما يوحى الله إليه تنزيها لقدره عن محنة من سبق له الامتحان ممن قُدِّم ذكره في سورة السجدة، وأمراً له بالتسليم لخالقه والتوكل عليه، ولما تحصل من السورتين في عدم القدرة على هداية الكافرين والمشركين، كان ذلك مظنة لتيئيس نبي الله ﷺ وصالحي أتباعه ، فلهذا أعقب سورة السجدة بهذه السورة المضمنة من التأنيس والبشارة ما يجرى على المعهود من لطفه تعالى وسعة رحمته، فافتتح سبحانه السورة بخطاب نبيه بالتقوى وإعلامه بما قد أعطاه قبل من سلوك سبيل النجاة، فأصبحت كالتتمة لما ختمت به تلك السورة حتى كأنهما سورة واحدة[1].

ثانيًا: مناسبة السورة لما بعدها (سبأ)

لما ختمت سورة الأحزاب بأنه سبحانه عرض أداء الأمانة وحملها، وهي جميع ما في الوجود من المنافع، على السماوات والأرض والجبال، فأشفقن منها وحملها الإنسان الذي هو الإنس والجان، وأن نتيجة العرض والأداء والحمل العذاب والثواب، فعلم أن الكل ملكه وفي ملكه، خائفون من عظمته مشفقون من قهر سطوته وقاهر جبروته، وأنه المالك التام الملك والملك المطاع المتصرف في كل شيء من غير دفاع، وختم ذلك بصفتي المغفرة والرحمة، دل على ذلك كله بأن ابتدأ سورة سبأ بإقرار ملكية ما في السماوات والأرض لله ﷻ، وذِكر الآخرة التي فيها الحساب والعقاب على أداء الأمانة في الدنيا[2].

ثالثًا: مناسبة محور السورة لفاتحتها وخاتمتها

لما كان محور السورة يتحدث عن الجماعة المسلمة تحدثت السورة عن آداب اجتماعية، وأحكام تشريعية جديدة لتوضيح غاية الإسلام، والالتزام بهذه الآداب والأحكام يتطلب الامتثال لتقوى الله الذي بدأت به السورة؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ١]، وعدم الالتزام به يوجب العذاب للكافرين والمنافقين، كما يوجب للالتزام به الرحمة والمغفرة، لذلك اختتمت السورة بتوعد الكافرين بالعذاب، وبتوبة الله ﷻ على المؤمنين ومغفرته لهم؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لِّيُعَذِّبَ

---

(1) البرهان في تناسب سور القرآن للغرناطي (ص: 279-280)، أسرار ترتيب القرآن للسيوطي (ص: 124).
(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (15/ 428-429).

ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٣]

رابعًا: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها

بدأت السورة بتوجيه الرسول ﷺ إلى طاعة الله وعصيان الكافرين والمنافقين، واتباع وحي الله، والتوكل عليه وحده دون سواه. والتي تضمنت توجيهات وتشريعات يقوم عليها نظام المجتمع الإسلامي، خالصاً لله، متوجهاً له، مطيعاً لتوجيهاته، بهذا الإيقاع تختم السورة بالأمر بطاعة الله وتحمّل الأمانة، وعدم طاعة المنافقين والمشركين، فيتناسق بدؤها وختامها، مع موضوعها واتجاهها. ذلك التناسق المعجز[1].

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (5/ 2885).

المبحث الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير في السورة

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: في الجانب العقدي

المطلب الثاني: في الجانب التربوي والأخلاقي

المطلب الثالث: في الجانب التشريعي والسياسي

المطلب الرابع: في الجانب الدعوي

المطلب الأول

في الجانب العقدي

ويشتمل على عشر منهجيات:

المنهجية الأولى: دوام التقوى ارتقاء إيماني

المنهجية الثانية: وحدة العقيدة قوة أكيدة

المنهجية الثالثة: ما خاب من توكل على الله ﷻ

المنهجية الرابعة: الإيمان بقضاء الله وقدره تسليم وانقياد

المنهجية الخامسة: الاقتداء بالرسول ﷺ طريق الوصول

المنهجية السادسة: الثواب لمن أطاع والعقاب لمن عصى

المنهجية السابعة: مبدع الشيء مالكه

المنهجية الثامنة: مهمة الأنبياء دعوة واصطفاء

المنهجية التاسعة: علم الغيوب عند علّام الغيوب

المنهجية العاشرة: نار جهنم لمن ابتعد عن منهج الله ﷻ

المنهجية الأولى: دوام التقوى ارتقاء إيماني

يخاطب الله تعالى نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم آمراً إياه بأعظم الوصايا وأفضلها؛ ألا وهي تقوى الله تعالى التي هي أساس كل الخير والبر في هذه الحياة، والخطاب هنا بمعنى دُم على التقوى[1]، والتقوى كما يعرفها الإمام علي رضي الله عنه: (هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضى بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل)، وفي تعريفها يقول طلق بن حبيب[2]: أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، مخافة عذاب الله[3].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الأحزاب:1]

المعنى الإجمالي

يذكر الدكتور الزحيلي في تفسيره روايةً لسبب نزولها فيقول: "أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن أهل مكة، ومنهم الوليد بن المغيرة، وشيبة بن ربيعة دعوا النبي صلّى الله عليه وسلّم أن يرجع عن قوله، على أن يعطوه شطر أموالهم، وخوّفه المنافقون واليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه، فنزلت الآية"[4].

فما أعظم وأجلّ هذه المعاني التي يُخاطَب بها رأس الأمة الإسلامية، وهي بذلك ليست له فحسب ولا يقتصر الأمر فيها على النبي ﷺ وحده، بل هي عامة لجميع المسلمين ولأمة الإسلام عامة، لأن أمر النبي بذلك وهو الأعلى يقتضي امتثال أمته لهذا الأمر من بعد وهم الأدنى، وذلك حتى تكون قاعدة صلبة تسير عليها الأمة[5]، وهو ما يشير إليه الإمام الفخر

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للمحاربي، (367/4).

(2) تابعي جليل، روى عن أنس وجابر وابن الزبير وابن عباس، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة، ولكن تكلّموا فيه من جهة أنه كان يقول بالإرجاء، وكان طلق لا يخرج إلى صلاة إلا ومعه شيء يتصدق به، وإن لم يجد إلا بصلاً، قال مالك: قتله الحجّاج وجماعة من القراء منهم سعيد بن جبير. (البداية والنهاية لابن كثير (119/9).

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (375/6).

(4) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي، (227/22).

(5) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن، (408/3) ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (375/6).

الرازي في الفرق بين النداء بيا أيها دون النداء بأداة النداء يا فقط، حيث ذكر أن النداء هنا للدلالة على خطر الخطب والأمر المنادَى له[1].

ثمار المنهجية السابقة:

1. تقوى الله هي من أكثر ما يدخل الناس الجنة، ورد عن النبي فيما أخرجه الترمذي قال: عن أبي هريرة قال: سئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: "تقوى الله وحسن الخلق"[2].

2. وتقوى الله تعالى تكون بطاعته وأداء فرائضه وواجب حقوقه عليك، والانتهاء عن محارمه وانتهاك حدوده[3]، وفي هذا المعنى يقول صاحب الكشاف: واظب على ما أنت عليه من التقوى، واثبت عليه، وازدد منه، وذلك لأن التقوى باب لا يبلغ آخره[4].

3. والأمر التالي للتقوى هو الطاعة المطلقة لله تعالى وعدم الالتفات إلى الكافرين الذين جعلوا شرط جلوسهم مع النبي طرد أتباعه الذين يعتبرونهم ضعفاءهم والمنافقين الذين يظهرون الإيمان ومحبتك ويبطنون الضغينة والحقد على دعوتك وأصحابك فلا تستشرهم فهم أعداء لك، وقيل الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة ومن وحي الخطاب الرباني يتضح أن الضغط من الكافرين والمنافقين على النبي كان كبيراً لذلك اقتضى التنبيه إلى عدم الطاعة لهم بأي حال من الأحوال[5].

4. والنهي عن طاعة الكافرين والمنافقين لما يمتازون به من الإفساد، ويسعون لتحقيق منافعهم الشخصية[6] حتى وان كانت هذه المنافع تتعارض مع الدعوة والحق والصواب.

---

(1) مفاتيح الغيب للرازي، (153/25).

(2) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث 2004، (431/3)، وقال: حديث صحيح غريب.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (202/20).

(4) الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري، (519/3).

(5) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، (202/20) ، تفسير القرآن للسمعاني، (256/4) ، في ظلال القرآن، لسيد قطب، (2822/5).

(6) انظر: الخواطر للشعراوي (11902/19).

5. أبرزت الآية أنه لا طاعة لأي أحد في معصية الله تعالى، أخرج الإمام أحمد في مسنده قال: عن علي عن النبي ﷺ قال: "لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل"[1].

المنهجية الثانية: وَحدة العقيدة قوة أكيدة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب:4]

أشار الشهيد سيد قطب[2] إلى هذا المعنى، فقال في تفسيرها بهذا المعنى: إنه قلب واحد، فلا بد له من منهج واحد يسير عليه. ولا بد له من تصور كلي واحد للحياة وللوجود يستمد منه. ولا بد له من ميزان واحد يزن به القيم، ويقوّم به الأحداث والأشياء. وإلا تمزق وتفرق ونافق والتوى، ولم يستقم على اتجاه[3].

ولا يملك الإنسان أن يستمد آدابه وأخلاقه من معين ويستمد شرائعه وقوانينه من معين آخر ويستمد أوضاعه الاجتماعية أو الاقتصادية من معين ثالث ويستمد فنونه وتصوراته من معين رابع، فهذا الخليط لا يكوّن إنساناً له قلب. إنما يكون مزقاً وأشلاءً ليس لها قوام![4]

ثمار المنهجية السابقة:

1. صاحب العقيدة لا يملك شخصيتين أو أكثر ليقول عن فعل فعله فعلت ذلك بصفتي الشخصية، وفعلت غيره بصفتي الإسلامية! كما يتحدث الساسة وأصحاب المقامات الاجتماعية، فالشخص واحد والقلب واحد كما العقيدة واحدة[1].

---

(1) أخرجه أحمد، كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة، باب من مسند علي بن أبي طالب، حديث رقم 1095، (333/2)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (1250/2).

(2) سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف. ثم مراقباً فنياً للوزارة. وأوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أميركا ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الإسلامية. وبنى على هذا استقالته 1953 في العام الثاني للثورة. وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى ان صدر الأمر بإعدامه، فأعدم عام 1967. الأعلام للزركلي (3/ 147)

(3) في ظلال القرآن لسيد قطب (2824/25).

(4) انظر المرجع السابق.

2. فالإسلام منهج واحد، وطريق واحد، ووحي واحد، واتجاه واحد. وهو استسلام لله وحده. فالقلب الواحد لا يعبد إلهين، ولا يخدم سيدين، ولا ينهج نهجين، ولا يتجه اتجاهين. وما يفعل شيئا من هذا إلا أن يتمزق ويتفرق ويتحول إلى أشلاء وركام![2].

3. شقاء الناس بتعدد المناهج، وتعدد الفكر، وأشارت الآية إلى أهم قضية، وهي وحدة المصدر والمنهج.

المنهجية الثالثة: ما خاب من توكل على الله ﷻ

إن التوكل على الله تعالى عبادة عظيمة، ولها أثر كبير في حياة الفرد والمجتمع، فمهما أحاطت الأخطار، وأُحيكت المؤامرات للإنسان، فإنه يبقى مطمئناً إلى أن الله ﷻ قد تكفّل به، وأن أمر الإنسان كله إلى الله صائر، فقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣]، ومن كان حسبه الله ارتاحت نفسه، واطمأن قلبه، فلا أمر ولا حكم لأحد دون مشيئة الله ﷻ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٣]

والتوكل إظهار العجز والاعتماد على غيرك، والاسم التكلان، واتكل على فلان في أمره إذا اعتمده[3]، قال بعض السلف: من سره أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله، فالقوة مضمونة للمتوكل، والكفاية والحسب والدفع عنه، وإنما ينقص عليه من ذلك بقدر ما ينقص من التقوى والتوكل[4]، فهذا أعظم ما يتمناه المرء ويطلبه، ولذلك فالتوكل على الله تعالى يورث المرء الشجاعة والإقدام.

يقول ابن القيم: قاعدة التوكل على الله نوعان أحدهما توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية، والثاني التوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية ومتى توكل

---

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (2824/25).

(2) المرجع السابق (2825/25).

(3) مختار الصحاح (ص: 344).

(4) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية (2/ 331).

عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضا لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه[1].

وهناك فرق كبير بين التوكل بمعناه السابق، وبين التواكل، فالتوكل هو إتمام القيام بالأسباب، وبذل كل جهد مستطاع في ذلك، ثم انتظار النتائج وفق المشيئة الربانية، أما التواكل فهو التقاعس والكسل والجبن؛ وعزو ذلك كله إلى قدرة الله ﷻ وإرادته، ولذلك نرى النبي ﷺ يرشدنا إلى الطريق السليم في التوكل على الله، فعن عمر بن الخطاب، يقول: إنّه سمع نبي الله ﷺ يقول: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا"[2].

التواكل يؤثر في المجتمع، ويترك فيه آثاراً واضحة منها: ترك الأخذ بالأسباب، وإهمال عمارة الأرض، والانحراف في عقيدة القضاء والقدر، وعدم إحساس الإنسان بمسئوليته عن خطئه حين يخطئ، والانصراف عن الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإفساد التوازن الدقيق الجميل الذي يحدثه الإسلام الصحيح في النفس[3].

وفي حديث آخر حين جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال الرجل: يا رسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: "اعقلها وتوكل"[4]، فهذا دليل نبوي واضح على أن المرء لا يتقاعس عن العمل والأخذ بالأسباب، وإنما يأتي من الأسباب ما استطاع والنتائج في كل الأحوال راجعة إلى الله ﷻ.

ثمرات المنهجية السابقة:

1. توكل الإنسان المسلم على الله ﷻ يورث قوة وشجاعة، تعين العبد على إتمام أمره، والعمل والعطاء دون الخوف من أحد مهما علا شأنه وعظمت قوته.
2. إن التوكل على الله في كل أمر واجب وفرض على كل مسلم، وهذا الأمر يُوجب على المرء أن يعمل ويُفني كل ما لديه من أسباب، ويوكل أمر النتائج وتحقيق المراد إلى الله، فالخيرة فيما اختاره الله، وأي اختيار حتى وإن لم يوافق هوى الإنسان ورغبته هو خيرٌ له.

---

(1) الفوائد (ص: 86).

(2) أخرجه أحمد في المسند، مسند الخلفاء الراشدين، مسند عمر بن الخطاب ﷺ، حديث رقم: 205 (1/ 332)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (620/1).

(3) كيف ندعو الناس محمد قطب (ص: 150).

(4) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، حديث رقم: 2517 (668/4)، وقال: حديث غريب.

3. يجب ألا يقع الإنسان المسلم في التواكل، لما يورث معصية الله أولاً، ثم التقاعس والكسل، وعدم السعي لتحقيق الأمر؛ وهو ما ينافي أمر الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

المنهجية الرابعة: الإيمان بقضاء الله وقدره تسليم وانقياد

وتتجلى قمة الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره في تسليم المؤمنين بأمر الله تعالى والتزامهم بأوامر رسول الله ﷺ يوم الخندق حين اجتمع الأحزاب وهم: غطفان بقيادة عيينة بن بدر[1] وقريش بقيادة أبي سفيان بن حرب ويهود بني قريظة[2]، حيث أخرج البيهقي في دلائل النبوة عن حذيفة بن اليمان قال: لقد رأيتنا ليلة الأحزاب، ونحن صافون قعودا، وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا، وقريظة أسفل منا، نخاف على ذرارينا، وما أتت قط علينا ليلة أشد ظلمة، ولا أشد ريحا منها، فجعل المنافقون يستأذنون النبي صلّى الله عليه وسلّم إن بيوتنا عورة، وما هي بعورة، فما يستأذن أحد منهم إلا أذن له، فيتسللون، إذ استقبلنا النبي صلّى الله عليه وسلّم رجلًا رجلًا حتى أتى علي، فقال: ائتني بخبر القوم، فجئت، فإذا الريح في عسكرهم، ما تجاوز عسكرهم شبرا، فو الله، إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم، الريح تضربهم، وهم يقولون: الرحيل الرحيل، فجئت، فأخبرته خبر القوم، وأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب:9][3].

---

(1) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية الفزاري. قال ابن السكن: له صحبة وهو من المؤلفة قلوبهم ولم يصح له رواية. أسلم قبل الفتح وشهد حنينا والطائف. وكان ممن ارتد بعد وفاة النبي وتابع طليحة ثم عاد إلى الإسلام وكان فيه جفاء سكان البوادي. وفي صحيح البخاري أن عيينة قال لابن أخيه الحر بن قيس: استأذن لي على عمر فلما دخل قال: ما تعطي الجزل ولا تقسم بالعدل فغضب عمر فقال الحر: إنه من الجاهلين وقال الله: «وأعرض عن الجاهلين» فتركه عمر لأجل ذلك. (الإصابة: 4/ 767).

(2) انظر تفسير مجاهد، (ص:547)، جامع البيان في تأويل القرآن (214/20).

(3) التفسير المنير للزحيلي (261/21).

المعنى الإجمالي:

وتمثل المؤمنون بأسمى معاني الإيمان بالقضاء والقدر في هذه المعركة حيث ثبتوا جميعهم مع رسول الله ﷺ متمثلين قوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١]، إلا المنافقون الذين أتوا بحجج واهية ليتركوا المعركة والقتال مع النبي ﷺ والمؤمنين.

وتحقق في المسلمين يوم هذه الواقعة درجتي الإيمان بالقضاء والقدر وهما:

الأولى: الإيمان بأن الله عليم بما يعمل الخلق بعلمه القديم الذي هو موصوف به، حيث أنه أول ما خلق الله القلم وقال له: اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد[1].

الثانية: بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وما في هذا الكون من شيء إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات[2].

ثمار المنهجية السابقة:

1. لا شك أن الإيمان بالقضاء والقدر له أثر عظيم على حياة المرء، فلا يشرع الله تعالى شيئاً إلا بحكمة بالغة ومن أثر الإيمان بذلك أنه يصحح للمسلم إيمانه ويكمله له ويجعله مستجيباً لأمر الله سبحانه وتعالى، ومنه انه يجعله مقداماً شجاعاً لأن ما قُدِّر له سيأتيه وما لم يقدَّر له لن يأتيه فتراه يجتهد في العبادة والطاعة حتى يموت وهو على هذا الله.
2. أبرزت الآية أن ما آلت إليه أحوال الأمة الإسلامية من تراجع وذلة ما كان إلا بعدما تهاونت الأمة في الإيمان بقضاء الله وقدره وابتعادهم عن طلب العون والأجر من الله تعالى، فأصبحوا يتسابقون في التسلح العسكري ومنظومات الدفاع والهجوم دون التمسك بسبب النصر الوحيد ألا وهو الاعتصام بحبل الله، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فعزُّ الأمة ونصرها وتقدمها بين الأمم بتوكيل أمرها لله سبحانه وتعالى والتمسك بنهجه القويم والإيمان الحقيقي بمعاني القضاء والقدر، ثم إعداد ما دون ذلك من أسباب فكرية وأمنية وعسكرية وغيرها.

---

(1) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة ن والقلم، حديث رقم 3319، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(2) انظر قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، لأبي الطيب البخاري القِنَّوجي، (ص:88).

المنهجية الخامسة: الاقتداء بالرسول طريق الوصول

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:21]

المعنى الإجمالي:

يقول الماوردي: تفسير هذه الآية الكريمة من وجهين: أحدهما: أي مواساة عند القتال، قاله السدي، الثاني: قدوة حسنة يتبع فيها، والأسوة الحسنة المشاركة في الأمر يقال هو مواسيه بماله إذا جعل له نصيباً. وفي المراد بذلك وجهان: أحدهما: الحث على الصبر مع النبي ﷺ في حروبه. الثاني: التسلية لهم فيما أصابهم فإن النبي ﷺ شُج وكُسِرَت رباعيته وقتل عمه حمزة[1] وهو الرأي الذي مال إليه كثير من المفسرين في كون النبي ﷺ قد مضى بدعوته رغم هذا الأمر ورغم ما لاقاه من آلام ومصاعب دون أن يخشى في الله لومة لائم[2].

ثم جاءت الفاصلة القرآنية لتتناسب مع معنى الآية العظيم باتباع النبي ﷺ ولزوم الاقتداء به، ثم رجاء الله تعالى واليوم الآخر فنبهت الفاصلة على ضرورة الإكثار من ذكر الله تعالى، لما للذكر من أجر عظيم أشارت إليه آيات كثيرة في القرآن، منها قوله تعالى: وأحاديث نبوية جمّة في هذا المجال منها ما رواه أحمد وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ)[3].

وروى ابن المبارك[4] في رقائقه عن مجاهدٍ قال: لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات حتَّى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً [5].

---

(1) النكت والعيون للماوردي، (388/4).

(2) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (270/4)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (862/1)، إيجاز البيان عن معاني القرآن لنجم الدين النيسابوري (670/2).

(3) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الذكر، حديث رقم: 3792، (2/ 1246)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وصححه ابن حبان.

(4) عبد الله بن المبارك. مولى بني حنظلة. قدم بغداد وحدث بها فقيه عابد مجاهد، صاحب التصانيف. ولد سنة ثمان عشرة ومائة. وتوفي سنة إحدى وثمانين ومائة. (الطبقات الكبرى (ص: 191)).

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (341/4).

ثمار المنهجية السابقة:

1. كون النبي ﷺ قائد المسلمين، يجب أن يكون القدوة التي تُتبع، وعلى جميع المسلمين أن ينظروا إلى أقواله وأفعاله ويقتدوا بها؛ لذلك جاء العتاب الإلهي للمتخلفين عن النبي ﷺ وصحابته المجاهدين الذين بقوا في المدينة فالأولى والأجدر بهم أن يرافقوا النبي حيث ذهب ويشاركوه حيث كان ولا يتخلفوا عنه[1].

2. لقد مثّل النبي ﷺ شخوصاً عديدة؛ فكان القائد العسكري البارع، والسياسي المحنّك، والأب الحنون والزوج العطوف، والصديق المخلص الوفيّ.

3. فقد خصّ الله تعالى المؤمنين بهذه الأسوة فقال: ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾ والمعنى أن الأسوة برسول الله ﷺ إنما كانت لمن يرجو الله واليوم الآخر وفيه قولان: أحدهما: يرجو ما عنده من الثواب والنعيم قاله ابن عباس، والثاني: يخشى الله تعالى ويخشى البعث قاله مقاتل ورجاء الله تعالى تابع للمعرفة به ورجاء اليوم الآخر ثمرة العمل الصالح[2].

4. النبي ﷺ يمثّل رأس الهرم في الدولة لذلك يجب على القادة والزعماء أن يقتدوا به، لأن الاقتداء به امتثال لأمره، وتنفيذاً لمنهجه.

المنهجية السادسة: الثواب لمن اطاع والعقاب لمن عصى

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب:24]

وهذا وعد الله المتجدد لعباده المؤمنين بالثواب على صدقهم ووفائهم بعهد الله تعالى، فهذا المبدأ الذي رسخ في نفوس المؤمنين من خلال حث القرآن الكريم للمؤمنين على تفعيله في حياتهم فقد قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وقد ورد في

(1) انظر جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (235/20).

(2) زاد المسير في علم التفسير لأبب الفرج الجوزي (455/3)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي (377/4)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (24/3).

الحديث الصحيح حيث قال رسول الله ﷺ: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل"[1]، وكذلك فعلى العكس فالعذاب مصير المكذبين والمنافقين ومن حذا حذوهم جزاءً على ما اكتسبت أيديهم في الدنيا من مخالفة لأوامر الله سبحانه وتعالى ومخالفة لأوامر رسول الله ﷺ ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴾ [يونس: ٥٢].

المعنى الإجمالي:

فالمؤمنون الصادقون صدقوا بنذرهم ووعدهم لله فمنهم من قضى نحبه بشهادة في سبيل الله تعالى ومنهم من ينتظر دوره في الشهادة وما بدلّوا ولا غيّروا بنذرهم مع الله، أما المنافقين فقد بدّلوا وغيروا فقد عاهدوا الله بأن ﴿ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ ﴾ [الأحزاب: ١٥]، ولكنهم ولوا الأدبار وأخلفوا عهدهم لذلك كان التهديد الإلهي لهم بالعقاب والعذاب[2].

ثمار المنهجية السابقة:

1. لا يختلق الإنسان لنفسه أعذاراً بتعليق الطاعات والخطايا بمشيئة الله، فكل الأمور تسير بمشيئة الله تعالى، ولكن للإنسان مساحة من الحرية في الاختيار حتى ينال الثواب جزاء اختياره للطريق القويم المستقيم، أو أن ينال العقاب جزاء اقترافه من السيئات والمعاصي بإرادته، قال تعالى: ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾ [البلد: ١٠].
2. إيمان الأمة بهذه الجزئية من العقيدة يجعلها تجتهد في الطاعات ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى، لما يترتب على هذه الطاعة من عظيم الأجر لهم في الدنيا والآخرة، والآيات الدالة على ذلك كثيرة في كتاب الله تعالى، أما في السنة النبوية فالبشارات عظيمة وكبيرة لمن أطاع الله ورسوله، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى" قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: "من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى"[3].

---

(1) أخرجه أحمد في المسند، باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم 7504، (472/12)، وصححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (911/2).

(2) انظر مفاتيح الغيب، للرازي (163/25).

(3) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم 7280 (92/9).

3. فيما سبق بشارة عظيمة لمن يطع الله ورسوله بدخول الجنة وهي منية الأخيار الأطهار، ومسألة العُبَّاد الزُّهَّاد، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرءوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧] [1].

4. وأما إن خالفت الأمة نهج الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ فلا شك أن التراجع والذلة والهوان ستكون لها في الدنيا، والعقوبة والعذاب ستكون مصيرها في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤]، وما تراجع أمة الإسلام في عصرنا وتقهقر قوتها، وقلة ذكرها، إلا عقوبة ابتعادها عن منهج الإسلام العظيم، الذي هو منهج حياة كاملة، بجميع جوانبها العقدية والشرعية والتربوية والعسكرية والأمنية وغيرها.

5. فإصلاح حال الأمة اليوم وتغيير واقعها لتعود إلى مكانها الريادي لا يكون إلا بالعودة إلى هذا المنهج والتمسك به ففيه النجاح والفلاح، واقتفاء أثر الأنبياء والصالحين الذين سادوا الأمم وارتقوا أعالي القمم بهذا المنهج العظيم، وهذا الأمر راجع إلى نفوس المسلمين أنفسهم فباب العودة والإنابة مفتوح، فكأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى، والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم أو المراد بها التوفيق للتوبة. إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً لمن تاب[2].

المنهجية السابعة: مبدع الشيء مالكه

إن صانع الشيء يملكه بمجرد صنعه، فكيف بمن خلق السماوات والأرض وما بينهما، إن الأحق بملكهما، فهو الأعلم بشؤون خلقه، وإن سنة الله في الأرض تقتضي معاقبة من يقف أمام دعوته، وهنا تأتي العقوبة الربانية لمن ساند قريشًا وغطفان في قتالهم مع النبي ﷺ،

(1) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث رقم 3244 (118/4).

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، (229/4).

ووقوفهم معهم ونكثهم عهدهم مع رسول الله وهم بنو قريظة، يقول: أنزلهم من صياصيهم[1]، أي أنزلهم من حصونهم وقصورهم[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب:26-27]

المعنى الإجمالي:

بسبب نقضهم عهدهم مع رسول الله ﷺ غزاهم بعد الخندق بستة عشر يوماً قال قتادة: نزل عليه جبريل وهو عند زينب بنت جحش يغسل رأسه فقال عفا الله عنك ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة، فانهد إلى بني قريظة فإني قد قلعت أوتادهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال وبلبال، فسار إليهم فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة حتى نزلوا على التحكيم في أنفسهم[3]. وفيمن نزلوا على حكمه قولان: أحدهما: أنهم نزلوا على حكم سعد بن معاذ[4] فحكم فيهم أن يقتل مقاتلوهم ويسبى ذراريهم وأن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار فقال قومه: آثرت المهاجرين بالعقار علينا ، فقال: إنكم ذوو عقار وليس للمهاجرين فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال (قُضِيَ فِيهِم بِحُكْمِ اللَّهِ) قاله قتادة. الثاني: أنهم نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحكموا سعداً لكن أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد فقال: (أَشِر عَلَيَّ فِيهِم) فقال: لو وليتني أمرهم لقتلت مقاتليهم ولسبيت ذراريهم ولقسمت أموالهم فقال: (وَالَّذِي

(1) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (243/20).

(2) تفسير الإمام مجاهد (ص:549).

(3) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الغسل بعد الحرب والغبار، مختصراً.

(4) سعد بن معاذ بن النعمان، أسلم على يد مصعب بن عمير، لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يعلّم المسلمين، فلما أسلم، قال لبني عبد الأشهل: كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تسلموا، فأسلموا، فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام، وشهد بدراً، وتوفي بعد وقعة بني قريظة التي كانت سنة 5 هـ، بعدما أصيب في أكحله. (أسد الغابة (2/ 461)).

نَفْسِ بِيَدِهِ لَقَدْ أَشَرتَ عَلَيَّ فِيهِم بِالَّذِي أَمَرَنِي اللَّهُ بِهِ)[1] وروي ذلك عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبيه[2].

وذلك العقاب هو جزء من العقوبة المذكورة لمن يحارب الله ورسوله والمؤمنين، وقد تعددت أشكال عقابهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣]، فعقابهم في الدنيا خزي لهم سواء أكان قتلاً أم صلباً أم تقطيع الأطراف من خلاف أم النفي من الأرض فكلها تؤدي إلى ذلة ومهانة في الدنيا بين الناس، ثم إذا رُدُّوا إلى دار الآخرة للحساب كان لهم العذاب الأليم.

ثم كان بعد إخراج بني قريظة قذف الرعب في قلوبهم جزاءً بما فعلوا بالمؤمنين، لأنهم كانوا مالؤوا المشركين على حرب رسول الله ﷺ، وليس من يعلم كمن لا يعلم، فأخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليعزوا في الدنيا، فانعكس عليهم الحال، "وانقلب الفال، انشمر المشركون ففازوا بصفقة المغبون، فكما راموا العز ذلوا، وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا، وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة"[3]، وإكمالاً لوصف الأحداث يأتي التفصيل في عقابهم فيذكر الله تعالى ما حلّ برجالهم من القتل وقيل أن عددهم ثلاثمائة، وما حلّ بنسائهم وذراريهم من السبي والأسر وقيل بأن عددهم سبعمائة، وقيل أن عددهم جميعاً ما بين الثمانمائة والتسعمائة[4]، ﴿ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٦].

عن أبي هريرة قال بينا نحن في المسجد خرج رسول الله ﷺ فقال انطلقوا إلى يهود فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس فقام النبي ﷺ فناداهم فقال: "يا معشر يهود أسلموا تسلموا" فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم قال فقال لهم رسول الله ﷺ: ذلك أريد أسلموا تسلموا فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله ﷺ: ذلك أريد ثم قالها الثالثة فقال: "اعلموا أنما الأرض لله

(1) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد، حديث رقم: 1769، (1389/3).
(2) النكت والعيون للماوردي (392/4).
(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (399/6).
(4) انظر النكت والعيون للماوردي (391/4)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص:863)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (533/3).

ورسوله وأني أريد أن أجليكم من هذه الأرض فمن وجد منكم بماله شيئا فليبعه وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ورسوله"[1].

ثمار المنهجية السابقة:

1. جزاء لصبر المؤمنين وثباتهم مع رسول الله ﷺ يكون الأجر وتكون المكافأة، فقد أورثهم الله تعالى ديار الكافرين وأموالهم وأمتعتهم، فقد روي عن النبي ﷺ أنه جعل عقار بني قريظة للمهاجرين دون الأنصار، وقال لهم: إنكم في منازلكم[2]، وبشرى أخرى للمؤمنين بأرض لم يطؤوها من قبل قيل هي خيبر، وقيل مكة، وقيل فارس والروم، وقيل أي أرض كانت إلى يوم القيامة[3].

2. على أمة الإسلام أن تعود بحق إلى النهج السديد والمنهج الرشيد الذي يعيد لها كرامتها، وما حال الذلة والتراجع والاحتلال الذي تعيشه بعض بلدان المسلمين، ومن أهمها أرض المحشر والمنشر أرض فلسطين الطاهرة، وأرض بلاد الرافدين، وبلاد الأفغان المسلمة وغيرها من بلاد الإسلام، ما كان لهذه البلدان أن تقاسي ويلات الظلم والاحتلال إلا بذنوبنا وابتعادنا عن ديننا الحنيف الذي جاء لنا بكل وسائل العزة، والتقدم، والرفعة، والانتصار، ولا يمكن أن نعود إلى سابق عهدنا إلا بالتمسك به والعودة الصحيحة إلى هداه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

المنهجية الثامنة: مهمة الأنبياء دعوة واصطفاء

إن الله ﷻ أرسل المرسلين لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، وهنا نداء لنبينا

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المغازي، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حديث رقم: 4613 (159/5).

(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (27/3).

(3) انظر النكت والعيون للماوردي (393/4)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (27/3)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (230/4)، نظم الدرر في تناسب الآي والسور للبقاعي (335/15).

الكريم ﷺ لتوضيح مهمته المناطة به، إنا أرسلناك شاهداً على أمتك بإبلاغ رسالتك لهم، ومبشراً بالجنة إن صدقوك ونذيراً من النار إن كذبوك وخالفوا ما جئت به[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ [الأحزاب:45-48]

المعنى الإجمالي:

قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ومعاذا فبعثهما إلى اليمن وقال «اذهبا فبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا فإنه قد أنزل علي» وقرأ الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ ﴾ [الأحزاب:45][2]، وفي رواية أخرى أن النبي أرسل معاذاً وأبا موسى[3].

وداعياً إلى توحيد الله تعالى وطاعته والأخذ بهما ومكافحة الكفرة، وهذه الدعوة بتقدير الله لها في وقتها وزمانها، وهذا الأمر من الدعوة لا تفعله من تلقاء نفسك بل هو أمر رباني لك بذلك[4]، وقيل في تفسير ﴿ بِإِذۡنِهِۦ ﴾ لم يرد به حقيقة الإذن، وإنما جعل الإذن مستعارا للتسهيل والتيسير، لأن الدخول في حق المالك متعذر، فإذا صودف الإذن تسهل وتيسر، فلما كان الإذن تسهيلا لما تعذر من ذلك، وضع موضعه، وذلك أن دعاء أهل الشرك والجاهلية إلى التوحيد والشرائع أمر في غاية الصعوبة والتعذر، فقيل: بإذنه، للإيذان بأن الأمر صعب لا يتأتى ولا

(1) انظر جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (281/20)، النكت والعيون للماوردي (410/4)، لطائف الإشارات للقشيري (166/3).

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (4/ 389).

(3) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، حديث رقم 3038، (65/4).

(4) انظر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (ص:868)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (389/4).

يستطاع إلا إذا سهله الله ويسره[1]، وورد عن النبي ﷺ أنه قال: لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم"[2]

وفي أول السورة خاطب الحق سبحانه نبيه ﷺ بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [الأحزاب: ١] وهنا خاطبه ربه بقوله: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤٨] فالأولى كانت في بداية الدعوة، حين أخذ الكفار يكيدون لرسول الله، فما بالك وقد قويتْ الدعوة، واشتدَّ عودها، لا بُدَّ أنْ يتضاعف كيْد الكافرين لرسول الله.

لذلك يكرر له مسألة ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤٨] ولا يعني ذلك أنني سأُسْلِمك، إنما أنا وكيلك ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤٨][3].

ولما أمر سبحانه بإبلاغ أوامره من غير التفات إلى أحد غيره، وكان من المعلوم أنه لابد في ذلك من محاولات ومنازعات، لا يقوم بها إلا من أعرض عن الخلائق، لما هو مشاهد له من عظمة الخالق، أمر سبحانه بالتوكل عليه[4].

ثمار المنهجية السابقة:

1. نسبة الدعوة إلى رب العالمين هو شرف عظيم لحاملها بما تعطيه من شرف المكانة في الدنيا، وجزيل الأجر والدرجات في الدنيا الآخرة، وهو الأمر الإلهي للنبي الكريم محمّد ﷺ بالخصوص في هذه الآية، وفي غيرها عام لجميع أمته من بعده بأن يسيروا على هذا النهج الذي كان المهمة الرئيسية لقدوتهم الأولى وقائدهم الأعظم، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾ [النحل: ١٢٥].

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 547)

(2) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر، (134/5)، حديث رقم: 4210.

(3) الخواطر الخواطر للشعراوي (19/ 12081).

(4) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (15/ 375).

2. البشرى للمؤمنين بأن لهم فضلاً كبيراً وهو الجنة، قال جابر بن عبد الله: لمَّا أنزل قوله تعالى: إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً الآيات، قالت الصحابة: هنيئاً لك يا رسول الله، فما لَنا؟ فنزلت هذه الآية[1].

3. جزاء الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى والتمسك بنهج النبي محمد ﷺ تكون الفوز بفضل الله العظيم الكبير وهو الجنة التي هي بغية الطالبين، ومحراب المحبين.

4. ولأن الدعوة إلى الله تواجه الكثير من العقبات والمخاطر والآلام جاءت الدعوة الربانية للنبي محمد ﷺ بالصبر على أذى الكفار والابتعاد، فضلاً عن ألا يطيع من الكفار والمنافقين، الذي هو من البداية معرض عنهم ولا يلتفت إلى مضايقاتهم المستمرة وأذاهم المتواصل له ولصحابته الكرام، وعليه فمع هذا المكر وهذه المكائد فعلى النبي ﷺ بالدرجة الأولى، ثم على حملة دعوته ونهجه ورسالته، ألا يلتفتوا إلى إيذاء الكفار والمنافقين لهم، بل يمضوا في طريقهم حتى ينالوا خيري الدنا والآخرة[2].

5. الدعاة في عصرنا عليهم أن يجعلوا من النبي ﷺ قدوة لهم في تحمله للمشاق والمصائب والآلام من أجل نصرة دعوته ورفع راية التوحيد في ربوع جزيرة العرب، ولا يلتفتوا إلى ما يواجههم منها، فلا شك بأن حال المسلمين سيتغير وسيمحى عنها الهوان الذلة والانكسار والانحطاط.

المنهجية التاسعة: علم الغيوب عند علاّم الغيوب

إن أمر الساعة ووقت وقوعها كان الشغل الشاغل والهم الأكبر للكفار والمنافقين يسألون عن أمرها استهزاءً كما كان يفعل المشركون، وامتحاناً كما كان يفعل اليهود إذ إن وقتها قد عُمِّي في التوارة وفي غيره من الكتب[3]، لأنها شيء فوق تصورهم وأمر فوق أفهامهم، لذلك أكثروا من

(1) زاد المسير في علم التفسير للجوزي (471/3-472).

(2) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (547/3)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (234/4)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (36/3).

(3) انظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (46/3)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (239/4).

السؤال عنها وعن وقتها، وعن سفيان بن عُيَيْنَةَ[1] ﷺ قال: كل شيء في القرآن (وما يدريك) فلم يخبره به، وما كان (ما أدراك) فقد أخبره[2].

﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾

المعنى الأجمالي:

أخبر الله سبحانه وتعالى أن الناس سألوا محمداً ﷺ عن الساعة، متى هي؟ وأجاب في نفس السياق بأن علم الساعة وقيامها هو عند الله تعالى لا أحد يمكن أن يتنبأ بها، أخرج البخاري في صحيحه قال: عن أنس عن النبي ﷺ قال: "بعثت أنا والساعة كهاتين" وأشار بالسبابة والوسطى[3].

وفي أكثر من موضع في كتاب الله جل وعلا وردت آيات تتحدث عن الساعة وترجع علمها إلى الله تعالى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ ﴾ [الأعراف: ١٨٧]

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٤٢ – ٤٥]

فمن الآيات السابقة يتضح بأن الساعة في علم الله الغيبي لم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً، أخرج البخاري في صحيحه قال: عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث" قال: ما الإسلام؟ قال: "الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان"، قال: ما الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن

---

(1) سفيان بن عيينة بن أبي عيينة أبو محمد الهلالي مولاهم الكوفي سكن مكة وقال الواقدي ابن عيينة بن أبي عمران مولى بني عبد الله بن رؤيبة من بني هلال بن عامر ولد سنة 107هـ، وخرج إلى الشام فمات بها يوم السبت غرة رجب سنة 198. (الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد (1/ 330)).

(2) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (664/6)

(3) أخرجه البخاري، كتاب الرقائق، باب قول النبي ﷺ بعثت، حديث رقم 6504، (105/8).

تراه فإنه يراك"، قال: متى الساعة؟ قال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربها وإذا تطاول رعاة الإبل البُهْمُ في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله"، ثم تلا النبي ﷺ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية ثم أدبر، فقال: "ردوه"، فلم يروا شيئاً، فقال: "هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم" قال أبو عبد الله جعل ذلك كله من الإيمان[1].

ثمار المنهجية السابقة:

1. إخفاء وقت الساعة فيه دعوة للعبد أن يجتهد في العبادة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، حتى يكون مستعداً لها في أي وقت تقوم[2].
2. إخفاء الساعة من دعائم الحياة في الدنيا، ولو أننا نعلم متى نفارقها لكان لنا نظام آخر في معيشتنا وحياتنا، ولكن الله الحكيم العليم أخفاها لأسرار وحكم هو يعلمها[3].
3. يخاطب الله ﷻ الأمة، لبيان أن الساعة إذا كانت محجوبة عن النبي ﷺ لا يعلم وقتها فكيف بغيره من الناس وفي هذا تهديد عظيم للمستعجلين وإسكات للممتحنين والمشركين؛ ولمن يثبت علم المغيبات للأنبياء والصلحاء وغيرهم من الخلق[4].
4. لا يجوز أن يخوض الإنسان المسلم فيما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من العالمين، ولكن عليه أن يعمل من أجل تلك الساعة.

المنهجية العاشرة: نار جهنم لمن ابتعد عن منهج الله ﷻ

حين بُعث النبي ﷺ بدعوته إلى العالمين، قابله الكفار والمشركون والمنافقون بكمٍّ هائلٍ من التعذيب والصدّ والإيذاء الجسدي من جانب، والاستهزاء والسخرية والإيذاء النفسي من جانب

(1) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم 50، (19/1).
(2) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (248/14).
(3) التفسير الواضح، لمحمد محمود حجازي (121/3).
(4) فتح البيان في مقاصد القرآن للبخاري القِنَوجي (11/ 148)

آخر، وتكذيب دعوة النبيﷺ، وتكذيب البعث والنشور، فاستحقوا التهديد الربّاني لهم بالعذاب والسعير، والتعرض لشي الوجود والجلود على النار[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾ [الأحزاب:64-65]

المعنى الإجمالي:

الله سبحانه وتعالى يؤكد بإنّ أنه طرد الكافرين من رحمته، فلا يبحثون لهم عن منجى، ولا يسألون أحداً شفاعة فقد حقّت كلمة العذاب عليهم، طردهم وأعدّ لهم في الدار الآخرة نار جهنّم شديدة الاتقاد خالدين فيها، لا يجدون من يحول بينهم وبين دخول النار ولا يجدون من يقوم بحمايتهم، ولا من يدافع عنهم[2].

ثمار المنهجية السابقة:

1. محاربة الله تعالى، ومعاندة أوامره، هي السبب الرئيسي في الطرد من رحمته والإبعاد عن كل خير، فتشريدهم وقتلهم ونفيهم عقوبة مستعجلة في الدنيا، جزاء لأفعالهم وإنكارهم وجحودهم، ﴿ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣] فالعذاب المهين في الآخرة هو تكملة لعقوبتهم في الدنيا.
2. عِزُّ المسلمين وسؤددهم يكون بالتمسك بحبل الله المتين وطلب العون والنصرة منه، ذلك لأنه الله لعن الكافرين فلابد أن يكون الخسران والهوان نصيبهم في الدنيا، ونصر المؤمنين وعد الله تعالى لهم، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧].

(1) انظر التفسير الوسيط للزحيلي (2089/3).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (483/6)، المنتخب في تفسير القرآن الكريم للجنة من علماء الأزهر (ص:632)، التفسير الوسيط للقرآن لطنطاوي (250/11)، محاسن التأويل للحلاق القاسمي (116/8).

المطلب الثاني

في الجانب التربوي والأخلاقي

ويشتمل على ست منهجيات:

المنهجية الأولى: الولاية العامة للنبي ﷺ

المنهجية الثانية: زوجات النبي ﷺ أمهات المؤمنين

المنهجية الثالثة: النصر حليف المؤمنين

المنهجية الرابعة: عهد المؤمنين مع الله

المنهجية الخامسة: إرشاد الأمة كشف للغمّة

المنهجية السادسة: أمانة التكاليف وعظمة الثواب

المنهجية الأولى: الولاية العامة للنبي ﷺ

عظيمة هي الأمة التي يكون لها ولي، وما أعظم أن يكون وليها هو رسول الله ﷺ، يقول الطبري في تفسيره؛ عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "ما مِنْ مُؤْمِنٍ إلا وأنا أوْلَى النَّاسِ بِهِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، اقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ (النَّبِيُّ أوْلَى بالمُؤْمِنينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ) وأيُّمَا مُؤمِنٍ تَرَكَ مالا فَلِوَرَثَتِهِ وَعَصَبَتِهِ مَنْ كانُوا، وَإن تَرَكَ دَيْنا أوْ ضياعا فَلْيأْتِني وأنا مَوْلاهُ"[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ [الأحزاب: ٦]

المعنى الإجمالي:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج إلى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا، فنزلت الآية[2].

فالنبي ﷺ أبٌ للمؤمنين؛ لكون كل نبي أب أمته وبذلك أصبح المؤمنون إخوة، وله أن يحكم فيهم بما يشاء وينزلوا على حكمه ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ٦٥]، فإذا دعاهم النبي ﷺ لشيء ودعتهم أنفسهم لشيء آخر فطاعة النبي ﷺ أولى من طاعتهم أنفسهم، يجب عليهم أن يكون أحبّ إليهم من أنفسهم؛ عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"[3]، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقه آثر لديهم من حقوقها قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها وعليهم أن يبذلوا نفوسهم ودمائهم دونه ويجعلوها فداءه، وما ذلك كله إلا لما عُرف من شفقة النبي ﷺ على أمته ونصحه لهم[4].

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (209/20).

(2) انظر معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (608/3)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (91/7).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، حديث رقم 15 (12/1).

(4) انظر تفسير مجاهد (546)، جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (209/20)، معالم التنزيل في تأويل القرآن للبغوي (608/3)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (523/3)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل

وليست ولاية النبي ﷺ وحبّه كلمة تقال، ولكنها مرتقى عال، لا يصل إليه القلب إلا بلمسة لدنية مباشرة تفتحه على هذا الأفق السامي الوضيء الذي يخلص فيه من جاذبية الذات وحبها المتوشج بالحنايا والشعاب، فإن الإنسان ليحب ذاته ويحب كل ما يتعلق بها حبا فوق ما يتصور، وفوق ما يدرك! والتغلب على هذا الحب العميق للذات ليس كلمة تقال باللسان، إنما هو كما قلنا مرتقى عال لا يصل إليه القلب إلا بلمسة لدنية أو بمحاولة طويلة ومرانة دائمة، ويقظة مستمرة ورغبة مخلصة تستنزل عون الله ومساعدته[1].

وهكذا يبني الإسلام أعلى المراتب في الحب والولاء، فتكون محبة النبي ﷺ أولى وأهم شيءٍ في حياة الفرد المؤمن، ورد في الصحيح عن عمر قال: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك"، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الآن يا عمر"[2].

ثمار المنهجية السابقة:

1. وجوب الإقتداء بسنة النبي ﷺ والسير على منهجه وسنتته، لأن ذلك يوصل إلى مرضاة الله تعالى والفوز بجناته، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى" قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: "من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى"[3].
2. النبي ﷺ أولى بالمؤمنين وأمره جارٍ بينهم، وهو أولى بهم في إمضاء الأحكام وإقامة الحدود عليهم لما فيه من مصلحة الخلق والبعد عن الفساد[4]، وهو الأحرص عليهم ليقيهم من عذاب نار جهنم، ويدلهم على طريق الخير والفوز بالجنان.
3. على المؤمنين أن يبذلوا أرواحهم ودمائهم فداءً للنبي ﷺ[1]، فأمّا إن تحدثنا عن هذه الأيام وقد توفي النبي ﷺ؛ فما أكثر الإساءات، وما أعظم الشبهات التي تثار حول النبي

للبيضاوي (255/4)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (17/3)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (380/6)، البحر المديد في تفسير الكتاب المجيد لابن عجيبة (408/4).

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (5/ 2829).

(2) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم 6632، (129/8).

(3) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم 7280، (92/9).

(4) انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (8/8).

ﷺ ودعوته، فواجب على المسلمين –انطلاقاً من هذا الأمر الإلهي– أم يذودوا عن حياض هذا الدين، ويدافعوا عن نبيهم بكل الوسائل التي يمتلكونها؛ الخطابية والكتابية والإلكترونية وغيرها.

المنهجية الثانية: زوجات الرسول ﷺ أمهات المؤمنين

تتمتع زوجات النبي بفضل عظيم، وشرف كبير لكونهنّ زوجات خير البشر وخاتم الأنبياء والمرسلين، لذلك كانت لهنّ مكانة عظيمة أكدّها ووثقها القرآن الكريم إلى يوم الدين، بكونهنّ محرمات كالأمهات، فلا يجوز نكاحهنّ بعد وفاة النبي ﷺ كما لا يجوز نكاح الأمهات.

﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦]

المعنى الإجمالي:

هذه الآية الكريمة تبين مكانة أزواج النبي ﷺ، فهنّ منزلات منزلة الأمهات في التحريم واستحقاق التعظيم، أما ما دون ذلك فهنّ كالأجنبيات[2]، ولذلك فهنّ لسن أمهاتٌ للنساء؛ ورد عن عائشة أن امرأة قالت لها: يا أُمَّه، فقالت لها: لست لك بأمّ، إنما أنا أمّ رجالكم. قال ابن العربي: وهو الصحيح[3]، وعلى ذلك فحرمتهن تكون شعورية كما ذكرنا، ولا تتعدى إلى النظر والميراث، ولا تكون بنات النبي ﷺ أخوات للمؤمنين، ولا يقال لإخوان زوجاته وأخواته أخوال المسلمين وخالاتهم[4].

ولا يجوز لأي إنسان الزواج من زوجات النبي ﷺ بعد وفاته وذلك أوضحته آية لاحقة من السورة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 53]

---

(1) انظر لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (409/3)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (503/15).

(2) انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم لأبي السعود (91/7).

(3) انظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (251/21)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (9/8).

(4) انظر معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (609/3)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم لطنطاوي (176/11)، التفسير الواضح للحجازي (76/3).

منهجيات التغيير والإصلاح:

1. وجوب التوقير والاحترام لزوجات النبي ﷺ، والدفاع عنهنّ، خاصة مع كثرة الإساءات التي تُكَال لنبينا محمد ﷺ وأزواجه ودعوته.
2. إن أمومة زوجات النبي للمؤمنين هي أمومة شعورية فقط، ولا تحمل أحكام الأمومة العادية.

المنهجية الثالثة: النصر حليف المؤمنين

لقد تعهد الله سبحانه في مواضع عديدة بنصر عباده المؤمنين، مهما بلغت قوة أعدائهم، ومهما بلغ عتادهم، حتى وإن كان المؤمنون قلة، ولا يملكون من السلاح والعتاد إلا القليل، ذلك جزاء الله لهم بإيمانهم وتصديقهم بوعد الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وصبرهم، وجهدهم وجهادهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٢]

المعنى الإجمالي:

إن الله سبحانه وتعالى وضع شرطاً لدخول الجنة في موطن سابق حيث قال جلّ وعلا: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ﴾ إلى قوله: ﴿ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤]، فقال بعض أصحاب النبي وقتها: ما أصابنا هذا بعد، فأخبرهم النبي ﷺ أنه نازل ذلك الأمر، فلما كان يوم الأحزاب، تحقق هذا الوعد، وما كان من المؤمنين إلا أن ازدادوا تصديقاً لوعد الله تعالى وقول نبيه وجرأة في القتال والجهاد، وتسليماً وتواضعاً لأمره صلى الله عليه وسلم ويقيناً بأن الجنة والنصر حليفة لهم[1].

وحال المؤمنين هذا بزيادة ثقتهم بنصر الله وتمكينه، هو معاكس تماماً لحال المنافقين المتردد الخائف، الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ ﴾ [الأحزاب: ٢٠][2].

---

(1) انظر بحر العلوم للسمرقندي (53/3)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (394/3)، معاني القرآن وإعرابه لأبي اسحاق الزجاج (222/4)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (862).

(2) لطائف الإشارات للقشيري (3/ 157).

وفي الآية تسلية للمؤمن حيث يبتليه الله تعالى في الدنيا فيصبر فيظفر في الدنيا ويؤجر في الآخرة، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: فيما أخرجه عنه مسلم: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"[1]، وأما من لم يؤمن، فإنه يمتحن في الآخرة بالعذاب، ويفتن به، وهى أعظم المحنتين، هذا إن سلم من امتحانه بعذاب الدنيا ومصائبها، وعقوبتها التي أوقعها الله بمن لم يتبع رسله وعصاهم، فلا بد من المحنة في هذه الدار وفى البرزخ، وفى القيامة لكل أحد، ولكن المؤمن أخف محنة وأسهل بلية، فإن الله يدفع عنه بالإيمان، ويحمل عنه به ويرزقه من الصبر والثبات والرضى والتسليم ما يهون به عليه محنته. وأما الكافر والمنافق والفاجر، فتشتد محنته وبليته وتدوم، فمحنة المؤمن خفيفة منقطعة، ومحنة الكافر والمنافق والفاجر شديدة متصلة[2].

ثمار المنهجية السابقة:

1- الابتلاء سنة الله في خلقه، والنصر حليف المؤمنين، مصداقاً لوعد الله تعالى أولاً بالمس بالبأساء والضراء والزلزلة، ثم الصبر على الابتلاء وبعدها النصر والظفر، وهو حق عباد الله المؤمنين على الله، ومهما عظم البلاء يجب التسليم لقضاء الله واليقين بنصره.

2- الإيمان يزيد وينقص، فكل مؤمن يزيد إيمانه بقربه إلى الله وزيادة طاعته والتزام أوامره، وينقص الإيمان بالابتعاد عن طريق الهدى، والسير خلف الهوى والشيطان[3].

3- ابتلاء المؤمن في الدنيا، وصبره على هذا الابتلاء مهما كان عظيماً وكبيراً، أفضل من نهاية الكافر المهينة، فالمؤمن يصبر ويجزى الجنة، والكافر يتنعم ويخلد في جهنم، فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر: «يا أبا ذر إن الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه والجنة مصيره، يا أبا ذر إن الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره، يا أبا ذر إن المؤمن لم يجزع من ذل الدنيا ولم يبل من أهلها وعزها»[4].

المنهجية الرابعة: عهد المؤمنين مع الله

لا عجب أن يلبِّ المؤمنون نداء الله، نداءه للجهاد والتضحية بالمال والنفس والولد، فهم الذين أُمروا بالوفاء بالعهود، قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾

(1) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم: 2999، (4/ 2295).

(2) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية (2/ 192-193).

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (392/6).

(4) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (6/ 353)

[المائدة:١]، فهم عاهدوا الله ولابد أن يوفوا بعهدهم مع ربهم، تطبيقاً لتربية سيد البشر والمرسلين ﷺ لهم، فينالوا إحدى الحسنيين؛ النصر أو الشهادة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

المعنى الأجمالي:

ما أعظم العهد وما أعظم الوفاء، عهدهم مع الله أن ينصروا دينه ونبيه مهما كلفهم ذلك من ثمن، ووفائهم به دفع الروح رخيصة في سبيل الله، أو الانتظار لموقعة جديدة وصدق مع الله وثبات في سبيله.

يقول مجاهد: {فمنهم من قضى نحبه}، يعني: «عهده فقتل أو عاش»، {ومنهم من ينتظر} يقول: "ينتظر يوما فيه جهاد فيقضي نحبه يعني: عهده بقتل أو صدق في لقاء العدو"[1].

ويُروى في سبب نزول هذه الآية؛ قال أنس بن مالك: عمي الذي سميت به[2] لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدراً، قال: فشق عليه، قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ[3] غُيِّبتُ عنه وإن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليراني الله ما أصنع، قال: فهاب أن يقول غيرها، قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد، قال: فاستقبل سعد بن معاذ، فقال له أنس: يا أبا عمرو أين؟ فقال: واهاً لريح الجنة أجده دون أحد، قال: فقاتلهم حتى قُتِل، قال: فوُجِد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، قال: فقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه، ونزلت هذه الآية ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه[4].

فذلك هو عهد المؤمنين مع الله بالبذل وإرخاص الروح لله، وإننا اليوم أشد احتياجاً إلى أن نصدق في نياتنا وأعمالنا، لعلنا ندرك الصفة التي وصف بها رب العزة والجلال صفوة خلقه،

---

(1) تفسير مجاهد (ص: 549)

(2) هو أنس بن النضر؛ بن ضمضم الأنصاريّ الخزرجي، عمّ أنس بن مالك خادم النبيّ صلّى الله عليه وسلم، غاب عن بدر، وشهد أُحداً وقُتل فيها. (الإصابة في تمييز الصحابة (1/ 281)).

(3) المقصود بها: أول قتال عظيم يشهده رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس أول الغزوات. (انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري (17/ 145))

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، حديث رقم 1903، (1512/3).

وهي الصدق مع الله، هؤلاء الرجال حثهم القرآن الكريم على البذل والعطاء في سبيل الله تعالى، ووعد بقبول الفداء الصادق المستقيم الخاص، وضمن لأصحابه عاجل الثواب وآجله[1].

ثمار المنهجية السابقة:

1- الوفاء بالعهد صفة ملازمة للمؤمنين الصادقين، سواءً اكان عهدهم مع ربهم، أو عهودهم مع الناس، ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾ [المعارج: ٣٢]، ومهما كانت ضريبة هذا العهد باهظة إلا أن الوفاء صفتهم فيه.

2- الجهاد أشرف الأعمال وأعظمها وذروة سنام الإسلام، عن معاذ بن جبل، أن النبي ﷺ قال: "ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله"[2]، وبه عظُم شأن أمة الإسلام، من خلاله يتحقق لأمة الإسلام نصراً، أو يرتقي أبناؤها شهداءً.

3- طريق الجهاد والجنة ليس مفروشاً بالورود والرياحين، وإنما هو طريق شاق له متاعبه وتبعاته، ولكنه طريق المجد والشرف، وبه تنال سلعة الله تبارك وتعالى في النهاية[3]، قال أبا هريرة، قال: رسول الله ﷺ: "من خاف أدلج[4]، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة"[5].

4- على المؤمنين أن يثبتوا على مبادئهم، كما ثبت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على عهدهم مع الله فانتظروا معركة ليصدقوا مع الله فيها فيثبُتوا، أو ينالوا شهادة المجاهدين فينال أجر الشهداء الصادقين.

المنهجية الخامسة: إرشاد الأمة كشف للغمّة

لا شك بأن النبي ﷺ مكلّف بهداية الناس إلى طريق الحق القويم، ومن واجباته أيضًا النصح والإرشاد لهم، وتبيين المنهج الصحيح، حتى وإن كان هذا النصح في أمر يشعر النبي ﷺ بأن فيه وحياً من الله، كما سيتضح ذلك في قصة زيد بن حارثة وزينب بنت جحش ﷺ.

---

(1) دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية (ص: 27-28).

(2) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الأنصار، حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، حديث رقم 22051، (375/36)، وقال عنه الأستاذ الدكتور شعيب الأرناؤوط في تعليقه عليه: صحيح بطرقه وشواهده، وهذا إسناد ضعيف.

(3) دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية لأحمد الحصين (ص: 28).

(4) الدلجة: السير اول الليل، وقيل سير الليل كله (المعجم الوسيط (ص:292)).

(5) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في أواني الحوض، حديث رقم: 2450، (633/4)، وقال: حديث حسن غريب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٧ – ٣٨]

المعنى الإجمالي:

يمضي القرآن الكريم في تحقيق الأوامر الربانية المصحِّحَة لعادات المجتمع الجاهلي، مثل إبطال التبني ورد الأدعياء لآبائهم، ولكن تبعات نظام التبني الجاهلي كانت منتشرة وأحكامها الجاهلية ما زالت قائمة، وإبطال هذه التبعات لم يكن بسهولة إبطال حكم التبني نفسه، وذلك لأن التقاليد المجتمعية أعمق أثراً في نفوس الناس، لذلك لابد من سوابق عملية مضادة، حتماً ستلاقي –هذه السوابق– معارضة واستنكاراً، إلا أنها ستثبّت الحكم الرباني في هذه المسائل[1].

وفي سبب نزولها، عن أنس أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش وزيد بن حارثة[2]. عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو إلى رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش، فقال النبي ﷺ: أمسك عليك أهلك، فنزلت: ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ [الأحزاب: ٣٧][3].

وقد كان زيدٌ عبداً لخديجة فوهبته للنبي ﷺ فتبناه، ثم حُرِّم التبني، فكان مولاه، وقد أنعم الله تعالى عليه بأن هداه للإسلام، وفضله على سائر صحابة رسول الله بالذكر في القرآن، وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالإعتاق والحرية والتقريب منه والتربية[4].

فقد كان زيد بن حارثة ﷺ يدعى "زيد بن محمد" حتى نزل قوله تعالى ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٥]، وكان زيد قد تزوج بزينب بنت جحش، وقد وقع في قلب النبي ﷺ

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب (5/ 2868) بتصرف.

(2) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب وتخفي في نفسك ما الله مبديه، حديث رقم 4413.

(3) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، حديث رقم: 7420، (124/9).

(4) انظر التفسير الواضح للحجازي (97/3)، التحرير والتنوير لابن عاشور (29/22)، تيسير الكريم المنّان للعلامة السعدي (ص:781).

أن لو طلقها زيد لتزوجها، وقد حدث ما اقتضي أن يأتي زيد ﷺ إلى النبي ﷺ فيطلب طلاقه منها، وقد أمره ﷺ بإمساك زوجه عليه، من باب النصح والإرشاد.

وقد عاتب الله ﷻ نبيه الكريم في خوفه من ردة فعل الناس حول تزوجه حليلة متبناه سابقاً ومولاه الآن، وأوضح أن الله تعالى أحق بالخشية من الناس[1].

ويبين تعالى أنه لا حرج على النبي ﷺ فيما فرضه الله عليه من الزواج بالعدد المقدر له من النساء الأبكار منهنّ والمطلقات بما فيهنّ زينب بنت جحش رضي الله عنها، فتلك سنة الله ﷻ في النبيين من قبل كداود وسليمان عليهما السلام[2].

ومما يجدر الإشارة والتنبيه إليه في هذا الموضع؛ هو تلك القصص التي نسجها الأفّاكون حول رسول الله ﷺ، من أنه رأى زينب بنت جحش فوقع حبها في قلبه فوضع يده على قلبه، وقال يا مقلب القلوب ثبت قلب نبيك، فهذا لا يصح أن يُروى عن خير البشر ﷺ[3].

ثمار المنهجية السابقة:

1. جاء هذه الآية مقررة للأمر الإلهي الذي ورد في بداية السورة من إبطال عادة التبني التي كانت مشتهرة عند العرب، وذلك كون النبي ﷺ قدوة المؤمنين الأولى، وليس للمؤمنين الخيرة في تقرير الشرائع السماوية، فزواجه ﷺ من زينب جاء لتقرير هذا المبدأ، وتحقيق المراد الرباني منها[4].
2. على ولي الأمر أن يقدم النصح والإرشاد للمؤمنين حتى وإن كان عنده مقرر سابق، أو علم بأمر آخر، وذلك تقديماً للمصلحة العامة، حتى وإن أخفى الواقع.

المنهجية السادسة: أمانة التكاليف وعظمة الثواب

لقد استخلف الله سبحانه وتعالى الإنسان في هذه الأرض، لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ٦١]، وكلفه فيها بأداء فرائض افترضها عليه، وكتب لفاعلها الأجر، وتاركها ينال الإثم والذنب.

---

(1) انظر أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للشنقيطي (240/6).

(2) انظر زاد المسير في علم التفسير للجوزي (469/3)، مفاتيح الغيب للرازي (170/25).

(3) تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، لابن خمير (ص: 51)

(4) انظر: آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة والاجتهاد، د. عويد المطرَفي (ص: 259-260).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢ – ٧٣].

المعنى الإجمالي:

الأمانة التي حملها الإنسان هي فرائض الله التي افترضها على عباده، من صلاة وصوم، وأمانة المال[1] وهي جملة حقوق الله تعالى وحقوق العباد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]، وقد تكفل بحملها على لسان آدم عليه السلام؛ قال ابن عباس: يعني بالأمانة الطاعة والفرائض، عرضها عليهم –السموات والأرض والجبال– قبل أن يعرضها على آدم، فلم يطقنها، فقال لآدم: إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال، فلم يطقنها، فهل أنت آخذ بما فيها؟ قال: يا رب، وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت، فأخذها آدم فتحملها[2] فما مكث في الجنة إلا قدر ما بين العصر إلى غروب الشمس حتى عمل بالمعصية فأُخرج منها[3]، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، والمراد جنس الإنسان بحسب الأغلب[4].

وقال السيوطي بأن آدم عليه السلام حين تحمّل الأمانة، قال الله سبحانه وتعالى له: فثلاث آمرك بهن فَإنهن لَك عون إِنّي جعلت لَك بصراً وَجعلت لَك شفرتين ففضهما عَن كل شَيْء نهيتك عَنهُ وجعلت لَك لسانا بين لحيين فكفه عن كل شيء نهيتك عَنه وجعلت لك فرجا وواريته فلا تكشفه إِلى ما حرمت عليك[5].

ولقد وصف الله سبحانه وتعالى الإنسان بالظلم والجهل، وهو غير مخير في هذا فتلك صفته بعد حمله للأمانة ودخوله رحلة الامتحان، أما الأمانة الملقاة على عاتقه فهي تشريف

---

(1) انظر فتح البيان في مقاصد القرآن للقِنَّوجي (152/11)، التفسير الواضح لحجازي (124/3).
(2) التفسير المنير للزحيلي (22/ 126–127).
(3) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (337/20).
(4) التفسير المنير للزحيلي (22/ 127).
(5) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (6/ 669).

عظيم من الله تعالى للإنسان[1]، والتمييز بين المؤمن والكافر والمنافق فيكون في توبة الله تعالى عليه[2]، قال تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٣]، ولهذا جاء في الحديث النبوي "كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"[3].

فجعل سبحانه التوبة غاية كل مؤمن ومؤمنة، وكذلك الصبر فإنه لا ينفك عنه في مقام من المقامات[4]، فأمانة التكاليف الشرعية عظيمة وثقيلة، وكذلك فأجرها عند القيام بحقها عظيم وكبير، وقد نفى النبي ﷺ صفة كمال الإيمان عن ناقض الأمانة فقال: "لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له"[5].

ثمار المنهجية السابقة:

1. أمانة أداء التكاليف الشرعية ، هي تكليف رباني عظيم والوفاء بعهد الله تعالى هو أسمى وأعلى العهود.
2. لقد كان الإنسان ظلوماً حين ظلم نفسه فقصَّر عن حمل الأَمانة التي أكرمه الله بها، وكان جهولاً حين جهل عظمة الأَمانة وشرفها وخيرها، وحين جهل أنها ابتلاء من الله يميز به المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عن المؤمنين والمؤمنات الذين صدقوا.
3. المحافظة على أسرار الناس التي اؤتمن عليها والودائع التي تودع لدينا أمانات يلزم الاهتمام بالحفاظ عليها وردها لأهلها، وعندما تنتشر الأمانة وتعم في المجتمع فإن الصورة تكون بالغة الحد من الجمال[6].

---

(1) الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، لعبد الرحمن حبنَّكة (ص:392).

(2) جامع المسائل لابن تيمية (43/4).

(3) أخرجه الترمذي (2422)، وحسنه الألباني في تعليقه على المشكاة (2341).

(4) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم (1/ 153).

(5) أخرجه أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك، حديث رقم 12383 (376/19)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1205/2).

(6) متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار لسليمان الحقيل (ص: 127).

المطلب الثالث

في الجانب التشريعي والسياسي

ويشتمل على تسع منهجيات:

المنهجية الأولى: تحريم ظاهرة الظهار

المنهجية الثانية: تحريم عادة التبني

المنهجية الثالثة: ثواب المحسنات من أمهات المؤمنين

المنهجية الرابعة: بقدر النعمة تكون النقمة

المنهجية الخامسة: طهارة آل البيت

المنهجية السادسة: حكم الطلاق قبل المساس

المنهجية السابعة: أحكام خاصة للنبي ﷺ في النكاح

المنهجية الثامنة: زر غبًّا تزدد حبًّا

المنهجية التاسعة: التزمي الحجاب تبلغي الأسباب

المنهجية الأولى: تحريم ظاهرة الظهار

كان المجتمع الجاهلي يعجُّ بالعادات والتقاليد السيئة، تلك العادات التي ورثها الكفار والمشركون عن آبائهم دون ان يحكموا عقولهم فيها ولو للحظة! وكانوا جميعاً كمن قال القرآن الكريم عنهم: ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤]، وجعلوا من هذه العادات السيئة أسلوباً لحياتهم، وديدن عيشهم، حتى أنهم رأوا فيمن خالف خطأهم أنه على باطل، وخالف عقيدة آبائه وأجداده.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ ﴾ [الأحزاب: ٤]

المعنى الإجمالي:

لقد كان من عادات العرب السيئة؛ عادة الظّهَار، وهي أن يلحق الرجل زوجته بأمه، حيث كان يقول: أنتِ عليّ كظهر أمي، حيث كان يعتبر في الجاهلية إنهاءً للعلاقة الزوجية[1]، فإذا ظاهر الرجل على زوجته صارت معلقة فلا هي مطلقة تحل لغيره ولا هي زوجة فتحل له[2]، أما مع مجيء الإسلام فحرمها وجعل لفاعلها عقوبة وكفارة، وجعلها منكراً من القول وزوراً[3].

وتكمن فكرة الظهار في أن ظهر الأم محرم على الرجل نظراً ومساً لذلك سمي الظهار منكرا من القول وزوراً[4].

وأما أنواع الكفارة التي وضعها الإسلام لهذا الأمر ثلاث: عتقٌ، وصومٌ، وإطعامٌ، فأولها إعتاق رقبة لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ﴾ [المجادلة: ٣]، فإن عجز عن عتق رقبة لعدم وجودها أو لأي سبب كان، فعليه صيام شهرين متتابعين لقوله تعالى: ﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ ﴾ [المجادلة: ٤]، فإن عجز عنه لمرض أو ضعف أو ما شابه فإطعام ستين مسكيناً لقوله تعالى: ﴿ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗا ﴾ [المجادلة: ٤].

---

(1) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (225/4)، الكشاف للزمخشري (521/3)، جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (205/20).

(2) في ظلال القرآن لسيد قطب (2824/5).

(3) فتح القدير للشوكاني (300/4).

(4) انظر: فتح القدير للكمال ابن الهمام (10/ 33).

وأما المقصود بالعوْد بعد الظّهار في الآيات السابقة، فهناك عدة أقوال؛ منها أنه الوطء عن قتادة حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ قال: حرّمها، ثم يريد أن يعود لها فيطأها، وقال آخرون نحو هذا القول، إلا أنهم قالوا: إمساكه إياها بعد تظهيره منها، وتركه فراقها عود منه لما قال، عزم على الوطء أو لم يعزم[1].

وقد روي أن إبطال عادة الظهار شرع فيما نزل من سورة المجادلة عند ما ظاهر أوس بن الصامت[2] من زوجه خولة بنت ثعلبة، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تشكو تقول يا رسول الله، أكل مالي، وأفنى شبابي، ونثرت له بطني. حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي، ظاهر مني. فقال ﷺ: ما أراك إلا قد حرمت عليه. فأعادت ذلك مراراً. فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ١-٤][3]، فجعل الظهار تحريما مؤقتا للوطء – لا مؤبدا ولا طلاقا– له كفارته، وبذلك تحل الزوجة مرة أخرى، وتعود الحياة الزوجية لسابق عهدها[4].

ثمار المنهجية السابقة:

1. جاء الإسلام لينظم علاقة المجتمع بعضه ببعض، ومنه تنظيم العلاقة الزوجية، ووضع ضوابط وحدود لها وفق نظام يضمن حقوق الجميع.
2. إبطال عادة الظهار يسلّم الأسرة من التصدع بسببها، والتي كانت تمثل طرفا من سوم المرأة الخسف والعنت، ومن اضطراب علاقات الأسرة وتعقيدها وفوضاها، تحت نزوات الرجال وعنجهيتهم في المجتمع الجاهلي[5].

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (23/ 229).

(2) أوس بن الصامت ابن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن غوير بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصارى الخزرجى. شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وهو الذى ظاهر من امرأته. قال ابن عباس، رضى الله عنه: وكان ذلك أول ظهار جرى فى الإسلام، وكان شاعرًا، سكن بيت المقدس، وقيل: الرملة، وتوفى بالرملة سنة اثنتين وثلاثين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة (تهذيب الأسماء واللغات (1/ 129-130)).

(3) أخرجه ابن ماجه في سننه، حديث رقم 2063 (666/1)، صححه الحاكم في المستدرك قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه، انظر المستدرك (523/2).

(4) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (5/ 2824)

(5) انظر: المرجع السابق.

3. حفظ الإسلام للزوجة حقها في زوجها، بأن جعل الظهار تحريماً مؤقتاً بعد أن كان تحريماً مؤبداً، وينتهي هذا التحريم عند تنفيذ الكفارة المشروعة[1].

المنهجية الثانية: تحريم عادة التبني

منع الإسلام الناس من تغيير الحقائق، وصان حقوق الورثة من الضياع أو الانتقاص، وحفظ من اختلاط الجانب وخلوتهم ببعض، كخلوة المتبنى بمحارم المتبني فهذا فساد عظيم وشر كبير[2]، وذلك ما كان يفعله أهل الجاهلية من التبني ونسب المتبنى للمتبني، وبذلك تضيع الحقوق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ ﴾ [الأحزاب: ٤ – ٥]

المعنى الإجمالي:

كان النبي ﷺ قد تبنى زيد بن حارثة[3]، حينما جاء حارثة وأخوه يطلبان مفاداة ولدهما زيد، فعرض عليهما النبي ﷺ تخيير زيد، فإن اختارهما فهو لهما بغير فداء، وإن اختار البقاء مع النبي ﷺ فالنبي يكون حينئذ أولى به. فوافقا على ذلك، واستدعي زيد، فاختار النبي ﷺ فحزن أبوه أشد الحزن، فقال له النبي ﷺ عند ذلك: إن زيداً حر وهو ابني يرثني وأرثه. فخفف ذلك من لوعته ورجع راضياً، كان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ[4].

وبعد نزول الحكم الإلهي بحرمة التبني لما فيه من خطر على التسلسل الاجتماعي، وضياع الحقوق، أصبح زيد مولى رسول الله ﷺ، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، أنه كان

---

(1) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (231/21)، تفسير آيات الأحكام للسايس (ص:624).

(2) انظر: موقع دار الإفتاء المصرية http://www.dar-alifta.org/ViewFatwa.aspx?ID=458.

(3) هو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم –أشهر مواليه–، وهو حب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سباء في الجاهلية، لأن أمه خرجت به تزور قومها بني معن، فأغارت عليهم خيل بني القين بن جسر، فأخذوا زيدا، فقدموا به سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد، وقيل: اشتراه من سوق حباشة فوهبت خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل النبوة وهو ابن ثمان سنين، وقيل: بل رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطحاء بمكة ينادي عليه ليباع، فأتى خديجة فذكره لها، فاشتراه من مالها، فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه. (انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة للشيباني (2/ 350))

(4) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (2/ 145).

يقول: ما كنا ندعو زيدًا بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزلت في القرآن: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[1]، بما تحمل الموالاة والمحبة في الله من قيم عظيمة، ولعل من أعظم أجر الأخوة والمحبة في الله الإظلال في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: ... ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ..."[2].

وكون الإسلام جاء لترتيب النظام الأسري، والعلاقات الناظمة والرابطة، جعل للرجل الحق في الأخوة القائمة على الدين والموالاة، وهذه العلاقة علاقة أدبية شعورية لا تترتب عليها التزامات كالتوارث، ولذلك مضى الإسلام في تعزيز ثقافة الأسرة الواحدة المترابطة، وقد عُني الإسلام بصيانة الأسرة من كل دخل وشبهة[3]، فقد ورد في الحديث عن سعد بن ابي وقاص ﷺ قال: سمع أذناي من رسول الله ﷺ وهو يقول: "من ادَّعي أباً في الإسلام غير أبيه، يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام"[4].

ولأن المجتمع الجاهلي تربى وترعرع على مثل هذه العادات فكان من الصعب إبطالها بمجرد النهي الوارد في الآيتين السابقتين، بل كان لا بد من نموذج عملي يتمثل في رأس المجتمع المسلم ألا وهو رسول الله ﷺ، حيث كانت زينب بنت جحش تحت زيد بن حارثة، والذي كان ابناً للنبي بالتبني، ولكن بعد حدوث بعض المشكلات بين زيد وزوجه، وقضاء وطره منها طلقها، ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، تزوجها النبي ﷺ مؤكداً بذلك إبطال عادة التبني وما يلحقها من أحكام كالميراث وغيره، وليرفع الحرج عن المؤمنين في تزوج حلائل أبناءهم بالتبني.

وأكّد القرآن ذلك الأمر بعد إنكار المشركين لزواجه ﷺ من طليقة زيد زينب بنت جحش، حيث أخبر بأنه ﷺ لم يكن أباً لأحد من الرجال لم يلده، والمقصود هنا زيد بن حارثة رضي الله

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد، حديث رقم 2425 (1884/4).

(2) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، حديث رقم: 660، (1/ 133)

(3) في ظلال القرآن لسيد قطب (2826/5) بتصرف.

(4) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه، حديث رقم 63 (80/1).

عنه[1]، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ولكن النبي هو رسول الله وله من أمته الاحترام والتقدير والتوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه[2]، وأما في أيامنا هذه بالسير على نهجه ومنهجه المنقذ للأمة عن أبي هريرة ﷺ، قال : قال رسول الله ﷺ: "إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض"[3]. وهو خاتم الأنبياء وآخرهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: إن " مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"[4]، ولو صار أحد من ولده رجلًا لكان نبيًّا بعد ظهور نبوته، وقد قضى الله ألا يكون بعده نبي إكراما له، ومن حديث ابن أبي أوفى[5] ﷺ: لو قضى أن يكون بعد محمد ﷺ نبي لعاش ابنه، ولكن لا نبي بعده، وختمت الآية بتأكيد صفته سبحانه بالعلم أبدًا وأزلًا، فهو يعلم من يليق بالبدء ومن يليق بالختم[6].

ثمار المنهجية السابقة:

1. عادة التبني من العادات الجاهلية، وقد حرمّها الإسلام، لما فيها من إضاعة لحقوق الورثة، وإشاعة للاختلاط غير الشرعي بين المتبنى وأبناء المتبني وزوجاته، ولحفظ الأنساب والحقوق وجب على الأمة أن تبتعد عن هذه العادة، وكل ما ينسحب تحتها من أحكام، وفيها تقطيع للعلاقات الاجتماعية والرحم، وكذلك تورث المتبنى مشاكل نفسية تجعله يحقد على المجتمع كله.
2. الأخوة والموالاة في الإسلام من أعظم الروابط، وأجرها عظيم عند الله، وتربي المؤمنين على البذل والعطاء، والإيثار، وبها تتحقق المودة دون الإضرار بحقوق الغير.

---

(1) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (290/4).

(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (34/3).

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين وصححه (1/ 172).

(4) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: 3535 (4/ 186).

(5) عبد الله ابن أبي أوفى علقمة ابن خالد ابن الحارث الأسلمي صحابي شهد الحديبية وعمّر بعد النبي ﷺ دهرا مات سنة سبع وثمانين وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة تقريب التهذيب (ص: 296)).

(6) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (15/ 364-365).

3. منزلة النبي ﷺ بين المؤمنين منزلة الاحترام والتعظيم والتوقير منهم له، وهو بمثابة الأب لأمته شعورياً، وله الولاية العامة عليهم، وواجبه تجاه أمته النصح والإرشاد والشفقة، في زمنه كانت بمواعظه وأفعاله، وفي زمننا الحاضر باتباع السنة النبوية المنقذة للأمة، والموضحة لأوامر القرآن الكريم ونواهيه.

المنهجية الثالثة: ثواب المحسنات من أمهات المؤمنين

إنه مما لا شك فيه أن الإنسان العاقل ذو اللبّ والعقل، إذا خُيِّر ما بين أمرين اختار أقربهما إلى الله ورسوله وطاعتهما، ويكون بذلك قد فاز بالدنيا والآخرة، ثم كيف إن كانت نعم الله تعالى ظاهرة وكثيرة على المرء وكفرها فلا شك بأن العذاب والنقمة من الله تعالى عليه ستكون أكبر وأقسى، وهو ما وضحته الآيات القادمة من سورة الأحزاب في حال النبي ﷺ مع أزواجه في واقعة التخيير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٨ – ٢٩]

المعنى الإجمالي:

ففي سبب نزولها أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوسا ببابه. لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل. ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي ﷺ جالسا، حوله نساؤه واجماً[1] ساكتاً. قال: فقال: لأقولن شيئا أضحك النبي ﷺ فقال: يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول الله ﷺ وقال: (هن حولي كما ترى يسألنني النفقة). فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها. كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئا أبدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين ثم نزلت عليه هذه الآية: (يا أيها النبي قل لأزواجك) حتى بلغ (للمحسنات منكن أجرا عظيماً) قال: فبدأ بعائشة، فقال: "يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك" قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية. قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة. وأسألك أن لا

(1) يُقَالُ: مَالِي أَرَاكَ وَاجماً، أَيْ: مُهْتَماً، (تاج العروس (34/ 31)).

تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت. قال: "لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها. إن الله لم يبعثني معنّتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً"[1].

في الآية دليل على منع إيذاء النبي ﷺ، وكان قد تأذى ببعض الزوجات حين طلبن عرضاً من الدنيا وزيادة في النفقة[2]، وفيها أدب عال لبيت النبوة الأطهار وتربية لنسائه على العفة والكرامة وحب الله ورسوله، ووصف دقيق لما كان عليه بيت النبي من التقشف[3].

ويدل الحديث على أن النبي ﷺ قد اختار لنفسه عيشة الكفاف، والزهد في متاع الدنيا، وقد دلّ على ذلك طلب زوجاته رضوان الله تعالى عليهنّ زيادة في النفقة والمؤونة مما جعله واجماً، وقد كان يمر الشهر ولا يوقد في بيته ﷺ ناراً، وذلك للاستعلاء على متاع الدنيا، مع توفره له بعد الفتوحات والانتصارات، وكذلك رغبة فيما عند الله تعالى من الأجر والجنة، وكون أزواجه من البشر فقد ظلت الرغبة الطبيعية في متاع الدنيا حية في نفوسهن، فطالبنه بزيادة النفقة، فجاء الأمر الإلهي له بتخييرهن ما بين القربى من النبي ﷺ والتمتع بجواره، أو الطلاق ومتعته المستحقة وهو مالاً يعطى للمطلقة تطييباً لخاطرها[4].

فجاء التخيير الرباني لهن ما بين الدنيا وزينتها وزخرفها، وما بين المكث مع النبي ﷺ على حاله والفوز يوم القيامة بالجنة والأجر الجزيل بمقابلة إحسانهن لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته [5]، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فأكرمهن الله لذلك وأنزل على رسوله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢ ﴾ [الأحزاب: ٥٢][6]، فبعد أن خُيِّرت زوجات النبي ﷺ فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة أراد سبحانه أن يعطيهن المنهج والمبادئ التي سيسرن عليها

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً، حديث رقم: 1478 (1104/2).

(2) أحكام القرآن للقرطبي (14/ 162).

(3) التفسير الواضح لحجازي (3/ 87).

(4) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب (2854/5)، التفسير الواضح للحجازي (87/3)، مختصر تفسير ابن كثير (92/2)، التحرير والتنوير لابن عاشور (314/21)، التفسير الوسيط للزحيلي (2066/3).

(5) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (401/6)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (7/ 101).

(6) أيسر التفاسير للجزائري (4/ 263)

في حياتهن، ونلحظ أن آية التخيير كانت من كلام النبي عن ربه، أما هنا فالكلام من الله مباشرة لنساء النبي ﷺ[1].

ثمار المنهجية السابقة:

1. لم يختر النبي ﷺ لنفسه عيشة الملوك، فعاش عيشةً كفافاً، بل وكان أقل المؤمنين مالاً في بعض الأحيان.
2. زوجات النبي ﷺ هنّ افضل نساء الأرض على الإطلاق؛ إذ أنهنّ اخترن العيشة الصعبة، مع النبي ﷺ، ورفضن متاع الدنيا الزائل الزائف، وبعد تحذير الله ﷻ لهن انتهين عن طلب الصدقة الكثيرة من النبي، ونتيجة ذلك أكرمهن الله ﷻ، بأن حرّم عليه النساء من بعدهن.

المنهجية الرابعة: بقدر النعمة تكون النقمة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٠]

ويأتي هنا التحذير والتوجيه الإلهي لنساء النبي ﷺ من الإتيان بفاحشة وهي الزنا المعروف الذي أوجب الله عليه الحدّ أو النشوز وسوء الخلق، وقيل خصلة قبيحة ظاهرة[2]، عن مقاتل بن سليمان رضي الله عنه في قوله: يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يعني العصيان للنبي ﷺ يضاعف لها العذاب ضعفين لأن كرامتهن كانت أكثر[3]. فجعل العقوبة عليهن أشد. وهذا كما روي عن سفيان بن عيينة أنه قال: يغفر للجاهل سبعون ما لا يغفر للعالم واحد[4]. وكان عذابها ومضاعفته عند الله هيناً[5]، ونلحظ أن الحق سبحانه لم يبدأ الكلام مع نساء النبي بقوله مثلا: من يتق الله منكن، إنما بدأ بالتحذير من إتيان الفاحشة؛ لأن القاعدة الشرعية في التقنين والإصلاح تقوم على أن «درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة»[6].

---

(1) الخواطر للشعراوي (19/ 12008)

(2) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (255/20)، انظر أيسر التفاسير للجزائري (263/4)، مختصر تفسير ابن كثير (93/2).

(3) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (9/ 3128).

(4) بحر العلوم للسمرقندي (3/ 59)

(5) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (9/ 3128).

(6) الخواطر للشعراوي (19/ 12009).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣١]

وعلى الجانب الآخر؛ فمن يقنت أي يطع الله ورسوله ويستجب لهما –أي من أزواج النبي ﷺ– فيضاعف لها الأجر في الآخرة ضعفين أي مثلي أجر غيرها قيل: الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين، وتكون مضاعفة الأجر مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبي ﷺ بالقناعة وحسن المعاشرة[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢]

وهنا فضل الله ﷻ نساء النبي ﷺ على النساء كافة بشرط التقوى، وقد حصل لهن التقوى فحصل التفضيل على جميع النساء، إلا أنه يخرج من هذا العموم فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومريم بنت عمران وآسيا امرأة فرعون لشهادة رسول الله ﷺ لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها[2]، يعني فيكن غير ذلك أمر لا يوجد في غيركن وهو كونكنّ أمهات جميع المؤمنين وزوجات خير المرسلين، ولم يقل كواحدة لأن الأحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، فالمعنى كجماعات من جماعات النساء إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد فيهن جماعة تساويكن في الفضل لما خصكن الله به من قربة بقرب رسول الله ﷺ، ونزول الوحي الذي بينه وبين الله في بيوتكن[3].

ينهى الله ﷻ نساء النبي عن الخضوع بالقول أي اللين به أو الترقيق، وقيل هو الكلام الذي فيه ما يهوى المريب وقيل هو ما يدخل في قلوب الرجال من كلام النساء وقيل الكلام الفاسد[4]، وذلك خشية طمع الذي في قلبه مرض أي ريبة وفجور، وقيل ميل إلى الشهوة والنساء، وقد فرّع على تفضيلهن وترفيع قدرهن إرشادهن إلى دقائق من الأخلاق قد تقع الغفلة

---

(1) انظر لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (3/ 424)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (4/ 231)، التسهيل لعلوم التنزيل للغرناطي (150/2).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل للغرناطي (2/ 151).

(3) انظر مفاتيح الغيب للرازي (25/ 167)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (15/ 343)، تفسير البغوي (3/ 635).

(4) انظر النكت والعيون للماوردي (399/4).

عن مراعاتها لخفاء الشعور بآثارها، ولأنها ذرائع خفية نادرة تفضي إلى ما لا يليق بحرمتهن في نفوس بعض ممن اشتملت عليه الأمة، وفيها منافقوها[1].

ثمار المنهجية السابقة:

1. إذا ما أعطى الله ﷻ عبداً من عباده نعماً، وأغدق عليه منها، فلم يشكر هذا العبد الله ﷻ كانت نقمة الله تعالى عليه عظيمة جداً، أما إذا شكر الله على نعمائه فإن أجره مضاعفاً من الله ﷻ.
2. من مقدمات ارتكاب الفواحش، الترقيق بالكلام واللين به، وكذلك التبختر والتغنج، وإظهار ما لا يحل إظهاره إلا للمحارم من أعناق النساء وأجسادهنّ، وذلك كله إفساد للمجتمع، وتقطيع للمبادئ الإسلامية في تعامل الرجال مع النساء، فحفظاً للمجتمع نهى الشارع عن ذلك.

المنهجية الخامسة: طهارة آل البيت

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]

وهنا الأمر الإلهي لزوجات النبي ﷺ بالمكث في بيوتهن، وهو أمر اختصت باللفظ فيه زوجات النبي وقُصد به جميع المسلمات، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ما تعبدت الله امرأة بمثل تقوى الله وجلوسها في بيتها[2]، وللفظة (قَرْنَ) قراءتان الأولى كما هي بفتح القاف بمعنى اقررن في بيوتكن والزموهن، والثانية بكسر القاف (قِرْنَ) بمعنى كنَّ أهل سكينة ووقار في بيوتكن، وكلاهما صحيح، وقد رجح الإمام الطبري الرأي الثاني[3].

---

(1) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (344/15)، التسهيل لعلوم التنزيل للغرناطي (151/2)، التحرير والتنوير لابن عاشور (22/ 8).

(2) تفسير السمعاني (4/ 279)

(3) انظر جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (259/20).

وفي التبرج عدة أقوال في معناه؛ منها أنه التبختر والتكسر والتغنج، ومنها أن تلقي المرأة الخمار على رأسها دون أن تسدلها ليواري قلائدها وعنقها، ومنها أن تظهر ما أمر الله سبحانه أن يُستر، ومنها المشي بين يدي الرجال[1].

وللعلماء في معنى الجاهلية الأولى عدة أقوال؛ أنها الفترة ما عيسى ومحمد ﷺ، وقيل هي الفترة ما بين زمن داود وسليمان وهو زمن النمرود الجبار، وقبل هي الفترة ما بين نوح وإدريس، ويجوز أن تكون الجاهلية الأولى: جاهلية الكفر قبل الإسلام. والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام، فكأن المعنى: ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الإسلام تتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر[2]. ويعضده ما روى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى الدرداء رضى الله عنه "إن فيك جاهلية"[3].

وبعد أن نهى الله ﷻ زوجات النبي ﷺ – وهن المقصودات بالدرجة الأولى وباقي نساء المسلمين تدخلن في الأمر والنهي– عن الشر أمرهن بالخير؛ من إقامة الصلاة وهي: عبادة الله وحده لا شريك له وصلة لما بينكن وبين الخالق لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وإيتاء الزكاة، وهي: الإحسان إلى المخلوقين وفي هذا بشارة بالفتوح وتوسيع الدنيا عليهن، فإن العيش وقت نزولها كان ضيقا عن القوت فضلا عن الزكاة، وخص تعالى الصلاة والزكاة، لأهميتهما وخطورتهما وآثارهما الكبرى، فالأولى طهارة النفس وعماد الدين، والثانية طهارة المال وطريق مقاومة الفقر، فهما عمودا الطاعة البدنية والمالية، وطاعة الله بذكر ما له من صفات الكمال، ورسوله في جميع الأوامر والنواهي فإنه لم يُرسل إلا تخليصاً للخلائق من أسر الهوى، وهذا – طاعة الله ورسوله– من باب عطف العام على الخاص[4].

إنما كانت الوصايا من التقوى وعدم الخضوع بالقول، وقول المعروف، والسكون في البيوت، وعدم التبرج وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة، ليذهب عنكم الرجس والمراد بالرجس

---

(1) انظر جامع البيان للطبري (260/20)، النكت والعيون للماوردي (399/4–400)، تفسير السمعاني (280/4)، معالم التنزيل للبغوي (636/3).

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 537).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه، باب ما ينهى من السباب واللعن بنحوه (447/9).

(4) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 410)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (15/ 345)، التفسير المنير للزحيلي (22/ 10).

الإثم والذنب المدنسان للإعراض الحاصلان بسبب ترك ما أمر الله به، وفعل ما نهى عنه فيدخل في ذلك كل ما ليس فيه رضا الله، ويطهركم من الأرجاس والأدناس تطهيراً كاملاً[1].

وأهل البيت هم أزواج النبي ﷺ وأولاده كفاطمة وعلى والحسن. أما دخول أزواجه فيهم فلأن السياق السابق واللاحق فيهن، وأما دخول على وفاطمة والحسن والحسين فلأن الله قال: ويطهركم بالميم، ولو كان المراد الزوجات فقط لقال عنهن: يطهركن[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٤]

لما ضمن الله لهن العظمة أمرهن بالتحلي بأسبابها والتملي من آثارها والتزود من علم الشريعة بدراسة القرآن ليجمع ذلك اهتداءهن في أنفسهن ازديادا في الكمال والعلم، وإرشادهن الأمة إلى ما فيه صلاح لها من علم النبي ﷺ[3]، ولذلك رأي بعض المفسرين أنه تفسير الآية هو أن اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير، وقيل: أي تذكرن ولا تنسين ما يتلى في بيوتكن من القرآن والسنّة[4].

والله لطيف خبير، يدرك أسرار الأمور، وخفايا الصدور، وخبايا السماوات والأرض، والأعمال التي تبين وتسر، فلطفه وخبرته، يقتضي حثهن على الإخلاص وإسرار الأعمال، ومجازاة الله على تلك الأعمال[5].

ثمار المنهجية السابقة:

1. إن النصائح الإلهية والوصايا الربانية لآل بيت النبوة تهدف إلى إزالة الرجس وتطهيرهم تطهيراً كاملاً.
2. وعلى المسلمين اتباع هدي النبي ﷺ في كل أمر، وتبليغه للناس ليكونوا على هدى وبينة من الله ﷻ، لينالوا أجر الذكر والتلاوة، وكذلك أجر الدعوة والتبليغ.

---

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (11/ 84-85).

(2) التفسير الواضح لحجازي (3/ 94).

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور (22/ 18)

(4) روح المعاني للألوسي (11/ 200).

(5) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: 664).

المنهجية السادسة: حكم الطلاق قبل المساس

لقد جاء الإسلام موضحاً لجميع أمور العباد، في أمورهم الحسنة، فهو الموجه والمرشد لهم في الدنيا، وحتى في الأمور التي فيها سوءاً وبغضاً، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق"[1]، جاء موضحاً لأحكامها حتى يترك البشرية بشريعة واضحة لكل الأمور.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٩]

المعنى الإجمالي:

هنا توجيه رباني للأمة المسلمة، يأتي في سياق الحديث عن قصة طلاق، لما ذكر سبحانه قصة زيد، وطلاقه لزينب، وكان قد دخل بها، وخطبها النبي ﷺ بعد انقضاء عدتها، كما تقدم، خاطب المؤمنين مبينا لهم حكم الزوجة إذا طلقها زوجها قبل الدخول[2].

وحتى لا يعتقد البعض بأن أمر الطلاق ثابت، في المدخول بهنّ وغير المدخول بهنّ جاء التوضيح في هذه الآية، فالمطلقة المدخول بها لها عدة ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، أما عدة المطلقة غير المدخول بها فلم يُذكر في سورة البقرة إن كان لها عدّة أم لا، وربما هذا الأمر أحدث لبساً عند المسلمين في أمر العدة دون أمور المتعة والمهور؛ كون آيات سورة البقرة فصّلت في هذا الأمر، قال تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ... ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، فعلى ذلك؛ المطلقة قبل الدخول إن كان قد فرض لها مهر فلها نصفه، أما إن لم يكن قد فرض لها مهراً فلها عليه متاع يتبع قدرة المطلق سعة وضيقاً، وقد زاد هنا في سورة الأحزاب حكماً آخر فيما يختص بالعدة، وكون العدة كانت أصلاً للتأكد من براءة الرحم، حفظاً للأنساب وللتأكد من خلو الرحم من آثار الزواج السابق، أما في حالة الطلاق قبل الدخول فالرحم بريئة، لذلك فلا عدة على المطلقة[3].

---

(1) أخرجه أبو داود، كتاب الطلاق، باب في كراهية الطلاق (255/2)، ضعفه الألباني.

(2) فتح القدير للشوكاني (4/ 333)

(3) انظر: التفسير الحديث لدروزة (397/7)، تفسير المراغي (21/22)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (376/15)، في ظلال القرآن لسيد قطب (2875/5).

وهذا الحكم شامل للمؤمنات ولغيرهن كالكتابيات، إلا أن الآية الكريمة خصت المؤمنات بالذكر، للتنبيه على أن من شأن المؤمن أن لا ينكح إلا مؤمنة تخيرا للنطفة[1]، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «تُخَيِّرُوا لِنُطَفِكُمْ، فَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ»[2].

ومما يلاحظ أنه من أدب القرآن الكريم التعبير عنه بالملامسة والمماسة، والقربان والتغشى والإتيان[3].

فمع انتفاء العدة عن هذه الفئة من المطلقات، أمرنا القرآن بأن نقدم لهنّ بعد الطلاق تطييباً لخاطرهن متعة: وهي كسوة كاملة تليق بكم وبهن بحسب الزمان والمكان، وطلقوهن طلاقا لا ضرر فيه، بل إنه متّصف بجمال التسريح: وهو ألا يطالبها بما آتاها، ويحسن عشرتها، ويكلمها بكلام طيب دون أذى[4].

ثمار المنهجية السابقة:

1. الطلاق آخر علاج عند عدم استقرار الحياة الزوجية، وله أحكامه الخاصة في كل الأحوال لحفظ النسل والنسب، وقد استدل بعض العلماء من هذه الآية بعدم وقوع الطلاق قبل النكاح.
2. إذا طُلِّقت المرأة قبل الدخول بها، فليس لها عدة، كون العدة شُرعت للتأكد من براءة الرحم من أي آثار للزواج السابق، وكون المرأة غير مدخول بها فالرحم بريئة، ولا حاجة للعدة.
3. عند الطلاق فعلى المطلِّق ألا يؤذي المطلقة ويطلقها طلاقاً حسناً[5]، وعليه تخليتها من يده وحباله[6].

المنهجية السابعة: أحكام خاصة للنبي ﷺ في النكاح

لقد أوضح القرآن الكريم ما أُحل للمؤمنين في الزواج من النساء وهم مشتركون مع النبي ﷺ في بعض الأنواع المحللة من الزوجات، فهم مخيرون ما بين الزواج بامرأة واحدة أو التعدد

---

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (11/ 224).

(2) أخرجه ابن ماجه، كتاب النكاح، باب الأكفاء، حديث رقم: 1968، (633/1)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (564/1).

(3) تفسير المراغي (22/ 20).

(4) التفسير الوسيط للزحيلي (3/ 2078).

(5) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز أبادي (ص:355).

(6) أحكام القرآن للجصاص (5/ 236).

إلى أربعة: قال تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ ﴾ [النساء: ٣]، ولكن جعل للنبي ﷺ في زواجه أحكاماً خاصة تتعلق به لمكانته، ولأهدافٍ لنشر الدعوة وإقامة الأحلاف وغيره.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠ ﴾ [الأحزاب: ٥٠]

المعنى الإجمالي:

يمتن الله ﷻ على رسوله ﷺ بإحلاله له ما أحل مما يشترك فيه، هو والمؤمنون، وما ينفرد به، ويختص، فمما يشترك به مع المؤمنين اللاتي آتاهن مهورهن، ومَلَكات اليمين اللاتي غنمهن المسلمون من الكفار، وبنات العم والعمة والخال والخالة؛ وهذا حصر للمحللات من النساء، ومعناه أن ما سواهما من الأصول مهما علا ومن الفروع مهما دنا محرم ولا يجوز نكاحهن، وهذا جميعه مشترك بين النبي ﷺ والمؤمنين جميعاً[1].

ثم ذكر تكريم النساء اللاتي من الأصناف سالفة الذكر ممن هاجرن مع النبي ﷺ، وذلك في حق النبي من باب التقييد في تلك الأصناف[2]، ويصدق ذلك ما رُوي عن أم هانئ بنت أب طالب قالت: خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله تعالى {إنا أحللنا لك أزواجك} الآية، فلم أكن لأحل له لأني لم أهاجر. كنت من الطلقاء [3].

---

(1) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: 669).

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (15/ 381).

(3) أخرجه الترمذي في سننه، باب: ومن سورة الأحزاب (355/5)، قال: هذا حديث حسن، لا أعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي.

وصنف آخر خُصّ به النبي ﷺ؛ إذا وهبت امرأة مسلمة نفسها للنبي للزواج منها بدون صداق ولا ولي ولا شهود، فهي خالصة له من دون المؤمنين أي ان حلّ نكاحها لا يكون إلا له أما سائر المؤمنين فزواجهم من النساء مرتبط بشروط الزواج المعروفة[1].

واختلف هل وقع ذلك أم لا؟ فقال ابن عباس: لم تكن عند النبي ﷺ امرأة إلا بنكاح أو ملك يمين، لا بهبة نفسها، وقيل: قد وقع ذلك، واختلف على هذا القول فيمن هي التي وهبت نفسها فقيل: ميمونة بنت الحارث، وقيل زينب بنت خزيمة أم المساكين، وقيل: أم شريك الأنصارية، وقيل أم شريك العامرية[2].

ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق في دينك، حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو أولى وأفضل، وفي دنياك: حيث أحللنا لك أجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها[3].

ثمار المنهجية السابقة:

1. الإسلام حدد الأنواع من النساء اللاتي يحلّ للمؤمنين نكاحهن، وبذلك أغلق الباب أمام الاجتهادات في هذا المجال فالذي لم يُذكر في آية التحليل، هو محرم وغير جائز للمؤمنين تعديه أو الاستهانة به.
2. خصص الشارع ﷻ أنواعاً محددة فقط لنبيه الكريم من أجل تحقيق غاية نبيلة وسامية من نشر دعوة أو استقطاب قوم، ويستهدف أيضًا التوسيع عليه والتضييق على المؤمنين تارة، وبالعكس تارة أخرى[4].

المنهجية الثامنة: زر غبًا تزدد حبًا

لقد نظم الإسلام العظيم شؤون الأمة في كل أمر، فما ترك صغيرة ولا كبيرة إلا وذكر ما يخصها، ويصدّق ذلك قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ومن ذلك الآداب العامة والأخلاق التي أمر الإسلام بالتحلي بها، ونقف مع أحد أهم الآداب وهي آداب الزيارات في رحاب آياتٍ من سورة الأحزاب.

---

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (236/4)، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (431/3).
(2) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (2/ 155).
(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 551).
(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (236/4)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ... ﴾ [الأحزاب: ٥٣]

المعنى الإجمالي:

في سبب نزول هذه الآية ما روى أن الصحابة كانوا يدخلون بيوت النبي بغير إذن، وينتظرون إدراك الطعام، فإذا فرغوا من الطعام جلسوا يتحدثون وأطالوا الجلوس، وكان النبي يتأذى بهم ويستحي منهم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وعلمهم هذا الأدب بينهم وبين النبي[1]، والأرجح أن سبب نزولها عندما تزوج النبي ﷺ من زينب، روي عن أنس رضي الله عنه، أنه قال: " لما تزوج النبي ﷺ زينب، دخل القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام، قام من قام من القوم وقعد بقية القوم، وإن النبي ﷺ جاء ليدخل، فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقوا، فأخبرت النبي ﷺ فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، وأنزل الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي} [الأحزاب: 53] الآية[2].

لذلك جاء التوجيه الرباني، والتشريع السماوي لأدب كبير وخلق عظيم ألا وهو الاستئذان فلا يحل لأحد أن يدخل بيت النبي ﷺ إلا بعد إذنه له، وكذلك فالطائفة التي كانت تتحين وقت نضج طعام النبي ﷺ وتأت فقد نزل النه لهم عن الدخول إلا إذا أذن لهم[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ ﴾ لطيفة وهي أن في العادة إذا قيل لمن كان يعتاد دخول دار من غير إذن لا تدخلها إلا بإذن يتأذى وينقطع بحيث لا يدخلها أصلا لا بالدعاء، فقال لا تفعلوا مثل ما يفعله المستنكفون بل كونوا طائعين سامعين إذا قيل لكم لا

(1) تفسير القرآن للسمعاني (4/ 300).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب آية الحجاب، حديث رقم: 4791 (118/6).

(3) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (41/3).

تدخلوا لا تدخلوا وإذا قيل لكم ادخلوا فادخلوا[1]، ولا مستأنسين لحديث بعضكم بعضاً، أو لحديث أهل البيت بالتسمع له[2].

ويمضي القرآن بتنبيه المؤمنين إلى أن التصرفات التي ذُكرت كانت مما يثقل على النبي ﷺ ويؤذيه ولكنه كان يستحيي منهم فلا يصارحهم. والله لا يستحيي من الحقّ، ولذلك فهو ينهاهم وينبههم إلى ما يقتضي من الأدب في هذا الباب[3].

ثم تقرر الآية الحجاب بين نساء النبي ﷺ وهنّ اطهر النساء، والطرف الآخر هم صحابة رسول الله ﷺ وهم أشرف الناس، فلا حجة لدعاة الحرية والاختلاط إلى القول بغير قول الله ﷻ من الأقوال المغلوطة، من أن الاختلاط بين الجنسين أعون على تصريب الغريزة المكبوتة، إلى غير ذلك من الحجج، وقد روى عمر ﷺ أنه قال: قلت: "يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب"[4].

وقد استثنى الله تعالى أصنافاً من الرجال يحل للمرأة أن تحتجب في حضرتهم، قال تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: ٥٥].

ثم يأتي التحذير من إيذاء رسول الله ﷺ وهو أن تفعلوا في حياته فعلا يكرهه ويتأذى به أو نكاح زوجاته من بعد وفاته ومن يفعل ذلك فإنه اقترف أمراً عظيماً وخطباً هائلاً لا يقادر قدره وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله ﷺ وإيجاب حرمته حياً وميتاً ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى في الوعيد حيث قال قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ

---

(1) مفاتيح الغيب للرازي (179/25).

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (4/ 237).

(3) التفسير الحديث للحجازي (7/ 408).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، باب قوله ولا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم، حديث رقم: 4790 (6/ 118).

عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٤]، إن تبدوا شيئاً مما لا خير فيه أو تخفوه في صدوركم فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد[1].

ثمار المنهجية السابقة:

1. وجوب الاستئذان قبل دخول البيوت، كون هذا الأدب خُصّ به بيت النبي ﷺ باللفظ، وقصد بالمعنى بيوت المسلمين عامة، وهو أمر غاية في التميز، وعند الدعوة لا يصح المجيء قبل نضج الطعام بل يكون عند تمام الانتهاء من إعداده.
2. بعد الانتهاء من الطعام والفراغ منه فعلى الضيف المغادرة وترك المجال لأهل البيت، للاهتمام بشؤونهم وتنظيف ما بقي من مخلفات الطعام وخلافه، ولا يستأنس بعضكم ببعض لأجل حديث يحدث به[2].
3. وجوب ضرب الحجب بين الرجال والنساء، عند الحاجة لطلب شيء من النساء، فإن في ذلك طهارة للقلوب ومعافاة للفكر من التلوث والدخول في متاهات الشيطان وأحباله، وهذا دليلٌ على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته[3].
4. يجوز خلع الحجاب في حضرة الآباء والأبناء وبنات الأخ والأخت، وكذلك يجوز بين النساء المؤمنات كونهن بقين على دينهن، وكذلك ما ملكت أيمانهن من الذكور والإناث[4].
5. إن إيذاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو نكاح أزواجه من الذنوب الكبائر، ولا ذنب أعظم منه، والله تعالى عالم بكل ما بدا وما خفي، والتذييل بهذه الآية توبيخ ووعيد لمن يضمر السوء في مخاطبة أزواج النبي ﷺ وأزواج المؤمنين أيضًا[5].

---

(1) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (7/ 113).
(2) انظر فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (11/ 129).
(3) التفسير الواضح لحجازي (3/ 112).
(4) التفسير المنير للزحيلي (94/22).
(5) المرجع السابق (22/ 93).

المنهجية التاسعة: التزمي الحجاب تبلغي الأسباب

لقد حافظ الإسلام من خلال تشريعاته الكثيرة على المجتمعات المسلمة من الوقوع في المهلكات، ومن أهم العناصر المهمة في المجتمع المرأة وما لها من تأثير بالغ، فهي الأم والأخت والزوجة والبنت، ولذلك جعل الإسلام للمرأة أحكام كثيرة مفصلة، وسنقف على بعض أحكامه في الحجاب وستر المؤمنة، حفظاً لها، وللمجتمع.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ﴾ [الأحزاب: ٥٩]

المعنى الإجمالي:

في سبب نزول هذه الآية يروي الإمام الواحدي عن أبي مالك قال: كانت نساء المؤمنين يخرجن بالليل إلى حاجاتهن، وكان المنافقون يتعرضون لهن ويؤذونهن، فنزلت هذه الآية.

وقال السدي: كانت المدينة ضيقة المنازل، وكان النساء إذا كان الليل خرجن، يقضين الحاجة وكان فساق من فساق المدينة يخرجون، فإذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا: هذه حرة فتركوها، وإذا رأوا المرأة بغير قناع قالوا: هذه أمة، فكانوا يراودونها، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

فالإسلام أمر النساء بإسدال جلابيبهن حفظاً لهنّ من العيون الماكرة، وحفظاً للمجتمع المسلم من الوقوع في المحرمات ومقدماتها، فقد كانت المسلمات في أول الإسلام يخرجن من بيوتهن سافرات متبذلات على عادة الجاهلية؛ فطلب سبحانه من نبيه الكريم في هذه الآية أن يأمرهن بالستر والحجاب، والأمر يدل على الوجوب فيكون الحجاب واجبًا[2].

وهذا الأمر للنساء بستر أنفسهن كان حتى يُعرف أنهن من الحرائر فيمتنع المنافقون عن أذيتهن، فهو علامة ودليل على أن المرأة حرة وأنها ذات قيمة وشأن[3].

ومن المعروف أن هذه الآية نزلت بعد أن استقر أمر الشريعة على وجوب ستر العورة، فلا بد أن يكون الستر المأمور به هنا زائدا على ما يجب من ستر العورة، فالمراد بالجلباب الثوب الذي تستر به المرأة بدنها كلّه من فوق ثيابها، كالملاءة المعروفة في عصرنا، وعلى ذلك

---

(1) أسباب النزول للواحدي، تحقيق الحميدان (ص: 363).

(2) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور (106/22)، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للرومي (2/ 509).

(3) انظر أوضح التفاسير للخطيب (ص: 518).

يكون الأمر بإدناء الجلابيب من الأدب الحسن، زيادة في الاحتياط، ومبالغة في التستر والاستعفاف، وبعدا عن مظان التهمة والارتياب[1].

أما عن كيفية الحجاب؛ فقد رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (تلوي الجلباب فوق الجبين، وتشدّه ثمّ تعطفه على الأنف، وإن ظهرت عيناها، لكنّه يستر الصدر ومعظم الوجه)[2].

وقد اختلف في كون الجلباب المذكور هل المقصود منه تغطية الوجه والكفين أم لا؟ فذهب معظم المفسرون الأوائل إلى أن المقصود هو تغطية الوجه والكفين وجوباً؛ كما فيما ورد عن ابن عباس آنفاً، وما ذكره في تفسيره من أن الجلباب هو المقنعة والرداء، أما بعض الأئمة فرأوا أن الوجه والكفين ليسا من الزينة وتغطيتهما لا تقع وجوباً[3]، كما ذكر الجصاص في أحكام القرآن عند تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١] والمراد بما ظهر الوجه والكفان، واستدل على أن المرأة عند صلاتها لا تغطي وجهها أو كفيها فلو كانا عورة لوجب سترهما في الصلاة[4].

فالمرأة المسلمة تعرف بزيها وحشمتها، فلا يجرؤ أحد على التعرض لها بسوء أو مضايقتها، فلباسها ووقارها يقول لك: إنها ليست من هذا النوع الرخيص، كذلك الإسلام حين يستر جمال المرأة ومفاتنها حال شبابها ونضارتها يسترها حين تكبر، وحين يتلاشى الجمال، ويحل محله أمور تحرص المرأة على سترها، فالإسلام في هذه الحالة يحمي المرأة ويحفظ لها عزتها[5].

ثمار المنهجية السابقة:

1. حرص الإسلام على حفظ عرى المجتمع، والارتقاء بالمؤمنين والمؤمنات من جميع الجوانب الروحية والجسدية.
2. المرأة عنصر مهم في المجتمع، لذلك يجب الاهتمام بها وتحصينها عن أعين الجهلاء، ويكون ذلك من خلال حجابها، المتمثل في لبسها بشكل عام، وتغطية رأسها ووجها

---

(1) تفسير آيات الأحكام للسايس (ص: 668).

(2) روائع البيان تفسير آيات الأحكام للصابوني (2/ 381).

(3) انظر المرجع السابق (382/2)، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للرومي (508/2)، تفسير ابن عباس (ص:357).

(4) انظر أحكام القرآن للجصاص (408/3).

(5) الخواطر للشعراوي (19/ 12168).

بحجابها بشكل خاص، والحجاب لم يفرض على المسلمة تضييقاً عليها، وإنّما تشريفاً لها وتكريماً[1].

3. خص القرآن الحرائر دون الإماء بفرض الحجاب، كون الحرائر قليلات تحرك من بيوتهن، وعدم الخروج إلا لحاجة طارئة، على عكس الإماء فإن خروجهن يكون بشكل دائم وفرض الحجاب عليهن يكون مشقة عليهن فرأفة بهن جُعل الحجاب لهن على التخيير[2].
4. صورة إرخاء الجلباب: تغطية المرأة جميع جسدها إلا عين واحدة تبصر بها، كما قال ابن عباس وعبيدة السّلماني. وقال قتادة، وابن عباس في رواية أخرى: أن تلويه فوق الجبين وتشدّه، ثم تعطفه على الأنف، وإن ظهرت عيناها، لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه. وقال الحسن البصري: تغطي نصف وجهها[3].

(1) انظر روائع البيان تفسير آيات الأحكام (2/ 386).
(2) المرجع السابق (379/2).
(3) التفسير المنير للزحيلي (22/ 109).

المطلب الرابع

في الجانب الدعوي

ويشتمل على ست منهجيات:

المنهجية الأولى: لا جُناح في الخطأ مالم يُتعمد

المنهجية الثانية: الدعوة إلى الله ميثاقه الغليظ

المنهجية الثالثة: المنافقون داء كل زمان

المنهجية الرابعة: أذكر الله يذكرك

المنهجية الخامسة: فضل الصلاة على النبي ﷺ

المنهجية السادسة: عقوبة من يؤذي الله ﷻ ورسوله ﷺ والمؤمنين

المنهجية الأولى: لا جُناح في الخطأ ما لم يُتعمد

إنّ الإسلام جاء ميسراً على الناس، ومخففاً عليهم، ومن صور تخفيفه أن الله ﷻ غفارٌ رحيمٌ، ويقبل توبة عباده، ويغفر ذنوبهم، بل وهو سبحانه وتعالى يعطي الإنسان كل السبل، ويفتح أمامه كثير الطرق للتوبة والإنابة، مهما عظُم الذنب، ومهما كبُرت الخطيئة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ الأحزاب: ٥

المعنى الإجمالي:

إن تفاصيل الأحكام في الآية السابقة قد سبق ذكرها في منهجية سابقة من المطلب السابق[1]، ولكن ما نريد الوقوف عليه حقيقةً هو التجاوز عن الخطأ غير المتعمد، ولذلك لما كانت عادتهم الخوف مما سبق من أحوالهم على النهي لشدة ورعهم، أخبرهم أنه تعالى أسقط عنهم ذلك لكونه خطأ[2]، والوقوف كذلك على فاصلة هذه الآية التي تتحدث عن مغفرة الله ورحمته للناس، رغم ما في الآية من تعدٍ في الشرع، إلا أنه خُتمت بالتطمين للمؤمنين بان الله ﷻ يغفر الذنوب مهما بلغت، إلا في حالة التعمد.

الله ﷻ غفورٌ في حق من اخطأ ونسى ثم ذكر وتاب رحيمُ عليه يقبل توبته ويغفر زلته، ومن جملة من يغفر له ويرحمه من دعا رجلا لغير أبيه خطأ، أو قبل النهي عن ذلك وكان الله ستارا لذنب من ظاهر من زوجته، وقال الزور والباطل من القول، إذا تاب ورجع إلى أمر الله وانتهيا عن قول الباطل بعد أن نهاهما رحيماً بهم فلا يعاقبهم على ذلك بعد توبتهم[3].

وجاء حديثٌ من النبي ﷺ مدعمٌ لكون الله يغفر لأمته الخطأ والنسيان فقد روى ابن ماجه عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: "إن الله تعالى تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"[4].

---

(1) راجع المنهجية الثانية من المطلب الثالث (ص:65).

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (15/ 288).

(3) انظر فتح القدير للشوكاني (4/ 301)، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية للشيخ علوان (2/ 147)، تفسير المراغي (21/ 129).

(4) أخرجه ابن ماجه، باب طلاق المكره والناسي (659/1)، وصححه الألباني.

ثمار المنهجية السابقة:

1. لا إثم في الخطأ، ولكن الإثم على من تعمد الباطل[1].
2. إن الله ﷻ يقبل توبة عباده وإنابتهم في كل وقت ومهما بلغت الذنوب، إلا الشرك بالله، والتوبة وقت الغرغرة وخروج الروح ففيهما لا تُقبل التوبة.
3. القلب محل الإيمان والتصديق، ومنه يحكم الإنسان على نفسه إن كان متعمداً أو لا، فاليقين في القلب، فإذا كان صافياً مخلصاً كان على الطريق الصحيح، وإذا كان غير ذلك فعليه مراجعة نفسه.

المنهجية الثانية: الدعوة إلى الله ميثاقه الغليظ

إن الإنسان الحر صادق في مواثيقه، وذلك الإنسان إذا كان حراً أصيلاً غير مسلم، فكيف إذا كان من أهل هذا الدين، الذي هو خير الأديان، والذي بُعث فيه نبينا ليتمم مكارم الأخلاق، "إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق"[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧ – ٨]

المعنى الإجمالي:

إن الميثاق الذي أخذه الله ﷻ على الأنبياء، هو عبادة الله، والدعوة إلى عبادته، وكذلك أن يصدّق بعضهم بعضاً، والتعاون والتناصر والاتفاق. إنه ميثاق واحد مطرد من لدن نوح عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد ﷺ ميثاق واحد، ومنهج واحد، وأمانة واحدة يتسلمها كل منهم حتى يسلمها[3]، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ

(1) التفسير المنير للزحيلي (21/ 237).

(2) اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة للزركشي (ص: 23)، وضعّفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (104/5).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 382)، فتح القدير للشوكاني (303/4)، تفسير أبي السعود (91/7)، في ظلال القرآن لسيد قطب (5/ 2829).

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١]، أي أخذ عليهم أن يعلنوا أن محمدا رسول الله ﷺ، ويعلن محمد ﷺ أن لا نبي بعده[1].

وقدم محمداً ﷺ في الذكر لشرفه صلوات الله تعالى عليه، ولما روي أن قتادة كان إذا تلا هذه الآية (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ) قال: كان نبيّ الله ﷺ في أوّل النبيين في الخلق، وعن مجاهد، في قول الله: (مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ) قال: في ظهر آدم[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله الله (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ)، قال: كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدئ به قبلهم[3].

وتخصيص الأنبياء الخمسة المذكورين للإيذان بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع وأولي العزم من الرسل [4].

أخذ ميثاقهم لكي يسأل الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم مع علمه سبحانه وتعالى أنهم صادقون تبكيتاً[5] لمن أرسلوا إليهم، فيسأل المبلغين عن تبليغهم والوافين عن وفائهم والمؤمنين عن إيمانهم، وأعد للكافرين بالرسل عذاباً أليماً[6].

ثمار المنهجية السابقة:

1. نحن نشهد أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم، ونصحوا الأمم وأفصحوا لهم عن الحق المبين، الواضح الجلي، وإن كذبهم من كذبهم من الجهلة والمعاندين، فما جاءت به الرسل هو الحق، ومن خالفهم فهو على الضلال[7].

---

(1) التفسير المنير للزحيلي (249/21).

(2) جامع البيان للطبري (20/ 213)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (382/6).

(3) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (6/ 570)، وأخرجه ابن كثير في تفسيره وقال: فيه ضعف (382/6).

(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (7/ 92).

(5) التبكيت والبكع: أن تستقبل الرجل بما يكره. تهذيب اللغة للهروي (10/ 89).

(6) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (3/ 410)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص: 351).

(7) تفسير القرآن العظيم ابن كثير (6/ 383).

2. أخذ الميثاق على العلماء في تبيين الشرائع وتغيير المنكر، وألا تأخذهم في الله لومة لائم، وأخذه على الأولياء في تذكير العباد وإرشادهم إلى معرفة الله، وتربية مَن تعلّق بهم، وسياسة الخلق، ودلالتهم على الحق، فمَن قصَّر من الفريقين استحق العتاب[1].
3. كل الناس عليهم أن يهيئوا أنفسهم إما لتصديق رسالة الأنبياء، أو تبكيتاً لهم حال تكذيبهم، فالله تعالى خلق الجنة لتسع الناس جميعاً إن آمنوا، وخلق النار كذلك تسع الناس جميعاً إن كفروا، يعني: لن تكون هناك أزمة أماكن[2].

المنهجية الثالثة: المنافقون داء كل زمان

أينما وُجد المنافقون، وأفكارهم، وجدت الهزائم، والنفوس الضعيفة، والقلوب المريضة، ذلك لأنهم لا يحملون عقيدة تقويهم، وليس لهم مبدأ يحتمون به، بل كل حياتهم أمانيّ! وشأنهم هو ذاته في التثبيط والتخويف، منذ عهد النبي ﷺ وحتى وقتنا الحاضر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢]

المعنى الإجمالي:

ذكر ابن عباس في تفسيره بان المنافقين المقصودين في الآية هم عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه، اما الذين في قلوبهم مرض فهم معتب بن قشير[3] وأصحابه، والنفاق شكّ في الإيمان وضعف في الاعتقاد، فعن قتادة قوله: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ قال: قال ذلك أناس من المنافقين، قد كان محمد يعدنا فتح

(1) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (4/ 411).

(2) الخواطر للشعراوي (19/ 11949).

(3) معتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري، شهد بدرا، وأحدا، وكان قد شهد العقبة الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/ 1429).

فارس والروم، وقد حصرنا هاهنا، حتى ما يستطيع أحدنا أن يبرز لحاجته، ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا[1].

وقولهم ذلك كان فيما رواه الطبري عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني، عندما أخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان –وقت حفر الخندق–، فضرب الصخرة ضربة صدعها، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها –يعني لابتي المدينة– حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح، وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية، فصدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها، حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، وكبر المسلمون، ثم ضربها وسول الله ﷺ الثالثة فكسرها، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها، حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبّر رسول الله ﷺ تكبير فتح، ثم أخذ بيد سلمان فرقي، فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد رأيت شيئا ما رأيته قط، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم، فقال: "هل رأيتم ما يقول سلمان؟ " قالوا: نعم يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا، وقد رأيناك تضرب، فيخرج برق كالموج، فرأيناك تكبر فنكبر، ولا نرى شيئا غير ذلك، قال: "صدقتم ضربت ضربتي الأولى، فبرق الذي رأيتم أضاء لي منه قصور الحيرة ومدائن كسرى، كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبرائيل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثانية، فبرق الذي رأيتم، أضاء لي منه قصور الحمر من أرض الروم، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبرائيل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثالثة، وبرق منها الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور صنعاء، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبرائيل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها، فأبشروا"[2].

وبدأ الدور التثبيطي لهم حينما بدأوا يحثون بعضهم بعضاً على العودة عن القتال، وترك النبي ﷺ والمؤمنون وحدهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ﴾ [الأحزاب: ١٣]، وقيل أن أصحاب هذا الرأي هم أوس بن قيظي وأصحابه وهم من

(1) انظر: جامع البيان للطبري (20/ 222)، النكت والعيون للماوردي (381/4)، تنوير المقباس من تفسير بن عباس (ص:351).

(2) جامع البيان للطبري (20/223–224).

بني حارثة، فعزموا على ترك يثرب[1]، والعودة إلى منازلهم، وقيل ارجعوا كفاراً وأسلِموا محمداً ﷺ[2].

ولم يكتفوا بذلك بل كعادة المنافقين في كل عصر ومصر، بدأوا باختلاق الأعذار الكاذبة للهروب من أرض المعمعة[3]،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٣]، فتذرعوا بحجج واهية وهي أن بيوتهم مكشوفة للسُرّاق، فسيذهبون لتحصينها ومن ثم يعودوا، ولكن الله كذّبهم في القرآن، فعذرهم فقط من أجل الفرار من القتال[4].

ويبين القرآن الكريم بعد ذلك دناءة نفوسهم، وسطحية إيمانهم، في أن الأحزاب لو دخلوا المدينة، وقيل بيوت المنافقين، ثم سُئل هؤلاء المنافقين العودة والردة عن دين الله، بل وقتال المؤمنين، لما ترددوا في ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٤]، وما تلبثوا وتوقفوا بها أي بإتيان الفتنة والردة بعد ما سئلوا عنها وطولبوا بها إلا يسيراً أي آناً واحداً لا زماناً بل مقدار ما يفهمون سؤال السائل ومقصوده منه[5].

ومن أخلاق المنافقين نكثهم عهودهم، ففي وقت الرخاء أعطوا لله ﷻ عهداً بقتال الكفار، ولكنهم عند المواجهة اختلقوا الأعذار للهروب، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ ﴾ الأحزاب: ١٥، قال الفقيه الإمام

---

(1) يَثْرِبُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وكسر الراء، وباء موحدة، قال أبو القاسم الزجاجي: يثرب مدينة رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية بن مهلائيل ابن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح، عليه السّلام، فلما نزلها رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، سماها طيبة وطابة كراهية للتثريب، وسميت مدينة الرسول لنزوله بها. (معجم البلدان (5/ 430))

(2) انظر: معالم التنزيل للبغوي (620/3)، الكشاف للزمخشري (527/3).

(3) يقال للحرب معمعة، وله معنيان: أحدهما صوت المقاتلة، والثاني استعار نارها (لسان العرب لابن منظور (8/ 340)).

(4) مدارك التنزيل للنسفي (22/3).

(5) انظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية للنخجواني (2/ 150)، التفسير المنير للزحيلي (269/21).

القاضي: وهم مع بني سلمة كانتا الطائفتين اللتين همتا بالفشل يوم أحد، ثم تابا وعاهدا على أن لا يقع منهم فرار فوقع يوم الخندق من بني حارثة، فأخلفوا عهدهم وسيُسألون أمام الله عن هذا الأمر[1].

ولأن قدر الله ﷻ نافذ وواقع، فقد أخبر الله تعالى أن فرارهم لن ينفعهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ ﴾ الأحزاب: ١٦، فالموت حق ولا بد منه، ووقته ومكانه وكيفيته محددة عند الله منذ خلق الإنسان، وإذا فررتم من القتل في تلك المعركة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الأحزاب: ١٦، فالعاقل لا يرغب في شيء قليل بسببه يفوت عليه شيءٍ كثيرٍ[2].

وتُلحق هذه الآية بسؤال استنكاري جوابه مقرر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٧]، أي ليس لكم ولي يشفع لمحبته إياكم ولا نصير ينصركم ويدفع عنكم السوء إذا أتاكم[3].

ذلك شان المنافقين، وغدرهم، وجُبنهم، يوم غزوة الأحزاب، وفي رحاب سورة الأحزاب لهم موقف آخر هو كشأنهم في كل المعارك والسرايا التي كان يرسلها رسول الله ﷺ، كانوا يوقعون في الناس أنهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو ونحو هذا من الأراجيف، وقيل كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا[4].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الأحزاب: ٦٠

ويأتي لهم التهديد والوعيد الرباني، بتسليط النبي ﷺ عليهم، بقتالهم، وإجلائهم، فالإخراج

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (4/ 374).
(2) مفاتيح الغيب للرازي (25/ 162).
(3) المرجع السابق.
(4) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (3/ 437).

من الأوطان من أعظم الهوان، فلا يجاورون النبي ﷺ إلا زمناً يسيراً ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه وفى بحر العلوم ريثما يرتحلون بأنفسهم وعيالهم[1].

ولما كان معنى الكلام أنهم ينفون لأنه ﷺ يؤمر بنفيهم وإبعادهم وقتلهم، بين حالهم في نفيهم أو نصبه على الشتم **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦١]، فالملعون: المطرود من رحمة الله، أو مطرودون من المدينة بعد أن كشف الله دخائل نفوسهم الخبيثة؛ لذلك طردهم رسول الله من المسجد؛ لأنهم كانوا يدخلون المسجد ظناً منهم أن ذلك يستر نفاقهم، لكن رسول الله كان يطردهم بالاسم، ولم لا وقد قال الله له: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ ﴾ [محمد: ٣٠]، وذلك ليس كل العذاب، فلهم الأسر والقتل، بل والتشيدي بالقتل فلا تأخذكم بهم رحمة[2].

ثمار المنهجية السابقة:

1. ديدن المنافقين ثابت ومعروف أصحاب مكرٍ سيئ، يتصفون بالخسَّة واللُّؤم والجُبن والخبث، يتلوَّنون حسب الظروف، فهم أمام المؤمنين متستِّرون بالإيمان، وأمام الكافرين وشياطين الإنس يخلعون ذلك الستار عن كاهلهم، فيظهرون على حقيقتهم الخسيسة[3].
2. الأعمار مكتوبة، والموت محتوم، فلا يوجد سبب للهرب من القتال، ومساندة المؤمنين في النصرة والتمكين، فالإقدام لن ينقص من العمر شيئاً، والجبن لن يطيل في العمر شيئاً، لذلك فعلى الأمة أن تتكاتف، وتوحد جهودها في نصرة شريعة الله وتحكيم شرعه، ولا يضعوا في أنفسهم خوفاً من أحد[4].
3. إن السلطان يشاور أصحابه وخاصته في أمر القتال لأنه لما سمع رسول الله ﷺ باجتماع الأحزاب وخروجهم إلى المدينة، شاور أصحابه، فأشار عليه سلمان الفارسي

---

(1) انظر نظم الدرر للبقاعي (15/ 413)، روح البيان لأبي الفداء الخلوتي (7/ 242).

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (15/ 414)، الخواطر للشعراوي (19/ 12177).

(3) الخلاصة في صفات المنافقين لعلي الشحود (ص:127).

(4) التفسير المنير للزحيلي (21/ 285)

بحفر الخندق، فرضي رأيه، وقال المهاجرون يومئذ: سلمان منا، وقال الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: "سلمان منا آل البيت"[1].

4. في الأمر للنبي ﷺ بالتغرية بالمنافقين، وعدم مجاورته، دليل لنفي أهل الشر، الذين يتضرر بإقامتهم بين أظهر المسلمين، فإن ذلك أحسم للشر، وأبعد منه[2]، مع جواز تأخير إخراجهم لحاجة منهم، أو غيره، فقد ورد أن المنافقين عاشوا مع النبي ﷺ في المدينة حتى توفاه الله ﷻ.

المنهجية الرابعة: اذكر الله يذكرك

إن أفضل العبادات التي يتقرب بها الإنسان إلى الله، الذكر، فهي العبادة التي لا تحتاج إلى متطلبات سابقة، ولا تتطلب وقتاً معيناً لعملها، عن ابن عباس: لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله[3].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣]

المعنى الإجمالي:

هذا أمر للمؤمنين عامة، بإدامة ذكر الله سبحانه وتعالى، إما الذكر باللسان، أو الذكر الدائم بالقلب الذي يؤدي إلى طاعته سبحانه واجتناب معاصيه، وكلاهما لا يحتاجان إلى جهد أو دخول وقت لأدائهما، ففي كل وقت وتحت أي ظرف يستطيع الإنسان اغتنام وقته بذكر الله

(1) المرجع السابق(21/ 281).

(2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: 672).

(3) جامع البيان للطبري ت شاكر (20/ 280).

ففيه أجر وغنيمة، قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ ﴾ [النساء: ١٠٣][1].

و عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"[2]، ففي الحديث إشارة عظيمة إلى أجر الذاكرين الله تعالى، وقال ابن حجر رحمه الله: ويطلق ذكر الله ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن، وقراءة الحديث، ومدارسة العلم[3].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ الأحزاب: ٤٢، قيل التسبيح من باب الذكر؛ وذُكر بلفظين خشية السآمة، وقيل هي الصلاة ما في البكرة والأصيل، والبكرة هي صلاة الصبح، والأصيل صلاة العصر، وقيل ما بين الظهر إلى العشاء، وقيل صلاة العصر والعشائين، وقال مجاهد: سبحوه؛ يعني قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[4].

فهو الذي يصلي عليكم بالرحمة. وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم، وقيل الصلاة من الله على العبد هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده والثناء عليه، وقال النبي ﷺ: "يقول الله: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم"[5]، هذا تهييج إلى الذكر، أي: إنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم[6].

---

(1) انظر: جامع البيان للطبري ت شاكر (20/ 280)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (404/3)، لطائف الإشارات للقشيري (164/3)، النكت والعيون للماوردي (409/4).

(2) أخرجه الإمام مسلم بزيادة (2074/4)، حديث رقم: 2699.

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (209/11).

(4) انظر معالم التنزيل للبغوي (647/3)، لطائف الإشارات للقشيري (165/3)، تفسير القرآن للسمعاني (292/4).

(5) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (121/9)، حديث رقم: 7405.

(6) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (4/ 234)، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (3/ 430)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 436).

ولما كان فعل الملائكة منسوبا إليه لأنه مع كونه الخالق له الآمر به قال: ليخرجكم بذلك من الظلمات أي الكائنة من الجهل الموجب للضلال إلى النور أي الناشئ من العلم المثمر للهدى، فيخرج بعضكم بالفعل من ظلمات المعاصي المقتضية للرين على القلب إلى نور الطاعات، فتكونوا بذلك مؤمنين وكان أزلاً وأبداً بالذين صار الإيمان لهم ثابتاً بليغ الرحمة بتوفيقهم لفعل ما ترضاه الإلهية، فإنهم أهل خاصته فيحملهم على الإخلاص في الطاعات، فيرفع لهم الدرجات في روضات الجنات[1].

بل أجرهم ممتد لهم ، فتحيتهم يوم يلقونه سلام أي يحيون يوم لقائه، بالموت أو الخروج من القبر أو دخول الجنة، بسلام تبشيرا بالسلامة من كل مكروه وآفة، والمحيي لهم، إما الله جل جلاله، لقوله ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾ [يس: ٥٨]، تعظيما لهم وتفضلا منه عليهم، وإما الملائكة لآية ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٣ – ٢٤]، وإما تحية بعضهم بعضا بالسلام. وقد يُستدل له بآية ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ ﴾ [يونس: ١٠][2].

ثمار المنهجية السابقة:

1. الحث على ذكر الله وشكره على نعمه، وتسبيحه في معظم الأحوال بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، دون تقدير بقدر معين أو تحديد بحد، ليسهل الأمر على العبد، وليعظم الأجر فيه[3].
2. على المؤمن أن يستثمر جميع أوقاته في طاعة الله تعالى، فوقت الصلاة لا يكون إلا لها، في البكرة والأصيل، فإن انتهى منها فليلهج لسانه بالذكر والتسبيح في أي وقت وتحت أي ظرف وجهد.

---

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (15/ 370-371).

(2) محاسن التأويل للقاسمي (8/ 91).

(3) التفسير المنير للزحيلي (22/ 43).

3. رحمة الله قريب من المحسنين، بالرحمة المهداة منه سبحانه، أو بأمره للملائكة بالاستغفار للمؤمنين وحفظهم، فهو صاحب الفضل الأعظم بهداية الناس وإخراجهم من الضلال إلى الهدى.
4. أجر الذكر ممتدٌ إلى يوم القيامة، حيث سيلقون الله بسلام وينجيهم من النار، وتبلغهم الملائكة السلام من الله، ويرون الله تعالى وهذا عظيم الأجر وجزيله، فالتحية إذا قرنت بالرؤية، واللقاء إذا قرن بالتحية فلا يكون ذلك إلا بمعنى رؤية البصر[1].

المنهجية الخامسة: فضل الصلاة على النبي ﷺ

لقد امتنّ الله سبحانه وتعالى على أمة الإسلام بنعم عظيمة وجليلة، وكان من أعظم هذه النعم وأجلّها إرسال النبي محمد ﷺ إلى البشرية، رسولٌ مشفق على أمته، ينصحها ويرشدها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، هذا النبي الذي له الفضل والثناء من الله ﷻ، ثم بعد هذه الشفقة والحب والنصح للأمة، ترى كثيرًا من السفهاء يؤذونه بشتى أصناف العذاب، حتى يومنا هذا!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

المعنى الإجمالي:

يا لها من مكانة عظيمة أن تكون الصلاة على النبي ﷺ بداية من الله ﷻ، وملائكته الكرام، عن أبي العالية قال: صلاة الله عليه ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة عليه الدعاء له[2].

(1) لطائف الإشارات للقشيري (3/ 165).
(2) تفسير مجاهد (ص: 552).

ولصلاة الله ﷻ والملائكة على النبي ﷺ عدة أقوال؛ أحدها: ما سبق وذكرناه أن صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، قاله أبو العالية. الثاني: أن صلاة الله تعالى عليه المغفرة له، وصلاة الملائكة الاستغفار له، قاله سعيد بن جبير. الثالث: أن صلاة الله تعالى عليه رحمته، وصلاة الملائكة الدعاء له، قاله الحسن[1].

وذكر ابن عباس: قوله (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ) يقول: يباركون على النبي[2].

وللصلاة على النبي ﷺ عظيم الأجر، فقد روى مسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً"[3].

وأما عن كيفية الصلاة عليه، فقد روى البخاري عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: لقيني كعب بن عجرة، فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي ﷺ خرج علينا، فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: "فقولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد"[4].

وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال: إذا صليتم على رسول الله فأحسنوا الصلاة عليه؛ فلعلها تعرض عليه؛ قالوا له: فعلمنا. قال: قولوا اللهم صل على محمد عبدك ونبيك، سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون[5].

وبعد هذا التكريم الرباني، وعظيم الأجر الإلهي، ترى كثيرًا من الناس يؤذون رسول الله ﷺ، بالقول والفعل، ففي زمنه وصفوه بأنه شاعر وكاهن ومجنون، وفي زمننا ما زال إيذائهم مستمر بالشتم والقدح، لكن الله تعالى ينتصر لعباده المؤمنين.

---

(1) النكت والعيون للماوردي (4/ 421).

(2) جامع البيان للطبري ت شاكر (20/ 320).

(3) أخرجه مسلم، باب الصلاة على النبي ﷺ، حديث رقم 408 (1/ 306).

(4) أخرجه البخاري، باب الصلاة على النبي ﷺ (8/ 77).

(5) تفسير القرآن للسمعاني (4/ 304).

ثمار المنهجية السابقة:

1. أفرد الله ﷻ النبي ﷺ بهذه الصلاة التي جمع فيها الملائكة الكرام معه سبحانه وجعل الخبر عنهم خبراً واحداً ليكون أتمّ، وأمر الله لعباده بالصلاة على النبي محمد ﷺ دون سائر أنبيائه فيه زيادة تشريف ورفعة ومكانة عظمة للنبي ﷺ[1].
2. الصلاة على النبي ﷺ فرض إسلامي، فالأمر به محمول على الوجوب، وأقله مرة في العمر[2].

المنهجية السادسة: عقوبة من يؤذي الله ورسوله والمؤمنين

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧]

وقد ذكر المفسرون أن المقصود بالذين يؤذون النبي ﷺ هم اليهود والنصارى، فاليهود قد آذوا الله ﷻ بقولهم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة: ٦٤]، والنصارى آذوا الله بقولهم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة: ٧٣]، وأضاف ابن عباس ﷺ إليهم صنف المشركين فقد قالوا: أن الملائكة بنات الله، وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى، لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه شيء، وجميع الأصناف المذكورة آذوا رسول الله ﷺ بوصفهم إياه بأنه ساحر ومجنون وكاهن، والذين شجوا رأسه وكسروا رباعيته يوم أحد[3].

وإيذاء الله ﷻ مستمر في كل زمان، وذلك بعصيان أوامره، والابتعاد عن طاعته، وقيل بأن المصورين يؤذون الله تعالى بتصاويرهم التي يرومون بها تكوين خلق مثل خلق الله قاله

---

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (15/ 406)، التفسير المنير للزحيلي (102/22).
(2) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (2/ 158).
(3) الكشف والبيان للثعلبي (63/8)، بحر العلوم للسمرقندي (72/3)، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (446/10)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (2/ 158).

عكرمة[1]، وفيه قد ورد قول النبي ﷺ في جزء من حديث عون بن أبي جحيفة عن أبيه: "ولعن المصورين"[2].

وقيل بأن المقصود من الآية الذين يؤذون أولياء الله، قياساً على قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢][3]، وقد توعد الله تعالى لمن يعادي أوليائه فقال في الحديث القدسي: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب"[4].

فعذاب أولئك المؤذون أليم في الدنيا والآخرة، لعنهم الله أبعدهم من رحمته. في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الإيلام[5].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٨]

أطلق إيذاء الله ورسوله، وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات لأن ذاك يكون غير حق أبداً وأما هذا فمنه حق كالحد والتعزير ومنه باطل، وقيل إنها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليًّا ﷺ، وقيل في أهل الإفك، وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات، وإيذاء المؤمنين بالقول أول الفعل، بغير جناية ارتكبوها، أكد الله ﷻ بأنهم اقترفوا لإثماً ظاهراً بيناً يستحقون به العقاب من الله تعالى[6].

---

(1) الكشف والبيان للثعلبي (63/8).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب مهر البغي والنكاح الفاسد، حديث رقم: 5347 (61/7).

(3) تفسير القرآن للسمعاني (306/4).

(4) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع (8/ 105)، حديث رقم: 6502.

(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (4/ 238).

(6) انظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (3/ 44)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (4/ 238)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (115/7).

ثمار المنهجية السابقة:

1. إن من يؤذي الله ورسوله يستحق اللعنة والطرد من رحمة الله في الدنيا والآخرة، وله عذاب محقر مؤلم في نار جهنم[1]، وفيه بشارة للمؤمنين بأن الله سبحانه وتعالى معهم، ومعذب من يؤذيهم.
2. إيذاء المؤمنين بالقول أو الفعل، إثم بيِّن ظاهر، يستحق مرتكبه من الله العذاب، بل ويكون محل معاداة الله تعالى له، ومن يصمد أمام قوة وجبروت الله!

(1) التفسير المنير للزحيلي (104/22).

الفصل الثاني

سـورة سـبـأ

ومنهجيات الإصلاح والتغيير فيها

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مـدخـل إلى سـورة الأحـزاب

المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير في السورة

المبحث الأول

مدخل إلى سورة سبأ

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: المناسبات في السورة

المطلب الأول: بين يدي السورة

أولاً: محور السورة

ركز المحور الأساسي لهذه السورة على العقيدة الرئيسية بموضوعاتها المختلفة؛ توحيد الله، والإيمان بالوحي، والاعتقاد بالبعث. وإلى جوارها تصحيح بعض القيم الأساسية المتعلقة بموضوعات العقيدة الرئيسية. وبيان أن الإيمان والعمل الصالح هما قوام الحكم والجزاء عند الله. وأنه ما من قوة تعصم من بطش الله وما من شفاعة عنده إلا بإذنه.

والتركيز الأكبر في السورة على قضية البعث والجزاء وعلى إحاطة علم الله وشموله ودقته ولطفه، وتتكرر الإشارة في السورة إلى هاتين القضيتين المترابطتين بطرق منوعة، وأساليب شتى وتظلل جو السورة كله من البدء إلى النهاية[1].

ثانيًا: تسمية السورة

تسمى سورة سبأ بهذا الاسم للتذكير فيها بقصة سبأ، وهم ملوك اليمن، في قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ﴾ [سبأ: ١٥]، فقد أنعم الله عليهم بالحدائق الغناء والأراضي الخصبة، فلما كفروا النعمة، أبادهم بسيل العرم[2].

ثالثًا: عدد آيات السورة وترتيبها ونوعها

آياتها أربع وخمسون آية باتفاق علماء العدد، وترتيبها الرابعة والثلاثين، وهي مكية.

رابعًا: أهداف السورة وموضوعاتها[3]

1. إثبات قضية البعث والجزاء، بإيراد عدة مشاهد للقيامة، وما فيها من تأنيب للمكذبين بها، ومن صور العذاب الذي كانوا يكذبون به أو يشكون في وقوعه.
2. تحدثت عن موضوع التوحيد في بداية السورة للتأكيد عليه.
3. تشير الآيات إلى عبادتهم للملائكة وللجن وذلك في مشهد من مشاهد القيامة.
4. ينفي ما كانوا يظنونه من شفاعة الملائكة لهم عند ربهم.
5. وبمناسبة عبادتهم للشياطين ترد قصة سليمان وتسجد الجن له، وعجزهم عن معرفة موته.
6. تحدثت الآيات عن موضوع الوحي والرسالة لإثباته وتأكيده وتقريره.

---

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (5/ 2888).

(2) التفسير المنير للزحيلي (22/ 131).

(3) في ظلال القرآن لسيد قطب (5/2888-2889).

7. تقرير القيم ، حيث يضرب أمثلة قصة آل داود الشاكرين على نعمة الله، وقصة سبأ المتبطرين الذين لا يشكرون، وما وقع لهؤلاء وهؤلاء، وفيه مصداق مشهود للوعد والوعيد.

المطلب الثاني: المناسبات في السورة

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها (الأحزاب)

لما ختمت الأحزاب بقوله تَعَالَىٰ: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٧٣]، افتتحت هذه بأن لله ﷻ ما في السماوات وما في الأرض، وهذا الوصف لائق بذلك الحكم؛ فإن الملك العام والقدرة التامة يقتضيان ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [سبأ: ١].

وفاصلة خاتمة سورة الأحزاب: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٣]، تتناسب وفاصلة الآية الثانية من مطلع سبأ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ: ٢][1].

ثانيًا: مناسبة السورة لما بعدها (فاطر)

لما أثبت سبحانه فيها الحشر الذي هو الإيجاد الثاني، ودل عليه بجزئيات من القدرة على أشياء في الكون، إلى أن ختم بأخذ الكفار أخذاً، اضطرهم إلى الإيمان بظهور الحمد لهم أتم الظهور، وبالحيلولة بينهم وبين جميع ما يشتهون كما كانوا متعوا في الدنيا بأغلب ما يشتهون من كثرة الأموال والأولاد، وما مع ذلك من الراحة من أكثر الأنكاد، وكان الحمد يكون بالمنع والإعدام، كما يكون بالإعطاء والإنعام، فتجردت سورة سبأ لتعريف العباد بعظيم ملكه سبحانه، وتجردت هذه الأخرى للتعريف بالاختراع والخلق[2].

ثالثًا: مناسبة محور السورة لفاتحتها وخاتمتها

المحور الأساسي لهذه السورة هو ذكر قصة قوم سبأ باليمن، وذكر هذه القصة للعبرة والعظة، لذلك ابتدأت السورة بالحمد؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ: ١]، فحال المؤمنين التفكر والتأمل، وأخذ العبر والعظات من أحوال الأمم السابقة، أما الكافرين فحالهم التكذيب والاستهزاء، لذلك توعدتهم خاتمة السورة بالعذاب؛ قَالَ

---

(1) أسرار ترتيب القرآن (ص: 124).

(2) نظم الدرر للبقاعي (16/ 2)، البرهان في تناسب سور القرآن (ص: 286).

تَعَالَىٰ: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ [سبأ: ٥٤].

رابعًا: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها

وتختم السورة بإيقاع سريع عنيف شديد، وتختم بمشهد من مشاهد القيامة يثبت القضية التي عليها التركيز والتوكيد في السورة، كما مضى في نهاية كل شوط فيها وفي ثناياها. وقد بدأت السورة بهذه القضية وختمت بها هذا الختام العنيف[1].

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (5/ 2917).

المبحث الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير في السورة

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: في الجانب العقدي

المطلب الثاني: في الجانب التربوي والأخلاقي

المطلب الثالث: في الجانب التشريعي والسياسي

المطلب الرابع: في الجانب الدعوي

المطلب الأول

في الجانب العقدي

ويشتمل على خمس منهجيات:

المنهجية الأولى: توحيد الله ﷻ

المنهجية الثانية: علم الله مطلق

المنهجية الثالثة: إنكار الساعة البعث والجزاء

المنهجية الرابعة: الشفاعة عند الله لمن أذن له

المنهجية الخامسة: الرزق والهدى من الله

المنهجية الأولى: توحيد الله ﷻ

الله مالك السماوات والأرض وما فيهما، والمتصرف بشؤونهما، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويجب حمده على النعم التي أنعم بها على خلقه[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [سبأ: ١]

المعنى الإجمالي:

إن الله ﷻ محمود لذاته ولو لم يقم بحمده أحد من هؤلاء البشر وهو محمود في هذا الوجود الذي يسبح بحمده، ومحمود من شتى الخلائق ولو شذ البشر عن سائر خلائق الله[2].

فالشكر الكامل والحمد التام كله للمعبود الذي هو مالك جميع ما في السماوات السبع وما في الأرضين السبع دون كل ما يعبدونه، ودون كل شيء سواه لا مالك لشيء من ذلك غيره، فالمعنى الذي هو مالك جميعه[3].

ومع الحمد صفة الملك لما في السماوات وما في الأرض فليس لأحد معه شيء، وما لأحد في السماوات والأرض من شرك، فله- سبحانه- كل شيء فيهما[4].

وحمد الله في الآخرة هو حمد أهل الجنة من غير تكلف فسرورهم بحمده، وقيل أن له الحمد في السموات وفي الأرضين لأنه خلق السموات قبل الأرضين فصارت هي الأولى، والأرضون هي الآخرة[5].

وأشار قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ إلى أنه سيطلع عباده المؤمنين – من موجبات حمده ما يمنحهم أو يضاعف لهم من الجزاء أو عظيم الثواب في الآخرة – على ما لم تبلغه عقولهم في الدنيا ولا وفت به أفكارهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧][6].

---

(1) التفسير المنير للزحيلي (22/ 134).

(2) في ظلال القرآن (5/ 2891)

(3) جامع البيان للطبري (20/ 346).

(4) في ظلال القرآن لسيد قطب (5/ 2891).

(5) انظر: النكت والعيون للماوردي (4/ 431).

(6) نظم الدرر للبقاعي (441/15).

وهو الحكيم في أمره، الخبير بخلقه، الحكيم الذي أحكم أمور الدارين ودبرها بحكمته الخبير بكل كائن يكون[1].

ثمار المنهجية السابقة:

1. الشكر لله وهو أن صنع إلى خلقه فحمدوه، والشكر لله بنعمه السوابغ على عباده الذين هداهم للإيمان.
2. الشكر والوحدانية والإلهية لله الذي لا ولد له ولا شريك له ولا معين له ولا وزير له، والله تعالى هو المحمود في الدنيا والآخرة لأنه المالك للأولى والثانية، وهو الحكيم في فعله، الخبير بأمر خلقه[2].
3. الحمد هو الثناء على الله ﷻ باللسان والقلب والجوارح.
4. يجب على المؤمنين أن يشكروا الله ﷻ على عظيم النعم التي امتن بها عليهم، فبالشكر والحمد تدوم النعم، وبالكفر تزول.

المنهجية الثانية: علم الله مطلق

فالله ﷻ عليم بكل الأمور، دقيقها وكبيرها، سرها وعلنها، فهو الخالق المتصرف في شؤون العباد ومآلهم، فعلم الله هو العلم الكامل كمالاً مطلقاً، حيث تتكشف به حقائق الأشياء كلها، إذ كان كل شيء هو صنعة الله، من مبدأ وجود المخلوق إلى كل ما يطرأ عليه من تبدل وتحول في كل لحظة من لحظات الزمن[3].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ: ٢]

المعنى الإجمالي:

أتبع سبحانه ما تقدم من حمده على ما هو أهله ببسط شواهد حكمته وعلمه، فالله يعلم ما يلج في الأرض كالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر، وكالكنوز والدفائن والأموات، وما يخرج منها كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون، وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب

(1) النكت والعيون للماوردي (4/ 432)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 566).
(2) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص: 2)، التفسير المنير للزحيلي (22/ 135).
(3) التفسير القرآني للقرآن (11/ 774).

والمقادير والأرزاق والأنداء والصواعق، وما يعرج فيها كالملائكة وأعمال العباد والأبخرة والأدخنة[1].

وهذه الآية، هي شرح وبيان لصفة "الخبير" التي وصف الحق بها ذاته في الآية السابقة لهذه الآية، فالخبير هو العالم علما كاشفا لكل شيء فالعلم بما ذكر هنا هو العلم بذواتها وخصائصها وأسبابها وعللها وذلك عين الحكمة والخبرة [2].

وإن آية واحدة من القرآن كهذه الآية لمما يوحي بأن هذا القرآن ليس من قول البشر. فمثل هذا الخاطر الكوني لا يخطر بطبيعته على قلب بشر ومثل هذا التصور الكوني لا دافع إليه من طبيعة تصور البشر، ومثل هذه الإحاطة باللمسة الواحدة تتجلى فيها صنعة الله بارئ هذا الوجود! التي لا تشبهها صنعة العبيد[3].

ولما ذكر مخلوقاته وحكمته فيها، وعلمه بأحوالها، ذكر مغفرته ورحمته لها، فهو الذي الرحمة والمغفرة وصفه، ولم تزل آثارهما تنزل على عباده كل وقت بحسب ما قاموا به من مقتضياتهما[4].

ثمار المنهجية السابقة:

1. علم الله محيط بجميع المخلوقات في جميع الأزمان، ولو أن أهل الأرض جميعا حاولوا إحصاء ما ذكره الله ﷻ في الآية السابقة، لما استطاعوا أن يصلوا إلى إحصاء بعض تلك الحشود الهائلة من خلق الله تعالى في أرضه أو سمائه، ولكن هذه الحشود العجيبة في حركاتها، وأحجامها، وأنواعها، وأجناسها، وصورها، وأحوالها، قد أحصاها علم الله تعالى الذي لا يخفى عليه شيء[5].
2. قوله في الآية: ما يعرج فيها ولم يقل يعرج إليها إشارة إلى قبول الأعمال الصالحة ومرتبة النفوس الزكية وهذا لأن كلمة (إلى) للغاية، فلو قال وما يعرج إليها لفهم الوقوف عند السموات فقال: وما يعرج فيها ليفهم نفوذها فيها وصعودها منها[6].
3. هذا القرآن دليل أنه ليس من عند البشر، فهو معجز بلفظه ومعناه.

---

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (15/ 441)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (4/ 241).

(2) التفسير القرآني للقرآن (11/ 774)، التحرير والتنوير (22/ 137).

(3) في ظلال القرآن (5/ 2892).

(4) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: 674)

(5) التفسير الوسيط لطنطاوي (11/ 265).

(6) مفاتيح الغيب للرازي (25/ 191).

المنهجية الثالثة: إنكار الساعة والبعث والجزاء

إن أكثر ما يميز أمة الإسلام، هو إيمانهم المطلق بالحساب يوم القيامة، وذلك كونه أحد أركان الإيمان، قال ﷺ: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث"[1]، واستعدادهم لذلك اليوم، من أعمال صالحات وتقرب إلى الله تعالى، وهذا على النقيض تماماً من قناعات الكفار والمشركين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾ [سبأ: ٣]

المعنى الإجمالي:

إن الله خلق الخلق لغاية محددة في الدنيا إلى أجل مسمى، فإذا كان كذلك، فإن الحياة الدنيا لا يمكن أن تكون آخر المطاف، حتى يعلم الله المصلح من المفسد، ويجازي كلا بعمله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وبذلك نستدل على أن حكمة الله وعدله يقتضيان البعث والجزاء[2].

هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهن، مما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، فإحداهن في سورة يونس: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [يونس: ٥٣]، والثانية هذه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ ﴾ [سبأ: ٣]، والثالثة في التغابن: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن:٧]،والتوكيد باليمين بالله هو الغاية في التشديد والتوكيد[3].

وفي هذه الآية الكريمة نفى للبعث وإنكار لمجيء الساعة، أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية[4]، وروي أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان بن حرب، حيث

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: 50 (1/ 19).

(2) انظر: أركان الإيمان لعلي بن نايف الشحود (ص: 174)، رسالة في أسس العقيدة لمحمد بن عودة السعوي (ص: 61).

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 495).

(4) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 567).

قال واللات والعزى ما ثم ساعة تأتي ولا قيامة ولا حشر فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقسم بربه مقابلة لقسم أبي سفيان قبل ردا وتكذيبا وإيجابا لما نفاه[1].

ويأتي الرد الرباني على دعواهم، ﴿ قُلْ بَلَىٰ ﴾ رد لكلامهم وإثبات لما نفوه، ﴿ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ﴾ تكرير لإيجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر إمكانه وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة، فلا يفوت علم الله تعالى شيء، ففي علمه وقت قيام الساعة، بل وعلمه إلى الذرة ولا أكبر منها ولا أصغر، فكله في علم الله تعالى، وفي اللوح المحفوظ[2].

وبيّن أنه لا فرق عنده بين الغيب الذي الساعة منه والشهادة، بل الكل عنده شهادة، وللعناية بهذا المعنى يقدم الغيب إذا جُمعا في الذكر، فقال مبينا عظمة المقسم به ليفيد حقيقة المقسم عليه لأن القسم بمنزلة الاستشهاد على الأمر، وكلما كان المستشهد به أعلى كعبا وأبين فضلا وأرفع منزلة كان في الشهادة أقوى وآكد[3].

ثم تأكيداً لمعنى البعث، ذكر الله سبحانه ما أعد للمؤمنين من نعيم، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [سبأ: ٤]، فأولئك لهم مغفرة لما اقترفوا من العصيان، وما قصروا فيه من مدراج الإيمان، ورزق كريم لما صبروا عليه من مناهج الإحسان وهو الجنة بسبب إيمانهم، وعملهم الصالح مع التفضل عليهم من الله سبحانه [4].

ثم بيّن سبحانه عذاب الفريق الآخر؛ المكذبين، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ [سبأ: ٥]، فطعنوا في آيات الله تعالى ونسبوها إلى السحر والشعر وغير ذلك، مقدرين الغلبة والعجز في زعمهم الفاسد وظنهم الباطل أولئك لهم عذاب من رجز أليم وهو أسوأ العذاب[5].

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (4/ 405).

(2) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (4/ 241)، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (441/3).

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (15/ 445).

(4) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (4/ 473)، فتح القدير للشوكاني (4/ 359).

(5) محاسن التأويل للقاسمي (8/ 134).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سبأ: ٢٩]

هكذا هم دائماً فريق المكذبين، ينكرون أصلاً وجود يوم البعث والحساب، ويقول كفار قريش للرسول الكريم: متى يكون هذا الذي تَعِدُنا به من العذاب ان كنت ومن معك صادقن فيما تؤمنون به؟! والاستفهام منهم للإنكار والاستبعاد، والقدح في النبوة لا طلباً لتعيين وقت مجيئه على وجه الإلزام [1].

وإن الأساس في رد دعوات النبيين إلى الرسالة الإلهية وهو إنكارهم البعث والنشور وكفرهم بما يغيب عنهم، ولذا يكون استغرابهم من دعوة الرسل وإجابتهم واحدة[2].

ثم إذا دُعوا يوم القيامة للحساب، وبُعثوا من قبورهم، بدأت تدب بينهم الخلافات، فكل منهم يحاول التخلص من موقفه الذي هو فيه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[سبأ: ٣٣]، والواقع أن كبرائهم لم يقسروهم قسراً على الكفر، ولكنهم أغروهم به إغراءً، بما يملكون من وسائل الإغراء، وفى أيديهم المال، والجاه والسلطان، وكلها قوى ذات سلطان على الناس[3]، ثم يدرك هؤلاء وهؤلاء أن هذا الحوار البائس لا ينفع هؤلاء ولا هؤلاء، ولا ينجي المستكبرين ولا المستضعفين، فلكل جريمته وإثمه، المستكبرون عليهم وزرهم، وعليهم تبعة إضلال الآخرين وإغوائهم. والمستضعفون عليهم وزرهم، فهم مسؤولون عن اتباعهم للطغاة، لا يعفيهم أنهم كانوا مستضعفين، لقد كرمهم الله بالإدراك والحرية، فعطلوا الإدراك وباعوا الحرية ورضوا لأنفسهم أن يكونوا ذيولاً وقبلوا لأنفسهم أن يكونوا مستذلين. فاستحقوا العذاب جميعاً وأصابهم الكمد والحسرة وهم يرون العذاب حاضراً لهم مهيأ [4].

وأضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والإضلال، وأخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير، أو أظهروها فإنه من الأضداد وهو المناسب لحالهم، وعندما أراد الله ﷻ تعذبيهم، جعل الأغلال الممثلة لهم من تعديهم وظلمهم بالخروج عن مقتضى الحدود الإلهية، في أعناق الذين كفروا بوحدة الحق واثبتوا له أندادا وأنكروا لعموم رسله وكتبه، تابعين ومتبوعين،

---

(1) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (6/ 73).

(2) زهرة التفاسير (7/ 3584).

(3) التفسير القرآني للقرآن (11/ 827).

(4) في ظلال القرآن، سيد قطب (5/ 2909).

ضالين ومضلين، وقيل لهم حينئذ توبيخاً وتقريعاً هل يجزون ما يعذبون هؤلاء البعداء من ساحة عز القبول إلا بمقتضى أعمالهم وأفعالهم وبحسبها وطبقها بمقتضى العدل الإلهي والأصل في اللغة القول "في أعناقهم" إلا أنه أظهر في مقام الإضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب إغلالهم [1].

وفي مشهد آخر يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ [سبأ: ٤٠]، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورة الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى؛ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠]، أي: أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم؟ كما قال في سورة الفرقان: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ [الفرقان: ١٧]، قال النحاس: فالمعنى أن الملائكة صلوات الله عليهم إذا كذبتهم كان في ذلك تبكيتٌ لهم، فهو استفهامُ توبيخٍ للعابدين[2].

وافتراء الكفار والمشركين على الملائكة، يستلزم منهم أن يبرؤوا أنفسهم، فتقول الملائكة: تنزيهاً لك وبراءة من السوء الذي أضافه هؤلاء إليك، أنت الذي توالينا بالطاعة دونهم، أو: أنت ناصرنا دونهم ثم يذكرون حقيقة ما نسبوه إليهم حيث أنهم أطاعوا الجن في عبادتنا، فهم كانوا لا يقصدون عبادة الجن؛ ولكن لما بأمرهم كانوا يعبدون ما يعبدون وصاروا بطاعتهم عابدين لهم، وجميعهم بهم مؤمنون[3].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [سبأ: ٤٢]

فيوم الحساب لا يملك المعبودون للعابدين شفاعةً ونجاةً، ولا عذاباً وهلاكاً وإنما قيل لهم هذا القول إظهاراً لعجزهم وقصورهم وتبكيتاً لعابديهم، ويُقال للذين ظلموا أنفسهم بعبادة غير الله

---

(1) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (7/ 135)، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (2/ 177)، روح المعاني للألوسي (11/ 321).

(2) تفسير ابن كثير (6/ 524)، جامع الأحكام للقرطبي (14/ 309).

(3) النكت والعيون للماوردي (4/ 454)، الهداية الى بلوغ النهاية (9/ 5933)، تأويلات أهل السنة للماتريدي (8/ 456).

ذوقوا عذاب النار التي كذبتم بها في الدنيا فاليوم عاينتموها ودخلتموها جزاء لتكذيبكم وعقوبة لما أحدثه ذلك التكذيب من عدم الهرب من أسبابها، فاليوم الأمر في ذلك اليوم لله وحده [1].

ثمار المنهجية السابقة:

1. الله ﷻ عالم بجميع المعلومات، محيط بما يجري من تخوم الأرض إلى أعلى السماوات، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ويدرك حركة الذر في جو السماء، ويطلع على هواجس الضمائر، وحركات الخواطر، وخفيات السرائر، بعلم قديم أزلي، لم يزل موصوفا به في أزل الأزل[2].
2. الله تعالى أراد ألا ينقطع ثواب المؤمن، فجعل للمكلّف داراً باقية ليكون ثوابه واصلاً إليه دائماً أبداً، وجعل قبلها داراً فيها الآلام والأسقام وفيها الموت ليعلم المكلف مقدار ما يكون في الآخرة[3].
3. الذين سعوا باذلين جهدهم للصد عن آيات الله، فلهم عذاب من أليم العذاب وسيئه، والرجز هو العذاب السيّء، جزاء اجتهادهم ومعاجزتهم وكدهم في سبيل السوء![4]
4. من سوء أدب الكفار وفرط جهلهم، إنكار وقت مجيء يوم القيامة، لعدم تحديده بوقت معين، ولكن لا تلازم بين معرفة ساعة هذا الوعد الحق، وبين التصديق بها، فموعد القيامة ثابت معلوم عند الله ﷻ، وإذا حان موعده فلا مفر منه[5].
5. التكذيب بيوم القيامة، وبما جاء به النبي ﷺ من عند الله، من أعظم الذنوب وأشدها عقوبة، ويستحيل معه إعمال عقل وفهم.
6. كان جزاء الفريقين التابعين والمتبوعين وسائر الكفار: جعل أغلال الحديد في أعناقهم في النار، وهذا جزاء حق وعدل، ولا يجازى هؤلاء إلا بسبب أعمالهم في الدنيا من الشرك بالله والإثم والعصيان[6].
7. عندما يعلم الكفرة أعداء الله ما أعد لهم من العذاب، وما هم فيه من أهوال يمقتون أنفسهم كما يمقتون أحبابهم وخلانهم في الحياة الدنيا، بل تنقلب كل محبة لم تقم على

---

(1) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (11/ 204)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: 682)، الموسوعة القرآنية (11/ 15).

(2) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (4/ 473).

(3) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي (25/ 193).

(4) في ظلال القرآن لسيد قطب (5/ 2893).

(5) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (215/6).

(6) التفسير المنير للزحيلي (22/ 191).

أساس من الإيمان إلى عداء، وفي ذلك اليوم يخاصم أهل النار بعضهم بعضاً، ويحاج بعضهم بعضاً، العابدون المعبودين، والأتباع السادة المتبوعين، والضعفاء المتكبرين، والإنسان قرينه، بل يخاصم الكافر أعضاءه[1].

المنهجية الرابعة: الشفاعة عند الله لمن أذن له

لقد ميّز الله ﷻ أمة الإسلام عن سائر الأمم في عدة أمور، فهي خير أمة، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وهم أصحاب الرسالة العامة لسائر البشر بعموم دعوة النبي ﷺ، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ووهب لهم محمداً ﷺ نبياً، وميزه بالعديد من العطايا ومنها الشفاعة، عن جابر بن عبد الله، أن النبي ﷺ قال: " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"[2].

فالشفاعة الكبرى والعظمى، هي لنبي الله الأعظم محمد ﷺ، وهناك شفاعات لآخرين، كالشهداء الذين يُشفّعون في سبعين من أهلهم؛ فعن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ: "للشهيد عند الله ست خصال" منها "ويُشَفَّع في سبعين من أقاربه"[3].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٣]

<u>المعنى الإجمالي:</u>

ذكر السمرقندي في قرة العيون[4]: الشفاعة نوعان، شفاعة منفية في القرآن؛ وهي الشفاعة للكافر والمشرك، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. فأبطل شفاعة من اتخذ شفيعا بزعم أنه يقربه إلى الله، وهو يبعده عنه وعن

(1) القيامة الكبرى لعمر الأشقر العتيبي (ص: 128-129).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التيمم، حديث رقم: 335 (1/ 74).

(3) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب في ثواب الشهيد (187/4)، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(4) هو كتاب قرة العيون ومفرح القلب المحزون لأبي الليث السمرقندي.

رحمته ومغفرته. النوع الثاني الشفاعة التي أثبتها القرآن وهي خالصة لأهل الإخلاص؛ وقيدها تعالى بأمرين: الأول: إذنه للشافع أن يشفع: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وإذنه تعالى لا يصدر إلا إذا رحم عبده الموحد المذنب؛ فإذا رحمه الله تعالى أذن للشافع أن يشفع له، الأمر الثاني: رضاه عمن أذن لشافع أن يشفع فيه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فالإذن بالشفاعة له بعد الرضاء، كما في هذه الآية، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد[1].

فلا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له الله في الشفاعة، قاله تكذيبا للمشركين حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله –وهي قول من قال إنا نعبد الأصنام التي هي صور الملائكة ليشفعوا لنا–، ويجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله له أن يشفع له[2].

فلعظمة الله تعالى وجلاله وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعة، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه حين يقوم المقام المحمود ليشفع في الخلق كلهم أن يأتي ربهم لفصل القضاء، قال: "فأسجد لله فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ويفتح علي بمحامد لا أحصيها الآن، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه واشفع تشفع"[3] فحتى النبي ﷺ وهو صاحب الشأن الأعظم، لا يشفع إلا بإذن من الله ﷻ[4].

وبعد ذلك يزول الفزع بالإذن في الشفاعة، ويقرب هذا في المعنى من قوله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ: ٣٨]، فهو الذي لا رتبة إلا دون رتبته ﷻ، فلا يقول غير الحق من نقص علم، وهو الذي لا كبير غيره فيعارضه في شيء من حكم[5].

ثمار المنهجية السابقة:

1. لا يشفع أحد عند الله ﷻ إلا بإذنه، ويكون أول الشافعين نبيه الكريم محمد ﷺ، فيشفع ما شاء الله له أن يشفع.

---

(1) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (حاشية ص: 204) بتصرف.

(2) انظر: معالم التنزيل للبغوي (3/ 679)، مفاتيح الغيب للرازي (25/ 203).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم: 326 (124/1) جزء من حديث طويل.

(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 514).

(5) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (2/ 166)، نظم الدرر للبقاعي (15/ 496).

2. الشفاعة عند الله لا تكون للكفار والمشركين، فهم المنفي عنهم الشفاعة بالنص الصريح في القرآن الكريم، ولكن الشفاعة تكون لعباد الله الموحدين، بغفران ما عليهم من ذنوب اقترفوها في الحياة الدنيا.
3. الشفاعة مكرمة من الله تعالى لفئات من عباده، يعطيهم إياها تكريماً لهم، ومكافأة على جهدهم وجهادهم في الدنيا لنصرة دينه ودعوته، مثل شفاعة الشهداء في سبعين من أهليهم.
4. يوم القيامة عظيم مهول، يوم فيه تبيض وجوه وتسود وجوه، فيكون جميع الناس فزعين خائفين من الحساب، ويزول هذا الفزع عند إذن الله تعالى بالشفاعة، فيتوب ويغفر.

المنهجية الخامسة: الرزق والهدى من الله ﷻ

لقد طمأن الله تعالى العباد على أرزاقهم، بأن قسمها هو، وجعلها في السماء، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢]، وبذلك لا يمكن لأي بشر أن يأخذ رزق آخر لأنه مقسوم ومكتوب، وأوضح جلّ في علاه أن الهدى منه وحده، **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ ﴾ [الكهف: ١٧].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ: ٢٤]

المعنى الإجمالي:

الآية الكريمة فيها سؤال للمشركين والكفار، من يرزقكم من السماوات بإنزال الغيث عليكم، حياة لحروثكم وصلاحاً لمعايشكم، وتسخير الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم ومن الأرض بإخراج أقواتكم وأقوات أنعامكم؟[1]

فلابد أن تكون الإجابة أن الرازق هو الله، فإن هم أعرضوا عن الإجابة، فأخبرهم وقل لهم الله هو الرزاق، فإنك لا تجد من يدفع هذا القول، فإذا تبين أن الله وحده الذي يرزقكم من السماوات والأرض، وينزل لكم المطر، لنفعكم ورزقكم، فلم تعبدون معه من لا يرزقكم شيئا، ولا يفيدكم نفعاً[2].

(1) تفسير القرآن للمراغي (22/ 80).
(2) أنظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: 679).

ثم أمره سبحانه أن يخبرهم بأنهم على ضلالة، لكن على وجه الإنصاف في الحجة بعد ما سبق تقرير من هو على الهدى ومن هو على الضلالة، فأحد الفريقين من الذين يوحدون الله الخالق الرزاق ويخصونه بالعبادة، والذين يعبدون الجمادات التي لا تقدر على خلق، ولا رزق، ولا نفع، ولا ضر لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلالة، ومعلوم لكل عاقل أن من عبد الذي يخلق ويرزق وينفع ويضر: هو الذي على الهدى، ومن عبد الذي لا يقدر على خلق ولا رزق ولا نفع ولا ضر: هو الذي على الضلالة[1].

ثمار المنهجية السابقة:

1. الله سبحانه وتعالى في الواقع الذي لا يقبل سواه، وفي اعتراف المشركين أنفسهم هو خالق الأرزاق الكائنة من السماوات، وبما أن الله هو الخالق الرازق فهو الذي ينبغي أن يعبد. ومن المعلوم أن العامة يعبدون الله، لا لكونه إلها، وإنما يطلبون به شيئا: إما دفع ضرر، أو جر نفع[2].
2. الكفار والمشركون إن سكتوا أو تلعثموا في الجواب على سؤال من الخلق؟ وأي السبيلين صحيح، مخافة الإلزام فهم مقرون به بقلوبهم، فالحق بيِّن، وقلوبهم موقنة به، ولكن تكبرهم وجحودهم منعهم من الاعتراف به[3].

---

(1) فتح القدير للشوكاني (4/ 373).

(2) التفسير المنير للزحيلي (22/ 184).

(3) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (4/ 247).

المطلب الثاني

في الجانب التربوي والأخلاقي

ويشتمل على منهجيتين:

المنهجية الأولى: وجوب شكر الله على نعمه

المنهجية الثانية: الترغيب في الانفاق

المنهجية الأولى: وجوب شكر الله على نعمه

الشكر، هو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده، ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة، وغاية شكر الله تعالى الاعتراف بالعجز عنه، بل قد **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وأيضًا فكل ما يفعل الله بعبده فهو منه نعمة وإن كان قد يعد ذلك بلية، ولذلك قال بعض الصالحين: يا من منعه عطاء وبلاؤه نعماء[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]

المعنى الإجمالي:

أي اعملوا شكراً على ما أنعم به عليكم في الدين والدنيا، قال السلمي: الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعمله لله عز وجل شكر، وأفضل الشكر الحمد[2].

والشكر سبب عظيم لثبوت النعم وزيادتها **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال عمر بن عبد العزيز: (قيدوا نعم الله بشكر الله)، فكلما شكر العبد زاده الله في نعمته وأحدث له نعمة أخرى حسية أو معنوية.

ولهذا كانوا يسمون الشكر الحافظ لأنه يحفظ النعم الموجودة، والجالب لأنه يجلب النعم المفقودة، وذكر ابن أبى الدنيا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال لرجل من همذان: "إن النعمة موصولة بالشكر والشكر يتعلق بالمزيد وهما مقرونان في قرن فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد"[3].

ورُوي عن أحد السلف: أكثروا من ذكر هذه النعم، فإن ذكرها شكر، وقد أمر الله نبيه أن يحدث بنعمة ربه فقال: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾ [الضحى: ١١]، وقال رسول الله ﷺ "إن الله تعالى يحب أن يرى أثرُ نعمته على عبده"[4]، فإن ذلك شكرها بلسان الحال[5].

---

(1) مدارج السالكين لابن قيم (234/2)، الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني (ص: 199).

(2) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني (2/ 124).

(3) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن قيم (ص: 120).

(4) أخرجه الترمذي، كتاب الآدب، باب ما جاء إن الله يحب أن يرى أثر نعمته، حديث رقم 2819 (123/5)، وقال: حديث حسن.

(5) تزكية النفوس لأحمد فريد (ص: 90).

وظاهر القرآن والسنة أن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار على عمل اللسان، فالشكر بالأفعال عمل الأركان، والشكر بالأقوال عمل اللسان[1]، ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تفطر قدماه، فقالت له عائشة رضي الله عنها: أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: "أفلا أكون عبدا شكوراً"[2].

وروي أن داود كان قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي يتناوبون دائماً، وقوله تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]، يحتمل: أن تكون مخاطبة لآل داود، ويحتمل: أن تكون مخاطبة لنبينا محمد ﷺ وعلى كل وجه ففيها تحريض وتنبيه، قال ابن عطاء الله في الحِكَم: من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها[3].

ولعله أريد بالآيات تسلية النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا كان الكفار يقفون من دعوته إلى الله ذلك الموقف فإن من عباده من يشكره على نعمه ويقف منه موقف العابد الأواب المسبح دائما بحمده وهم من أعظم الناس شأنا وسلطانا كداود وسليمان عليهما السلام[4].

ومن كمال شكر الله شكر المخلوق إذا أسدى نعمة لغيره فيشكره لقول الرسول الله ﷺ: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"[5]، لكن الشكر المطلق يكون لله لأنه هو المنعم حقيقة وهو الذي سخر المعطي لخدمة أخيه المؤمن ووهبه النعم.

ثمار المنهجية السابقة:

1. وجوب شكر الله تعالى على ما أنعم على الإنسان، وحقيقة الشكر: الاعتراف بالنعمة للمنعم، واستعمالها في طاعته، والكفران استعمالها في المعصية[6].
2. لا نجاح ولا فوز على العدو بالقوة المادية فقط، بل لا بد من العمل الصالح الذي يقوم النفوس ويطهر الأرواح، ويحصنها حتى لا تكبو[1].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (14/ 277).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة الجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، حديث رقم: 2820، (2172/4).

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (4/ 367).

(4) التفسير الحديث لدروزة (4/ 271).

(5) سبق تخريجه.

(6) التفسير المنير للزحيلي (22/ 159).

3. في الآية السابقة، حثٌ للمؤمنين على اغتنام أيامهم وأعمارهم بالعمل الصالح، ومنه شكر الله على نعمائه، لذلك حفّز الله ﷻ عباده لأن يكونوا من القليل الشكور، الذين يذكرون الله تعالى ويشكرونه في كل حال.

المنهجية الثانية: الترغيب في الإنفاق

لقد ربّى الإسلام أهله على أن يكونوا سباقين للخيرات في جميع المجالات، والإنفاق أحد أهم ما دعا إليه الإسلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقد روي عن عمار بن ياسر أنه قال: ثلاث من جمعهن جمع الإيمان؛ الإنفاق من الإقتار، والإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩]

أشارت الآية السابقة إلى أن نعيم الآخرة لا ينافي نعمة الدنيا، بل الصالحون قد يحصل لهم في الدنيا النعم مع القطع بحصول النعيم لهم في العقبى بناء على الوعد[3]، بل هناك وعد من النبي ﷺ نقله عن ربه بالتكفل بالإنفاق على المنفق، فعن ابي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "قال الله تبارك وتعالى: أنفق ينفق عليك"[4].

وقد أشار النبي ﷺ إلى أن الملائكة تدعو للمنفقين صبيحة كل يوم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً"[5].

---

(1) التفسير الواضح للحجازي (3/ 131).

(2) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لأبي حاتم الدارمي (ص: 75).

(3) مفاتيح الغيب للرازي (25/ 210).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، حديث رقم 993، (691/2).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى فأما من أعطى واتقى، حديث رقم 1442، (115/2).

وفي الآية الكريمة، توضيح للمغترين بالأموال والأولاد أن الله ﷻ يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء، فلا تغتروا بالأموال والأولاد بل أنفقوها في طاعة الله، فإن ما أنفقتم في طاعة الله فهو يخلفه، في الدنيا بالمال وفي الآخرة بالحسنات ما كان من غير إسراف ولا تقتير[1].

وقد لا يكون الخلف فقط في الدنيا بالتعويض بالمال عن النفقة، فقد يكون في بالدعاء لتكفير الذنوب أو ادخار الثواب في الآخرة، فقد روى الدار قطني عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: "كل معروف صدقة، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله، كتب له صدقة، وما وقى به الرجل عرضه فهو صدقة، وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها إلا ما كان من نفقة في بنيان أو معصية"[2].

والله ﷻ خير رازق لعباده لأن كل رزق يصل إلى الناس إنما هو بتقديره وإرادته، وقد جرت سنته- سبحانه- أن يزيد الأسخياء من فضله وكرمه[3].

ومن خلال السير مع آيات الله نجد أن عدم الإنفاق هو الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، قال الحسن: إن تركك الإنفاق في سبيل الله إلقاء منكم بأيديكم إلى ما يهلككم عند الله[4].

والإنفاق سبيل لاتقاء النار وتكفير السيئات في الآخرة، فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اتقوا النار ولو بشق تمرة"[5]، والإنفاق سبيل لتطهير النفس وتزكية القلب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وأعظم مكافأة من الله للمنفقين هو دخولهم الجنة حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (14/ 307)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص: 362)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (3167/10).

(2) التفسير المنير للزحيلي (22/ 199).

(3) التفسير الوسيط لطنطاوي (11/ 299).

(4) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (1/ 206).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، حديث رقم:1417، (109/2).

ثمار المنهجية السابقة:

1. إذا كان الله ﷻ هو الذى يبسط الرزق ويقدره؛ فأعط القريب حقه من البر والصلة والمحتاج والمنقطع به الطريق حقهما من الزكاة والصدقة، ذلك خير للذين يريدون رضا الله ويطلبون ثوابه، وأولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم[1].
2. أن الله ﷻ يخلف المنفق فهو يعوضه لا معوض سواه، إما عاجلا بالمال، أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد، وإما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه[2].
3. الإنفاق في سبيل الله طريق لرضا الله، والنجاة من النار، وأداة لطهارة النفس وتزكية القلب، وتركها إلقاء بالنفس إلى التهلكة.
4. الله ﷻ أعلى الرازقين لأنه خالق الرزق، وخالق الأسباب التي ينتفع بها المرزوق بالرزق[3].

(1) المنتخب في تفسير القرآن الكريم لنخبة من علماء الأزهر (ص: 607).

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 586).

(3) كيف تكون من الأوائل (ص: 68)

المطلب الثالث

في الجانب التشريعي والسياسي

ويشتمل على منهجيتين:

المنهجية الأولى: وجوب طاعة الأمير

المنهجية الثانية: التغيير سنة الله في أرضه

المنهجية الأولى: وجوب طاعة الأمير

الطاعة، أحد أهم وصايا النبي ﷺ لأمته، في جميع المناحي، طاعة الابن لوالديه، والزوجة لزوجها، والمأمور للأمير، والجندي للقائد، ولعل آخرها من أهمها وإن كان لكل منها أهميته، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا وإن قال بغيره فإن عليه منه"[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سبأ: ١٢]

المعنى الإجمالي:

في الآية الكريمة إشارة إلى أن الجن كانت تأتمر بأمر سليمان عليه السلام، فيعمل بين يديه ما يأمره طاعة له بإذن ربه، فمنهم من سخره الله تعالى للعمل بين يديه ، فدل على أن منهم غير مسخر[2].

وورد في الأثر أنه أمرهم ببناء الحصون بالصخر، فبنوا باليمن حصونا كثيرة عجيبة، وهي صرواح ومرواح وفلتون وهندة وهنيدة وغمدان وغير ذلك[3].

فقد سخر الله ﷻ الجن لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به، ومن يعدل منهم، ولا يطيع أمرنا، الذي أمرنا به من طاعة سليمان، نذقه من عذاب السعير، في الآخرة، وقال بعضهم: في الدنيا وذلك أن الله عز وجل وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته[4].

فتلك الصورة في الجن، وهم مسخرين للعمل ومجبرين عليه، ولا يحق لهم الخروج عنه أو تركه، وكذلك فالإنسان المسلم لا بد أن ينقاد تحت إمرة قائد أو أمير، على أن تتحقق فيه

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقي به (50/4) حديث رقم: 2957.

(2) انظر: جامع البيان للطبري (20/ 364)، النكت والعيون للماوردي (4/ 438).

(3) تفسير السمعاني (4/ 321)

(4) معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (3/ 673).

شروط الإمارة[1]، ويمتثلوا بذلك أمر النبي ﷺ؛ عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة"[2].

وإشارة إلى وجوب طاعة أولي الأمر ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جُنَّة يُقاتل من ورائه ويُتَّقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً، وإن قال بغيره فإن عليه منه"[3].

وقد جمع القرآن الكريم بين طاعة الله ورسوله وبين طاعة الأمير؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء: ٥٩]، فإن ما يجمع بين طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ وطاعة الأمير أن كلًا منهم لديه السلطة على أمر أوامر ومن يتعداها أو يخالفها أو لا يطبقها يطبق عليه عقاب محدد، ولكن يختلف ذلك الشيء من الله ﷻ إلى رسوله والى الأمير أي أن الله أمر أوامر لا يمكن أن يخالفها الرسول والرسول أمر أوامر لا يمكن من الأمير أن يخالفها يخالف أوامر الله ولو أكملنا أن من تحت الأمير لا يجوز ان يخالف لا أوامر الله ولا رسوله ولا أميره.

ولا شك أن المؤمن يعلم يقيناً أنه لا يمكن استقامة هذا الدين في قلوب الخلق إلا إذا تعاملوا مع الخالق سبحانه وتعالى، فلو أن أميراً أمرني بأمر وركبت هواي وقلت: لن أطيعك في شيء، وعلمت بالوازع الإيماني الموجود في قلبي أن رفضي لأمر الأمير إذا أمرني بطاعة الله تعالى وخدمة الجيش والجند يوجب علي عقاب الله عز وجل لأطعت الأمير؛ وذلك لأن عصياني لأمر الأمير هو عصيان في الحقيقة لله عز وجل ولرسوله؛ فلو أن هذه المعاني لم تكن مكتملة في قلبك لفسدت الدنيا والآخرة[4].

---

(1) شروط الإمارة سبعة: أحدها: العدالة على شروطها الجامعة. والثاني: العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام. والثالث: سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان؛ ليصح معها مباشرة ما يدرك بها. والرابع: سلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة وسرعة النهوض. والخامس: الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح. والسادس: الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو. والسابع: النسب، وهو أن يكون من قريش؛ لورود النص فيه وانعقاد الإجماع عليه. (الأحكام السلطانية للماوردي (ص: 19-20))

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب إمامة العبد والمولى، حديث رقم 693 (140/1).

(3) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به (50/4) حديث رقم: 2957.

(4) شرح صحيح مسلم، محاضرة صوتية لحسن أبو الأشبال، موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net، المحاضرة رقم 108.

ومن المعلوم أن طاعة الأمير مطلقة على عمومها، ما لم تكن هذه الطاعة في معصية الله ﷻ، عن النبي ﷺ قال: "لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل"[1]، وعليه فلا يطاع أحد من الخلق إلا حيث كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله وإلا فلا تجب طاعة أحد من الخلق استقلالاً[2].

ولا يجوز الخروج على الإمام أو الأمير تحت أي ظرف من الظروف، إلا ما ورد في صحيح السنة من رؤية كفر بواح، فعن جنادة بن أبي أمية قال دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض قلنا: أصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي ﷺ قال دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان"[3]، فنص البيعة السابق من الصحابة رضوان الله عليهم للنبي ﷺ يدل على منع الخروج على الإمام إلا بالشرط السابق.

ثمار المنهجية السابقة:

1. السمع والطاعة للأمير واجب أوجبه الله ورسوله وليس هذا الأمر الواجب في الرخاء دون الشدة ولا عند العطاء دون المنع، بل هي طاعة مطلقة ما لم يأمر بمعصية الله.
2. لا يجوز شرعاً بنص الحديث الوارد سابقاً الخروج على الأمير، إلا في حالة رؤية الكفر البواح المعروف، وأما غيره فلا.
3. إذا لم يمتثل مجموعة من الناس لإمرة الأمير فيجب إجبارهم على ذلك، وذلك قياساً على إجبار الجن للعمل تحت إمرة سليمان عليه السلام وهم كارهون.

المنهجية الثانية: التغيير سنة الله في أرضه

لقد حث الإسلام الناس على شكر النعم، الشكر لله تعالى قولاً وعملاً، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾ [سبأ: ١٣]، وكذلك حذر من كفر النعمة، والتباهي بالمال والولد

(1) أخرجه أحمد في المسند، كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة، باب مسند علي بن أبي طالب، حديث رقم 1094 (333/2)، (صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير 1250/2).

(2) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد لسليمان بن عبد الوهاب (ص: 469).

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سترون، حديث رقم: 7055 (47/9).

وغيرهما، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]، ومن هذا العذاب الشديد الإهلاك والاستبدال.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ [سبأ: ١٥ – ١٦]

أخرج الإمام أحمد في مسنده، عن عبد الرحمن بن وعلة قال: سمعت ابن عباس يقول: أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن سبأ: ما هو؟ رجل أم امرأة أم أرض؟ قال: "بل هو رجل، ولد عشرة، فسكن اليمن منهم ستة، وبالشام منهم أربعة، فأما اليمانيون: فمذحج، وكندة، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمير. وأما الشامية فلخم، وجذام، وعاملة، وغسان"[1].

لقد كان لسبإ أي لأولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان في مسكنهم ومواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بقرب صنعاء، كانت نعم الله تعالى ظاهرة وبينة على قرية سبأ، حيث ورد أنه لم يكن يرى في قريتهم بعوضة قط ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وان الركب ليأتون في ثيابهم القمل والدواب فما هو إلا أن ينظروا إلى بيوتها فتموت تلك الدواب وإن كان الإنسان ليدخل الجنتين فيمسك القفة على رأسه ويخرج حين يخرج وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفاكهة ولم يتناول منها شيئا بيده[2].

ولقد كان لهم سد بنته بلقيس وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم، فأمرت بواديهم فسد بالصخر والقار بين الجبلين وجعلت لهم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض، وبنت دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة أنهار هم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء، فإذا جاءهم المطر اجتمع إليهم ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه إلى البركة، فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الأسفل فلا ينفذ الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة[3].

فلما كفروا ونسبوا كل ما أعطاهم الله إلى أنفسهم وإلى مجهوداتهم وكذبوا أنبياءهم قال السدي: بعث الله إلى أهل سبأ ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم، أهلكهم الله بسيل العرم، قيل العرم الجرذ

---

(1) أخرجه أحمد في المسند، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس حديث رقم: 2898 (75/5).

(2) انظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (2/ 172) للشيخ علوان، الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي (6/ 687).

(3) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (3/ 445).

الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفأر الأعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم فنقبه فغرق بلادهم[1].

بعد وقوع كارثة السد، بدأت أراضي المنطقة بالتصحر، وفقد قوم سبأ أهم مصادر الدخل لديهم مع اختفاء أراضيهم الزراعية، وأبدلهم بدل الجنات التي تلقي ثمرها مما لذ وطاب؛ بجنتين من طعام فيه مرارة لا يمكن اكله وهو الخمط، وطعام السدر الذي لا ينتفع به ولا يصلح للغسول، وله ثمر لا يؤكل[2].

فكان ذلك جزاء كفرهم بنعمة الله تعالى، وهذا العذاب والجزاء هو الجزاء لمن كفر، والعقاب لمن جحد نعمة الله ﷻ، فالتغيير من سنن الله في أرضه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فإن الله ﷻ لا يغير ما بقوم ، من عافية ونعمة، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من ذلك بظلم بعضهم بعضاً، واعتداء بعضهم على بعض، فتحل بهم حينئذ عقوبته وتغييره[3].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا حفص بن غياث، عن أشعث، عن جهم، عن إبراهيم قال: أوحى الله ﷻ إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل: أن قل لقومك: "إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون منها إلى معصية الله، إلا تحول لهم مما يحبون إلى ما يكرهون"[4].

وإنها لحقيقة تلقي على البشر تبعة ثقيلة فقد قضت مشيئة الله وجرت بها سنته، أن تترتب مشيئة الله بالبشر على تصرف هؤلاء البشر وأن تنفذ فيهم سنته بناء على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم. والنص صريح في هذا لا يحتمل التأويل. وهو يحمل كذلك– إلى جانب التبعة– دليل التكريم لهذا المخلوق الذي اقتضت مشيئة الله، أن يكون هو بعمله أداة التنفيذ لمشيئة الله فيه[5].

والتغيير الذي يجريه الله على البشر حتى يغيروا ما بأنفسهم؛ يشمل الإمدادات الفرعية؛ أما الإمدادات الأصلية فلا يمنعها عنهم مثل الشمس والقمر والنجوم والهواء؛ ولم يمنع الأرض أن تخرج لهم المياه، ويصيبهم في الأشياء التي من الممكن أن يسير الكون في انتظامه رغم

---

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (7/ 128)، فتح القدير للشوكاني (4/ 367).
(2) انظر فتح القدير للشوكاني (368/4).
(3) جامع البيان للطبري (16/ 382).
(4) تفسير القرآن العظيم لابن ابي حاتم (2232/7).
(5) في ظلال القرآن لسيد قطب (4/ 2049–2050).

حدوثها؛ كالمصيبة في المال أو المصيبة في النفس؛ ويظل الكون على مسيرته المنتظمة، ولهذا نجد أحد الفلاسفة وقد قال: إن الله لا يتغير من أجلكم؛ ولكن يجب أن تتغيروا أنتم من أجل الله [1].

ولقد أثبت التاريخ الإسلامي صدق هذه النظرية القرآنية فالله لم يغير ما كان عند الأمة الإسلامية من عز ورفاهية وعلم واقتصاد حتى غيروا ما بأنفسهم من الخير والأعمال الصالحة التي ترضى الله ورسوله، وتثبت ما بأنفسهم حيث حكموا بغير القرآن، والأمل عندنا الآن ليحول الله ضعفنا إلى قوة وذلنا إلى عزة، إذا ما عُدنا إلى هدي كتاب الله وأحكام القرآن وسنة نبيه[2].

ثمار المنهجية السابقة:

1. الفضل والخير كله بيد الله ﷻ، يعطيه لمن يشاء وينزعه ممن يشاء، وإذا أساء قوم استخدام نعم الله عليهم سيحوّل نعمهم إلى نقم، وخيرهم إلى شر، وعزهم إلى ذل.
2. ما يعيشه البشر سواء كان خيراً أو شراً؛ هو من فعل أيديهم، وهذا دليل على العدل الرباني للأمم، فالله يجازيهم على أعمالهم وأفعالهم، مع علمه المسبق الأزلي باختياراتهم – فهو رب كل شيء، وعلمه أزلي قبل بدء الخليقة وإلى ما لا نهاية– وهذا الأمر يلقي بتبعاته على البشر لاختيار الأفضل لهم ولحياتهم.
3. إذا أرادت الأمة الإسلامية اليوم الخروج من حالتها الضعيفة، والانتقال إلى العز والمجد والسؤدد فعليها الرجوع إلى هدي الله تعالى، وامتثال أوامره، وذلك كون المقصود بآية الرعد الإنذار والتخويف والعبرة بما حل بالأمم السابقة، فيحملهم الخوف على إصلاح أمورهم، والإقلاع عن معاصيهم[3].
4. هذا التبديل من النعمة إلى النقمة جزاء كفر قوم سبأ للنعمة، ولا يعاقب بهذا إلا المبالغ في كفران النعمة والكفر بالله تعالى، وتساءل الزمخشري والقرطبي[4]: لم خص الله تعالى المجازاة بالكفور، ولم يذكر أصحاب المعاصي؟ والجواب أن المراد: هو الجزاء الخاص وهو العقاب بالاستئصال والإهلاك، وليس المراد: الجزاء العام الذي يشمل الكافر والمؤمن[5].

---

(1) الخواطر للشعراوي (12/ 7242).

(2) انظر: التفسير الواضح (2/ 219).

(3) انظر: التفسير المنير للزحيلي (8/ 141).

(4) انظر: الكشاف للزمخشري (576/3)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (288/14)).

(5) التفسير المنير للزحيلي (22/ 170).

المطلب الرابع

في الجانب الدعوي

ويشتمل على ثلاث منهجيات:

المنهجية الأولى: عالمية الرسالة الخالدة

المنهجية الثانية: التفكر والتدبر طريق الوصول إلى الحق

المنهجية الثالثة: الحق غالب

المنهجية الأولى: عالمية الرسالة الخالدة

بُعث كل الأنبياء برسالة خاصة؛ كلّ إلى قومه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [هود: ٥٠]، ولكنّ النبي ﷺ أُرسل إلى البشرية كافة، منذ بعثته حتى قيام الساعة، تشريفاً وتكريماً، ولأنه الدين الخاتم، والنبي الذي أُتمَّ به البناء؛ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال : "مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله، فجعل الناس يطيفون به، يقولون: ما رأينا بنيانا أحسن من هذا، إلا هذه اللبنة، فكنت أنا تلك اللبنة"[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨]

المعنى الإجمالي:

فلقد أرسل الله محمدا إلى العرب والعجم، وقيل بأنه أرسل إلى العالمين جميعاً؛ إنسهم وجنَّهم، فأكرمهم على الله أطوعهم له[2].

وقيل في تفسيرها ثلاثة أوجه: أولها القول السابق، قاله ابن عباس، والثاني معناه أنك رسول الله إلى جميع الناس وتضمهم، ومنه كف الثوب لأنه ضم طرفيه. الثالث معناه إنا أرسلناك كافا للناس أي مانعا لهم من الشرك وأدخلت الهاء للمبالغة، قاله ابن بحر[3].

ويقول القشيري في لطائفه: أرسلناك مؤيّدا بالمعجزات، مشرّفا بجميع الصفات، سيدا في الأرضين والسماوات، ظاهرا لأهل الإيمان، مستورا عن بصائر أهل الكفران وإن كنت ظاهرا لهم من حيث العيان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٨][4].

فهو المبعوث رحمة لكل الأمم، وفي كل الأزمان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فهو مبعوث للثقلين، مؤمنهم وكافرهم، لذلك قال ابن عباس: من آمن بالله ورسوله تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل النبي ﷺ، باب بيان مثله ﷺ ومثل النبيين، حديث رقم: 6023 (7/ 64).

(2) انظر: جامع البيان للطبري (20/ 405).

(3) انظر: النكت والعيون للماوردي (4/ 450).

(4) لطائف الإشارات للقشيري (183/3).

عوفي مما كان يصيب الأمم في عاجل الدنيا من العذاب من الخسف والمسخ والقذف فذلك الرحمة في الدنيا[1].

وعن أبي ذر ﷺ قال: طلبت رسول الله ﷺ ليلة فوجدته قائما يصلي فأطال الصلاة ثم قال: "أوتيت الليلة خمسا لم يؤتها نبي قبلي أرسلت إلى الأحمر والأسود –قال مجاهد: الإنس والجن–، ونصرت بالرعب فيُرْعَب العدو وهو على مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وقيل لي سل تعطه فاختبأتها شفاعة لأمتي فهي نائلة من لم يشرك بالله شيئا"[2].

ومع ذلك فإن أكثر الناس لا يعلمون بعموم الرسالة، ولا بمهمة التبشير والإنذار، ولا بخطورة ما هم عليه من الضلال والجهالة، ولا بالنفع في إرسال الرسل، ولا ما عند الله من الجزاء[3]، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣] وقال سبحانه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الأنعام: ١١٦].

فمهمتك يا محمد هي تبليغ كافة الناس، تمنعهم من الكفر والفسوق والعصيان، وتدعوهم جميعاً إلى الإسلام، ولا عليك شيء بعد هذا أبداً قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ [الكهف: ٢٩]، ولكن أكثر الناس لا يعلمون هذا[4].

ثمار المنهجية السابقة:

1. كل الأنبياء قبل النبي ﷺ أُرسلوا إلى قوم بعينه وأمة خاصة، أما النبي ﷺ فأُرسل إلى العالم أجمع، وبه تمّ البناء واستقر الدين، فلا وحيٌ، ولا نبيٌ، وشرعته المحفوظة إلى يوم القيامة.

---

(1) تفسير مجاهد (ص: 476).

(2) أخرجه أحمد في المسند، كتاب مسند الأنصار، باب حديث أبي ذر، حديث رقم 21314 (242/35)، وقال النيسابوري" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة إنما أخرجا ألفاظا من الحديث متفرقة (المستدرك على الصحيحين (2/ 460)).

(3) التفسير المنير للزحيلي (22/ 183).

(4) انظر: التفسير الواضح لمحمد حجازي (3/ 139).

2. إرسال النبي ﷺ رحمة للأمة، وإنقاذ لها من الضلال والضياع، ومنعة لهم من الكفر، وهدايته لا تقتصر على الإنس فقط، بل على الإنس والجن وكافة العالمين، فمن تبعه اهتدى وفاز، ومن حاد عن دربه خاب وخسر.

المنهجية الثانية: التفكر والتدبر طريق الوصول إلى الحق

التفكر والتدبر هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها، وهو من أفضل أعمال القلب وأنفعها له، وهو يدعو إلى العمل، حتى قيل: (تفكر ساعة خير من عبادة سنة).

فالمشركون قد رموا النبي ﷺ بأوصاف كثيرة، فقالوا ساحر، وقالوا كاهن، وقالوا مجنون، وقالوا غير ذلك، ولو أنهم تركوا لأنفسهم المجال وفكروا قليلاً لوجدوا اختلافاً بين قولهم والواقع، وهذا ما قرره القرآن الكريم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٤٦]

ولما كان للإنسان الذي يطلب معرفة الحق والصواب حالتان: أحدهما: أن يكون ناظرا مع نفسه، والثانية: أن يكون مناظرا لغيره، أمرهم بخصلة واحدة وهي أن يقوموا لله إثنين إثنين فيتناظران ويتساءلان بينهما وواحدا واحدا يقوم كل واحد مع نفسه فيتفكر في أمر هذا الداعي وما يدعو إليه ويستدعي أدلة الصدق والكذب ويعرض ما جاء به عليها ليتبين له حقيقة الحال[1].

وأراد بقيامهم: إما القيام عن مجلس رسول الله ﷺ وتفرقهم عن مجتمعهم عنده وإما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين، ولكن الانتصاب في الأمر والنهوض فيه بالهمة، جاء الأمر بالتفكر والتدبر، وفيه أقوال؛ أحدها: أن الكلام عند قوله تَعَالَىٰ: ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ موصول بما قبله فالتفكر في حال النبي ﷺ، فأمرهم هنا بان يجتمعوا ويتحاوروا، فيعلمون أن ما بمحمد ﷺ من جنون، والقول الثاني: أن الكلام قد تم عند قوله تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ ؛ وهو الأمر لهم بالتفكر في خلق السماوات والأرض[2]،

---

(1) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية (2/ 472)

(2) وفي هذا المعنى يقول النيسابوري: قوله ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا يعني اعترفوا بما هو الأصل وهو التوحيد ولا حاجة فيه إلى تفكر ونظر بعد ما بان وظهر، ثم تتفكروا فيما أقول بعده، وهو الرسالة المشار إليها بقوله ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ (غرائب القرآن ورغائب الفرقان (5/ 501)).

فتعلموا أن خالقها واحد لا شريك له، وابتدأ بعدها الكلام بقوله تَعَالَىٰ: ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ [سبأ: ٤٦]، إنها دعوة إلى القيام لله بعيداً عن الهوى، بعيداً عن المصلحة، معتمداً على مراقبة الله وتقواه، متجرداً من الرواسب والمؤثرات[1].

سُمي النبي عليه السلام صاحبهم تنبيهاً، أي أنكم صحبتموه وجربتموه وعرفتم ظاهره وباطنه ولم تجدوا به خبلا وجنة[2].

ولذلك نرى أن المشركين لم يُعملوا عقولهم، ولم يفكروا في حال النبي ﷺ ورسالته، وهذا هو حال الإنسان الذي يسير كما يرسم له الآخرون، دون أن يكون له رأي ناتج عن تفكيره وتدبره للأمور، ودائماً ما تكون النتيجة الخسران، وتكون العاقبة الهلاك!

فقد قال عمر بن عبد العزيز –رحمه الله–: التفكر في نعم الله من أفضل العبادة، وقال عبد الله بن المبارك لبعض أصحابه وقد رأوه متفكرًا: أين بلغت؟ قال: الصراط. وقيل: لو فكر الناس في عظمة الله ما عصوه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: التفكر في الخير يدعو إلى العمل به وورد في الأثر (تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا) [3].

والمجتمع المتحضر الإسلامي لا يقبل الأمية والجهالة، وهو يستخدم التربية في القضاء على أي مظهر لهما، فالغافلون لهم حواس وأجهزة سليمة من حيث تركيبها العضوي، وبالرغم من هذا فهم مأواهم جهنم؛ لأن حواسهم لا تؤدي وظيفتها النفسية، وبذلك فهي لا تعين الإنسان على أداء وظيفته التي خلق من أجلها، وهي عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله، فعن طريق التفكر والتدبر يتم ترقية أنماط الاعتقاد والسلوك والعمل[4].

والتّأمل قد يكون بالبصر مع استمرار وتأنٍّ يؤدي إلى استخلاص العبرة، وأن التفكر جَوَلان[5] الفكر في الأمر الذي تكون له صورة عقلية عن طريق الدليل[6].

---

(1) انظر: تفسير البغوي (685/3)، الكشاف للزمخشري (3/ 589)، موسوعة فقه القلوب لمحمد التويجري (3/ 2709).

(2) روح البيان للمولى أبي الفداء (9/ 210).

(3) موضوعات صالحة للخطب والوعظ لمحمد بن عبد الرحمن بن قاسم (ص: 193)

(4) انظر: مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها لعلي أحمد مدكور (ص: 120).

(5) قال الزمخشري: في قلبه جَوَلان الهموم، وهو ما {يجول فيه، ومنه: يجول في صدري أن أفعله.} تاج العروس (28/ 253).

(6) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم لعدد من المختصين (3/ 846).

قال الغزاليّ– رحمه الله–: كثر الحثّ في كتاب الله تعالى على التّدبّر والاعتبار والنّظر والافتكار، ولا يخفى أنّ الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر النّاس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره[1].

وفي آخر المطاف فالنبي مرسل لينذر الناس من العذاب يوم القيامة، ويرجع الحساب يوم القيامة إلى أربعة: الصدق في الأقوال، والإخلاص في الأعمال، والاستقامة مع الله في جميع الأحوال، ومراقبة الله على كل حال[2].

ثمار المنهجية السابقة:

1. رسالة النبي ﷺ هي الحق من الله، وتكذيب الكفار والمشركين لها كان بسبب تكبرهم، وتعطيلهم لعقولهم وتفكيرهم، ولو أنهم أعملوها قليلاً لاهتدوا إلى الطريق الصواب، ولكن كتبت عليهم الضلالة.
2. دعوة الله تعالى للمشركين إلى إعمال الفكر، لا بنحو جماهيري جماعي غوغائي، وإنما بطريق ثنائي أو فردي يدعو إلى الهدوء والتروي والمناقشة المنطقية المقبولة[3].
3. التفكر والتأمل في دعوة الإسلام يُظهر موافقتها الكاملة للفطرة الإنسانية، فإذا تجرد الإنسان وجال بفكره وخاطره ببحث حر وفكر سليم سيصل إلى قناعة بأن الإسلام هو دعوة صادقة ونبيها ﷺ صادق في دعوته، وذلك لا يتعارض مع الفطرة التي فُطر الناس عليها[4].
4. التفكر عبادة عظيمة ولابد للمؤمن أن يجعل لنفسه وقتاً للتفكر والتأمل في مخلوقات الله امتثالاً لأمر الله ورسوله.

المنهجية الثالثة: الحق غالب

لا يخفى على أحد شراسة الهجمة التي تُشن ضد الإسلام وأهله في كل أصقاع الأرض، فتارة يهاجمهم الغرب الكافر، وتارة يذبحهم النصارى الحاقدون، وتارة يستخدم الباطل أيديه وأعوانه للنيل من المسلمين؛ مقابل وعود زائفة. والمؤمن الحق يؤمن حق اليقين بأن الحق منتصر، والمؤمنون غالبون ولو بعد حين، فهذا وعد الله ﷻ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا

(1) إحياء علوم الدين (423/4).
(2) تفسير التستري (ص: 128).
(3) التفسير المنير للزحيلي (22/ 212)
(4) انظر: التفسير الواضح لحجازي (147/3)

نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧]، وهذا اليقين يجب أن تمتلئ به صدور المؤمنين حتى في أقسى أوقات العذاب والقتل والتهديد، ويجب استذكار حال المؤمنين السابقين، وكيف أصابهم الضر واللأواء؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

ومهما أُصيب المؤمن بالأهوال والمصائب والآلام، فلابد أن يتذكر معية الله ﷻ، ووعده له بالنصر المحقق المبين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبأ: ٤٨ – ٤٩]

المعنى الإجمالي:

فالله سبحانه وتعالى الذي لا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض، يقذف بالوحي الذي هو الحق من عنده، والمنزل على النبي ﷺ، فيواجه به الباطل وأهله وألاعيبهم ومكرهم، فيزول مكرهم، ويظهر عجزهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨] [1].

وفي معنى الباطل أقوال: الأول: أن المقصود به إبليس؛ فهو لا يستطيع خلق أحدٍ، ولا يستطيع إعادة روح إلى جسد بعد مفارقتها. أما الثاني: الأصنام؛ وهي كسابقتها لا تستطيع خلق شيء أو إعادته. والثالث: أنه ضد الحق بكافة أشكاله دون تخصيص. وعلى كل الأوجه والمعاني فإن الحق ظاهر على الباطل[2]، عن ابن مسعود ﷺ: دخل النبي ﷺ مكة، وحول الكعبة ثلاث مائة وستون نصباً، فجعل يطعنها بعود كان بيده، ويقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ

(1) انظر: لطائف الإشارات للقشيري (188/3)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 527) جامع البيان للطبري (419/20).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (527/6)، تفسير القرآن للسمعاني (341/4)، الكشاف للزمخشري (592/3).

وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبأ: ٤٩][1].

والحق منتصر بنصوص كثيرة في كتاب الله تعالى، ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم، فقد قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]، فهذا وعد رباني لمن يقوم بما أمر الله ﷻ أن ينصره ويؤيده في الدنيا والآخرة.

والقصص السابقة في التاريخ الإسلامي كثيرة، فقد نصر الله سبحانه المؤمنين يوم بدر بالملائكة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩] ، ويوم الخندق بالملائكة والريح العاتية ، وكان سنداً ونصيراً لنبينا محمد ﷺ طوال فترة دعوته إلى الإسلام قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ [الطور: ٤٨] ، وكذلك حفظه ورعايته لموسى وأخيه وقومهما، ونصره لهما بفلق البحر وإغراق فرعون وقومه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ﴾ [الإسراء: ١٠٣].

والباطل لا يقتصر على الفئة الكافرة والمناهضة للإسلام وأهله، ولكنها تشمل المنافقين، والأيدي السوداء التي تعمل على هدم المجتمع المسلم من الداخل لقاء دراهم معدودة، فجميعهم في الفتنة سواء وجميعهم باطل، وتحقيق الانتصار يكون بزوال الكفار والمنافقين ومن يعاونهم؛ حتى وإن كان من أبناء المجتمع المسلم!

ولكن النصر سيتحقق لأمة الإسلام عندما يعود الناس إلى الدين، وتلك قوة أكبر من إرادة البشر لأنها مبنية على السنّة التي أودعها الله في الفطرة وتركها تعمل في النفوس، وحين يجيء ذلك اليوم فماذا يعني في حساب العقائد عمر جيل من البشر أو أجيال، ليس المهم متى يحدث ذلك، إنما المهم أنه سيحدث بمشيئة الله وعد صادق، وعندما يأتي ذلك اليوم يستشعر المسلمون العزة المفقودة والمجد التليد[2].

ومع ذلك النصر القريب بإذن الله ستصغر التضحيات والآلام والعذابات، ويعظم أصحاب المبادئ والثابتون على الحق في وجه الباطل والطغيان، وتكون العزة للإسلام وأهله، ويُكتب الذل والهوان للكفر وأهله والمنافقون.

---

(1) أخرجه مسلم، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة، حديث رقم: 1781 (1408/3).

(2) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ لشحاتة صقر (ص: 354).

ثمار المنهجية السابقة:

1. لقد جاء الحق للبشرية فعلاً وهو القرآن الذي فيه البراهين والحجج على صحة الاعتقاد من التوحيد والرسالة والبعث والحساب. وإذا جاء الحق اندحر الباطل وهو الشرك والكفر ولم يعد له قرار ولا أثر ولا مقام، ولم يبق منه شيء أمام الحق[1].
2. النصر حليف المؤمنين، مهما طال الزمن وتجبر الباطل والطغيان، وفي طريق النصر لابد من تضحيات، وآلام وجراح.
3. مهما علا الباطل، فإن مصيره إلى زوال وهوان، وهذا وعد رباني للمؤمنين، وإزالة هذا الباطل تحتاج إلى عودة صحيحة إلى طريق الله القويم، والابتعاد عن سبل الشيطان المُضلة، وزوال الباطل مرتبط بمدى ارتباط المؤمنين بدينهم.
4. على المسلمين التفكر في سير الأمم السابقة ما أصابها من التعب والنصب في سبيل تحقيق نصر الله، وبذلك يشعرون بالتسلية لما هم فيه من الضنك والظلم، وعليه أن يعلموا بأن الباطل ليس فئة الكافرين وحدهم وإنما تشمل الكافرين والمنافقين ومن عاونهم.

(1) التفسير المنير للزحيلي (22/ 213).

الفصل الثالث

سـورة فـاطـر

ومنهجيات الإصلاح والتغيير فيها

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مـدخـل إلى سـورة الأحـزاب

المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير في السورة

المبحث الأول

مدخل إلى سورة فاطر

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: المناسبات في السورة

المطلب الأول: بين يدي السورة

أولاً: محور السورة

تتميز هذه السورة بنسق خاص في موضوعها وسياقها، فهي تمضي في إيقاعات تتوالى على القلب البشري من بدئها إلى نهايتها، إيقاعات موحية مؤثرة تهزه هزّاً، وتوقظه من غفلته ليتأمل عظمة هذا الوجود، وروعة هذا الكون وليتدبر آيات الله المبثوثة في تضاعيفه، المتناثرة في صفحاته وليتذكر آلاء الله، ويشعر برحمته ورعايته وليتصور مصارع الغابرين في الأرض ومشاهدهم يوم القيامة وليخشع ويعنو وهو يواجه بدائع صنع الله، وآثار يده في أطواء الكون، وفي أغوار النفس، وفي حياة البشر، وفي أحداث التاريخ. وهو يرى ويلمس في تلك البدائع وهذه الآثار وحدة الحق ووحدة الناموس، ووحدة اليد الصانعة المبدعة القوية القديرة، ذلك كله في أسلوب وفي إيقاع لا يتماسك له قلب يحس ويدرك، ويتأثر تأثر الأحياء[1].

ثانيًا: تسمية السورة

تسمى سورة فاطر لافتتاحها بهذا الوصف لله عز وجل الدال على الخلق والإبداع والإيجاد للكون العظيم، والمنبئ عن عظمة الخالق وقدرته الباهرة. كما تسمى أيضًا سورة الملائكة لأنها أفادت في مطلعها أيضًا أن الله سبحانه جاعل الملائكة وسائط بينه وبين أنبيائه لتبليغهم رسالاته وأوامره[2].

ثالثًا: عدد آيات السورة وترتيبها ونوعها

سورة فاطر سورة مكّية نزلت بعد سورة الفرقان وهي الخامسة والثلاثون في ترتيب المصحف، ونزلت هذه السورة بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء، وعدد آياتها خمس وأربعون آية[3].

رابعًا: أهداف السورة وموضوعاتها[4]

1- تقديم الحمد لله. فهي سورة قوامها توجيه القلب إلى الله، وإيقاظه لرؤية آلائه، واستشعار رحمته وفضله، وتملي بدائع صنعه في خلقه، وامتلاء الحس بهذه البدائع، وفيضه بالتسبيح والحمد والابتهال.

---

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (5/ 2918).

(2) التفسير المنير للزحيلي (22/ 218).

(3) الموسوعة القرآنية خصائص السور لجعفر شرف الدين (7/ 147).

(4) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (5/2918-2920)، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور لإبراهيم البقاعي (2/ 384).

2- بيان أن الرحمة بيد الله، تتدفق وتفيض، أو تغلق وتغيض، بلا معقب ولا شريك، والهدى والضلال من رحمات الله ﷻ.

3- بيان أن العزة والغلبة والمنعة كلها لله ﷻ، ومنه تستمد، من خلال التمسك بكتابه وسنة نبيه ﷺ.

4- بيان أن الله ﷻ هو المتحكم في كل شؤون الكون؛ مقاليد السماوات والأرض، حركات الأفلاك والنجوم، إنزال المطر، إخراج الثمار المتنوعة، وأن قدرة الله تمسك بهذا الكون العظيم وتحفظه من الزوال.

5- إثبات القدرة الكاملة لله تعالى، اللازم منها تمام القدرة على البعث، الذي عنه يكون أتم الإبقاءين بالفعل دائماً أبداً بلا انقطاع، ولا زوال أصلًا، ولا اندفاع، في دار المقامة التي أذهب سبحانه عنها الحزن والنصب واللغوب. ودار الشقاوة الجامعة لجميع الأنكاد والهموم.

المطلب الثاني: المناسبات في السورة

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها (سبأ)

بعدما أوضحت سورة سبأ أنه سبحانه مالك السماوات والأرض ومستحق الحمد في الدنيا والآخرة، أوضحت هذه السورة أن ذلك خلقه كما هو ملكه وأنه الأهل للحمد والمستحق، إذ الكل خلقه وملكه، ولأن السورة الأولى تجردت لتعريف العباد بأن الكل ملكه وخلقه دارت آي هذه السورة على تعريف عظيم ملكه[1].

ثانيًا: مناسبة السورة لما بعدها (يس)

أوضحت سورة فاطر عظيم ملك الله تعالى وتوحده بذلك وانفراده بالملك والخلق والاختراع ما تنقطع العقول دون تصور أدناه، ولا تحيط من ذلك إلا بما شاءه، وأشارت من البراهين والآيات إلى ما يرفع الشكوك ويوضح السلوك مما كانت الأفكار قد خمدت عن إدراكها واستولت عليها الغفلة، فكأن قد خمدت عن معهود حراكها، بدأ سبحانه سورة يس بثنائه على من اختاره لبيان تلك الآيات واصطفاه بإيضاح تلك البينات[2].

ثالثًا: مناسبة محور السورة لفاتحتها وخاتمتها

لما تحدث ﷻ عن قدرته على الخلق والإيجاد وتمحور الحديث فيها عن قدرة الله وقوته العظمى، ابتدأ بذكر الشأن الأعظم وهو الخلق الذي لا يستطيعه إلا الله ﷻ؛ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ** ﴾ [الأحقاف: ٤]، فهو الفاطر المنشئ؛ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾ [فاطر: ١] وذكر آيات قدرته وعظمته من خلال آيات السورة، وختمت السورة ببيان سعة رحمته بعباده وأنه لا يهلهم حالاً وإنما يؤجل عقابهم لعل تائبُ يتوب، وفي الآخرة يكون الحساب.

رابعًا: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها

هذه السورة بدأت بحمد الله فاطر السماوات والأرض. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا** ﴾ يحملون رسالة السماء إلى الأرض. وما فيها من تبشير وإنذار فإما إلى جنة وإما إلى

---

(1) البرهان في تناسب سور القرآن للغرناطي (ص: 285).

(2) المرجع السابق (ص: 287).

نار، وفي ختام السورة أوضحت الآيات الله الخالق، مع قدرته الغالبة، إلا أنه لا يعاجل الناس بالحساب، بل يؤخرهم إلى يوم الحساب[1].

(1) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (5/ 2951).

المبحث الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير في السورة

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: في الجانب العقدي

المطلب الثاني: في الجانب التربوي والأخلاقي

المطلب الثالث: في الجانب التشريعي والسياسي

المطلب الرابع: في الجانب الدعوي

المطلب الأول

في الجانب العقدي

ويشتمل على ثماني منهجيات:

المنهجية الأولى: الخالق يستحق العبادة

المنهجية الثانية: الملائكة مكلفة بمهام متنوعة

المنهجية الثالثة: البعث حقيقة واقعة لا محالة

المنهجية الرابعة: افتقار الخلق إلى الله

المنهجية الخامسة: لا تزر وازرة وزر أخرى

المنهجية السادسة: فريق في الجنة وفريق في السعير

المنهجية السابعة: قدرة الله مطلقة والآلهة الباطلة عاجزة

المنهجية الثامنة: الأجل مقدّر ومحتوم

المنهجية الأولى: الخالق يستحق العبادة

لا يختلف اثنان في أن هذا الكون الوسيع لابد له من خالق مبدع، ومن ينكر ذلك لا بد أن يكون مجنوناً أو معانداً! وقد آمن بهذا المؤمن والمشرك، ولذلك ورد في سياق آيات القرآن قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥]، وهو ما تناولته الآية الأولى من سورة فاطر.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ١]

المعنى الإجمالي:

والفطر الشق عن الشيء بإظهاره للحسن يقال فطر ناب الناقة إذا طلع ، وفطر دمه إذا أخرجه. وقيل: فاطر السماوات والأرض أي شاقّهما لِنُزُول الأرواح من السماء وخروج الأجساد من الأرض. يقال: فطر الشيء إذا بدأه من عدم، قال ابن عباس ﷺ: ما كنت أعرف فاطر حتى اختصما لي أعرابيان في بئر. فقال أحدهما: أنا فطرتها يعني: بدأتها [1].

فالشكر الكامل للمعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي أن تكون لغيره، فهو الخالق المبدع، والإيمان بقدرته على الخلق هي أحد فروع التوحيد، وهو توحيد الربوبية؛ وهو الإقرار بأن الله خالق كل شيء وربه وهذا توحيد أقر به المشركون قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦]، وهو الشهادة بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا هو [2].

وهو الخالق المتفرد بخلق وإبداع هذا الكون العظيم، فليس له ولد، ولم يعاونه أحد، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١]، وما كان لأحد من خلقه أن يشاركه في الألوهية، وإلا لحصل التنازع والفتن، هذا يريد شيئاً وذاك لا يريده، إنما هو إله واحد؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

---

(1) انظر: النكت والعيون للماوردي (4/ 461)، بحر العلوم للسمرقندي (3/ 98)، اللباب في علوم الكتاب للدمشقي (16/ 98).

(2) جامع البيان للطبري (434/20) المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي (ص: 148)، الرسائل الشخصية لمحمد بن عبد الوهاب (ص: 145).

وإنه لعجيب حقاً أن ينحرف الناس إلى هذا الحد، فيتجهون بالعبادة والطاعة إلى ما لا يملك لهم رزقاً، وما هو بقادر في يوم من الأيام، ولا في حال من الأحوال، ويدعون الله الخالق الرازق، وآلاؤه ونعمه بين أيديهم لا يملكون إنكارها: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل: ٨٣][1].

لذلك فالإيمان بتوحيد الربوبية وحده لا يكفي، بل لابد معه من اكتمال بقية أركان الإيمان بالله؛ وهي توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

ولعل ما يمير الإنسان المؤمن عن المشرك –كما أسلفنا– هو توحيد الألوهية الذي هو: إفراد الله سبحانه– بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده. فأولهم نوح –عليه السلام– أرسله الله إلى قومه؛ وآخرهم محمد ﷺ[2].

وإن كثيرًا من المشركين أيقنوا بربوبية الله ﷻ، ولكنهم جعلوا بينهم وبين الله واسطة كما الأصنام؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، ومنهم من عبد آلهة غير الله كمن يعبدون البقر وغيره، ولذلك أوجب الله جهادهم وأباح دمائهم وأموالهم لإخلالهم بهذا الواجب العظيم الذي عليه مدار التوحيد، وأمر الله رسوله والمؤمنين إلى يوم القيامة أن يقاتلوهم ويحصروهم ويقعدوا لهم كل مرصد حتى يقيموا هذا الأصل العظيم بحب وإخلاص قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾ [الأنفال: ٣٩][3].

<u>ثمار المنهجية السابقة:</u>

1. الله ﷻ هو خالق كل شيء ومنشئه، على غير مثال سابق، وليس له ولد ولا معاون أو مساعد، وخلقه وتدبره لشؤون خلقه، وتسيير الأرض وفق ناموس معين لا يخرج عنه ولا يتغير، لهو من أعظم الأدلة على وحدة الخالق، وتفرده بأمره[4].
2. توحيد الألوهية ملازم لتوحيد الربوبية، ولا ينفكان عن بعضهما البعض، ومن آمن بربوبية الله وقدرته على الخلق والإيجاد، ونفى تفرده بالعبادة والألوهية، فإنه ينتقض

---

(1) موسوعة فقه القلوب (1/ 682)

(2) الجواهر المضية، محمد بن عبد الوهاب (ص: 4).

(3) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة (ص: 16).

(4) انظر: تفسير الجلالين (ص: 571).

إيمانه ولا يصح، وإنما هو الخالق والإله المعبود، فالله تعالى هو مستحق الحمد والشكر على قدرته ونعمه وحكمته[1].

3. انتظام الكون في قوانينه الثابتة منذ خُلقنا، دليل على أن الله ﷻ واحد، وليس معه آلهة أخرى، ولو كان معه آخر لفسد خلق السماوات والأرض وما دونهما.

المنهجية الثانية: الملائكة مكلّفة بمهام متنوعة

لقد تحدثنا عن ربوبية الله في المنهجية السابقة، فهو الخالق، وهو المنشئ المبدع، خلق الملائكة، والثقلين، والحيوانات والنباتات، وأعطى لكل صنف منها مهمة ووظيفة، يقوم بها في دورة حياته، فالثقلين مكلفان بالعبادة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والحيوانات والنباتات تسبح الله تعالى؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ... ﴾ [الإسراء: ٤٤]، والملائكة خلقهم الله بأشكال مختلفة، ومهام متعددة، سنمرّ عليها خلال هذه المنهجية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ [فاطر: ١]

المعنى الإجمالي:

فالله خلق الملائكة ويرسلها إلى من يشاء من عباده، وفي ذلك قولان: الأول: أنها مرسلة إلى الأنبياء عليهم السلام، والثاني: إلى عامة العباد نعمة أو نقمة. ومن أشكال خلقها أنها مثنى وثُلاث ورُباع؛ هذه الأوزان لتكرير تلك الأعداد، فثُلاثَ هي ثلاث ثلاث فتكون ثلاثة أجنحة من جانب ومثله من جانب فيعتدل، فلا يصح قول الطاعن: إنّ صاحب الأجنحة الثلاثة لا يطير ويكون كالجادف. أو يجوز أن يكون موضع الجناح الثالث بين الجناحين فيكون عونا لهما فتستوي القوى والحصص[2].

(1) التفسير المنير للزحيلي (22/ 225).

(2) انظر: جامع البيان للطبري (434/20)، النكت والعيون للماوردي (461/4)، إيجاز البيان عن معاني القرآن (2/ 683).

وتعدد الأجنحة للتفاوت في ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون، أو يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على أمرهم به، ولعله لم يرد به خصوصية الأعداد ونفي ما زاد عليها، لما روي أنه ﷺ رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح[1].

وإن تفويض هذه الأعمال إلى الملائكة لا يعني أنهم يتصرفون في الكون بإرادتهم ولكنهم موكلون من الله تعالى بهذه الأعمال، وبإقداره تعالى لهم [2].

فمن مهمات الملائكة الموكلة إليهم؛ حفظ أعمال العباد وتدوينها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٧ – ١٨]، ما يتكلم من كلام فيرميه من فيه، إلا لديه حافظ، حاضر أينما كان. قال الحسن: إن الملائكة يجتنبون الإنسان على حالين عند غائطه وعند جماعه. وقال مجاهد يكتبان عليه حتى أنينه في مرضه. وقال عكرمة: لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر فيه[3].

منهم الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام وهو جبريل عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥]، وهو أفضل الملائكة وأكرمهم على الله، وقد وصفه الله بالقوة والأمانة على تأدية مهمته[4].

ومن وظائف الملائكة التوفي وقبض الأرواح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [النساء: ٩٧]، والمعلوم أن ملائكة الموت يأتون الإنسان على حسب عمله، إن كان مؤمناً أتاه ملائكة بيض الوجوه، بيض الثياب، كأن وجوههم الشمس، وإن كان كافراً فيأتي الضد من ذلك.

وما سبق بعض مهمات الملائكة، وهناك كثير غيرها؛ فمنهم حملة العرش؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٧] ، ومنهم ملائكة الجنة والنار، ومنهم ملائكة الرحمة والعذاب التي تتسلم الروح بعد نزعها، ومنهم ملائكة تعاقب الليل والنهار الذين يتعاقبون في صلاتي الفجر والعصر من كل يوم؛ فعن أبي هريرة، أن رسول الله

---

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (4/ 253).

(2) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة (ص: 641)

(3) انظر: الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة (367/1)، معالم التنزيل للبغوي (4/ 272).

(4) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: 113).

ﷺ، قال: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون"[1].

وأعداد الملائكة كبيرة ولا يعلمها إلا الله ﷻ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١].

ثمار المنهجية السابقة:

1. الملائكة خلق من مخلوقات الله، لها صفات خاصة، وخلق خاص والله يزيد في الخلق كيفما يشاء، وأُوكل إليها مهمات خاصة بكل صنف منها، والإيمان بها واجب ولا يجوز إنكار وجودها.
2. تفصيل خلق الملائكة علمه عند الله، لذلك فلا يجوز إطلاق أي صفة بشرية عليهم لم يرد ذكرها في الكتاب والسنة، كصفات الذكورة والأنوثة، بل يكتفى في معرفتهم ما ورد في الكتاب الحكيم من صفاتهم، وما أخبرت به السنة الصحيحة في ذلك، أما ما دونه فلا يجوز تداوله أو الاعتقاد به.
3. لكل ملك أو مجموعة ملائكة مهمة أوكلها الله تعالى إليها؛ فمنهم المكلفون بكتابة أعمال العباد، ومنهم المكلفون بقبض الأرواح، ومنهم المكلفون بالوحي والرسالة، وغير ذلك من المهمات العظيمة.
4. يجب على الأمة أن تكون مطيعة لله كالملائكة، وأن يتخذوهم قدوات في الطاعة والالتزام بأوامر الله ﷻ، واجتناب نواهيه.

المنهجية الثالثة: البعث حقيقة واقعة لا محالة

لا ينكر البعث، ويوم الحساب، إلا مُلحد، فالبعث والحساب أحد أركان الإيمان الستة الواجب الإيمان بها؛ ففي حديث جبريل الطويل أنه قال: يا رسول الله أخبرني عن الإيمان قال:

(1) أخرجه مالك، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة، (170/1)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1329/2).

"الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وتؤمن بالقدر خيره وشره"[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥]

المعنى الإجمالي:

إن وعد القيامة الذي وعد الله الناس واقع لا محالة، وسيبعث الناس إلى ربهم فيحاسبهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وعلى المؤمن أن يغتنم الدنيا فهي دار ممر لا مقر، فلا يغتر بزينتها ولهوها، ولا يكون عبداً لشهواته، ولا يجعل للشيطان عليه سبيلاً، فيغويه ويغريه بملذات الدنيا عن الآخرة، فيخسر رضوان الله وجنته[2].

ومعرفة حقيقة البعث أغمض المعارف وأكثر الخلق منه على توهمات مجملة وتخيلات مبهمة وغايتهم فيه تخيلهم أن الموت عدم والبعث إيجاد مبتدأ بعد عدم مثل الإيجاد الأول فظنهم أن الموت عدم غلط وظنهم أن الإيجاد الثاني مثل الإيجاد الأول غلط[3].

ولعل الهدف من بيان حقيقة البعث وإثباته، أولاً عند الناس هو تخويفهم من الإهمال وتحذيرهم من العصيان، ذلك أن الرسل، صلوات الله عليهم قدموا التخويف والتحذير في دعوتهم، وذكروا بهما قبل أي شيء آخر، وأعظم التخويف هو بالبعث ويوم القيامة، وإنما قدم الرسل ذلك لأن غالبية القوم مقلدون، والمقلد لا ينظر في الدليل، ولا يعتبر بالآيات إلا إذا أخاف، يقول الرازي، إن المقلد إذا خوف خاف وما لم يحصل الخوف في قلبه لا يشتغل بالاستدلال، ولهذا السبب قدم الرسل التخويف[4].

وقد اتفقت جميع الرسالات السماوية بأن الجميع سيموت، ويبعثون في يوم للحساب، وغريزة البعث والحياة اللاحقة المزروعة في نفوس الناس هي الباعث على حب الخير وفعله، وبغض الشر وفعله، وهذا شعور مجمع عليه عند الناس فلا يمكن أن يكون وهم وخيال! وإن الله خلق الخلق لغاية محددة في الدنيا إلى أجل مسمى، فإذا كان كذلك، فإن الحياة الدنيا لا يمكن

---

(1) مسند أبي داود الطيالسي، أحاديث عمر بن الخطاب، باب ما رواه عن عبد الله بن عمر، حديث رقم: 21 (1/ 24)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (540/1).

(2) انظر: لباب التأويل للخازن (435/3)، الكشاف للزمخشري (599/3)، مدارك التنزيل للنسفي (77/3).

(3) المقصد الأسنى لأبي حامد الغزالي (ص: 123).

(4) دعوة الرسل عليهم السلام لأحمد غلوش (ص: 536).

أن تكون آخر المطاف، حتى يعلم الله المصلح من المفسد، ويجازي كلا بعمله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥][1]

ورغم تلك النزعة والفطرة إلا أن الشيطان يغر ويخدع فلا تمكنوه من أنفسكم، والشيطان قد أعلن عن عداوته للبشرية، فليتخذوه عدواً، ولا يركنوا إليه، ولا يقبلوا منه نصيحة، ولا يتبعوا خطاه، فالعاقل لا يتبع خطى عدوه وهو يعقل، والشيطان لا يدعو إلى خير، ولا ينتهي إلى نجاة، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير[2].

ثمار المنهجية السابقة:

1. أن البعث والثواب والعقاب حق لا مرية فيه، ولا بدّ من حصوله[3].
2. الشيطان هو العدو الأكبر للمؤمنين ويسعى بكل وسائله وأدواته لحرفهم عن طريق الحق والإيمان، ويسعى جاهدا لتثبيت الكفر بالبعث؛ لأن به يستطيع إغواء البشر بفعل كل القبائح، فليس هناك حياة أخرى، وليس هناك حساب وعذاب!
3. يجب عدم الغرور بالحياة الدنيا، مهما امتلك الإنسان من المال وشهوات الدنيا؛ فهذا كله زائل، والعاقبة للمتقين.

المنهجية الرابعة: افتقار الخلق إلى الله

مهما بلغ العبد الحدود العليا من الغنى بالمال، والولد، ومهما علا شأن الإنسان وكبُرت مكانته، وبلغ ما بلغ من الجاه والمال والسلطان؛ إلا أنه يبقى مفتقراً إلى خالق ومبدع، ومن شرف الفقر اقترانه بالتواضع والخضوع، ومن آفات الغنى امتزاجه بالتكبّر[4].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥]

المعنى الإجمالي:

وهذا الخطاب بالفقر إليه للأرواح والأبدان، ليس هو للأبدان فقط، وهذا الغنى التام لله وحده لا يشركه فيه غيره وقد أرشد الله سبحانه عباده إلى أوضح دليل على ذلك بقوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ

---

(1) أركان الإيمان لعلي الشحود (ص: 174).

(2) موسوعة فقه القلوب (4/ 3184).

(3) التفسير المنير للزحيلي (22/ 232).

(4) لطائف الإشارات للقشيري (3/ 199).

﴿ ٨٥ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ٨٦ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الواقعة: ٨٣ – ٨٧]، أي فلولا إن كنتم غير مملوكين ومقهورين ومربوبين ومجازين بأعمالكم، تردون الأرواح إلى الأبدان إذا وصلت إلى هذا الموضع، أو لا تعلمون بذلك أنها مدينة مملوكة مربوبة محاسبة مجزية بعملها[1].

وفي الآية السابقة عُرِّفت (الفقراء) ليريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء، وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم، لأن الفقر مما يتبع الضعف، وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف[2]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾ [النساء: ٢٨].

فالإنسان فقير إلى الله تعالى في دقائق الأمور وعظائمها لا يستغني عنه طرفة عين، وهو به مستغن عن كل واحد، ومن افتقر إلى شيء استغنى بوجود ذلك الشيء فالفقير إلى الله هو الغنيّ بالله، والافتقار إلى الله لا يخلو من الاستغناء بالله، فالمفتقر إلى الله مستغن بالله، والمستغنى بالله مفتقر إلى الله[3].

ولعله لما كثرت دعوة النبي ﷺ إلى الإسلام ودين الحق، وأصر الكفار على كفرهم، قالوا لعل الله يحتاج إلى عبادتنا حتى يأمرنا بها أمراً بالغاً ويهددنا على تركها، فكان الرد في هذه الآية عليهم بأن الله غني عن العالمين، وغير محتاج إلى عبادتهم، ولكنهم هم المحتاجون والفقراء الذين يبحثون عن العزة والنعيم[4].

وفي الآية اللاحقة؛ ذكر سبحانه نوعاً من الأنواع التي يتحقق عندها افتقارهم إليه، واستغناؤه عنهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾ [فاطر: ١٦] أي: إن يشأ يفنكم ويأت بدلكم بخلق جديد يطيعونه ولا يعصونه، أو يأت بنوع من أنواع الخلق، وعالم من العالم غير ما تعرفون وما ذلك الإذهاب لكم والإتيان بآخرين على الله بعزيز[5].

---

(1) الروح لابن قيم (ص: 150).

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 606).

(3) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (4/ 434-435)، لطائف الإشارات للقشيري (3/ 199).

(4) مفاتيح الغيب للرازي (26/ 229).

(5) فتح القدير للشوكاني (4/ 395).

ثمار المنهجية السابقة:

1. إن الناس في حاجة إلى تذكيرهم بحقيقة افتقارهم إلى الله في جميع الجوانب في معرض دعوتهم إلى الهدى، ومجاهدتهم ليخرجوا مما هم فيه من الظلمات إلى نور الله وهداه.
2. إن الناس حاجة إلى تذكيرهم بأنهم هم الفقراء المحتاجون إلى الله، وأن الله غني عن كل مخلوقاته، وأنهم حين يدعون إلى الإيمان بالله وعبادته وحمده على آلائه فإن الله غني عن عبادتهم وحمدهم، وهو المحمود بذاته[1].
3. قدرة الله تعالى على الخلق والإيجاد والإبداع إحدى الدلائل على افتقار العباد إليه، فبمشيئته وأمره يستبدل أقواماً بدل أقوام، ويخلق جيلاً جديداً، وجميع مخلوقاته إليه محتاجون وضعفاء.

المنهجية الخامسة: لا تزر وازرة وزر أخرى

لكل نفس عملها، وتُجزى به، ومن عدل الله ﷻ أن يجازي كل نفس بما كسبت؛ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨]، والمكلفون إنما يجازون بأعمالهم إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وأنه لا يحمل أحدٌ خطيئةَ أحد ولا جريرتَه، ما لم يكن له يدٌ فيها، وهذا من كمال عدل الله تبارك وتعالى وحكمته، فكل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب فإنما عليها وزرها لا يحمله منها[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [فاطر: ١٨]

المعنى الإجمالي:

فكلٌّ مطالب بعمله، وكلٌّ محاسب عن ديوانه، ولكلٍّ معه شأن، وله مع كلِّ أحد شأن. ومن العبادات ما تجرى فيه النيابة ولكن في المعارف لا تجرى النيابة فلو أن عبداً عاصياً منهمكاً في غوايته فاتته صلاة مفروضة، فلو قضى عنه ألف وليّ تلك الصلاة الواحدة عن كل ركعة ألف ركعة لم تقبل منه إلّا أن يجيء هو[3].

---

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (5/ 2937).

(2) الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق للهلالي (ص: 75).

(3) لطائف الإشارات للقشيري (3/ 200).

وهذا لا يمنع مضاعفة الإثم للمضلين القادة، سئل الحسين بن الفضل[1] عن الجمع بين هذه الآية وبين قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾[العنكبوت: ١٣]، فقال: ولا تزر وازرة وزر أخرى طوعا وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم كرهاً لأنهم إنما حملوا أثقال إضلالهم مع أثقال ضلالهم[2].

وإن طلبت نفس مثقلة بالأوزار والذنوب مساعدة نفس أخرى في حملها، لتحمل عنها بعض الذنوب، لم تحمل تلك المدعوة من تلك الذنوب شيئا، ولو كانت قريبة لها في النسب كالأب والابن لأن كل امرئ مشغول بنفسه وحاله، وله من الهموم ما يغنيه؛ **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩].

وما أكثر ما يتهرب المعارف من بعضهم يوم الحساب، كلٌّ على طاعاته يتدثر، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٤ – ٣٧].

قال عكرمة هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة، فيقول: يا رب سل هذا لم كان يغلق بابه دوني، وإن الكافر ليتعلّق بالمؤمن يوم القيامة، فيقول له: يا مؤمن، إن لي عندك يدا، قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا، وقد احتجت إليك اليوم، فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه، حتى يرده إلى منزل دون منزله، وهو في النار، وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة، فيقول: يا بني، أي والد كنت لك؟ فيثني خيرا، فيقول له: يا بني، إني قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى، فيقول له ولده: يا أبت، ما أيسر ما طلبت، ولكني أتخوف مثل ما تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئا، ثم يتعلق بزوجته، فيقول: يا فلانة أو يا هذه، أي زوج كنت لك؟ فتثني خيرا، فيقول لها: إني أطلب إليك حسنة واحدة تهبينها لي لعلي أنجو بها مما ترين، قال: فتقول: ما أيسر ما طلبت، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا، إني أتخوف مثل الذي تتخوف[3].

---

(1) الحسين بن الفضل بن عمير البجلي الكوفي النيسابوري المفسر الأديب إمام عصره في معاني القرآن كان يصلي في اليوم والليلة ست مائة ركعة، توفي وهو ابن مائة وأربع سنين في حدود التسعين ومائتين. (الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (13/ 18)).

(2) انظر: التفسير المنير للزحيلي (22/ 249)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (8/ 104)، فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب القنوجي (11/ 237).

(3) انظر: التفسير المنير للزحيلي (22/ 249).

ومثله ما روي عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في حجة الوداع: "ألا لا يجني جان إلا على نفسه، لا يجني والد على ولده، ولا مولود على والده"[1].

ولما كان هذا أمراً خالعاً للقلوب، فكان بحيث يشتد تعجب السامع ممن يسمعه ولا يخشى، فقال مزيلا لهذا العجب على سبيل النتيجة فهي إنذاراً يفيد الرجوع عن الغي، فلاختصاصهم بالنفع كانوا كأنهم مختصون بالإنذار، ولما كان أعقل الناس من خاف المحسن لأن أقل عقابه قطع إحسانه، ولما كان أوفى الناس عقلا وأعلاهم همة وأكرمهم عنصرا من كانت غيبته مثل حضوره، وهو حال كونه غائباً عنهم أو غائبين عمن يمكن مراءاته، فهم مخلصون في خشيتهم سواء بحيث لا يطلع عليهم إلا الله[2]؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِۚ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ ﴾ [فاطر: ١٨].

ولما كانت الصلاة جامعة لخضوع الظاهر والباطن، وكانت إقامتها بمعنى حفظ جميع حدودها في كل حال أدل الطاعات على الإخلاص، ومن تطهر وتكثر بهذه المحاسن. وهذا تأكيد على أن الإنسان تفيده الأسباب القريبة قد يغفل عن أن هذا نفع له وخاص به، فإنه لا يضر ولا ينفع في الحقيقة غيرها، والله الذي يكشف عن جميع صفاته أتم كشف تحتمله العقول يوم البعث لا إلى غيره[3]؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [فاطر: ١٨].

ثمار المنهجية السابقة:

1. من مفاخر الإسلام عقيدة ولا تزر وازرة وزر أخرى، أي مبدأ المسؤولية الشخصية في الدنيا والآخرة، فلا يسأل إنسان عن جريمة غيره، ولا يتحمل امرؤ عقوبة جان آخر[4].
2. لا ينفع الإنسان أحد من أهله أو معارفه، ولا يساعده أي منهم في حمل جزاءات أعماله وأقواله، وإنما كلٌ منهم يفكر في أحماله وكيف سيحاسب عليها.
3. الذي ينتفع بالنُذُر هو الذي يخشى الله، أما الآخرون فلا ينتفعون بالنُذُر، بل إنهم معرضون لمضاعفة العذاب إذا كانوا من قادة المضلين.

---

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الديات، باب لا يجني أحد على أحد، حديث رقم: 2669 (890/2)، صححه الألباني قال: مرسل صحيح الإسناد، فهو شاهد قوي (سلسلة الأحاديث الصحيحة (624/4)).

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (16/ 34).

(3) المرجع السابق (16/ 35).

(4) التفسير المنير للزحيلي (22/ 251).

المنهجية السادسة: فريق في الجنة وفريق في السعير

يوم القيامة؛ يوم عظيم شديد طويل، فيه يحاسب كل إنسان على أعماله في الدنيا، فهي ممر إلى الآخرة، ولا بد من محطة لتقييم عمل الإنسان وجزاءه عليه، فمن عمل الخيرات والتزم الطريق الحق؛ كانت بلا شك نهايته حسنة لأنه قدّم حسناً، ومن فعل غير ذلك من السيئات والآثام والمعاصي؛ فعقابه من جنس عمله، عن شدّاد بن أوس عن النّبي ﷺ قال: "الكيّس من دَانَ نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله"[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧ ﴾ [فاطر: ٣٣ – ٣٧]

المعنى الإجمالي:

مأوى المصطفين من عباد الله، الذين أورثوا الكتاب المنزل من رب العالمين يوم القيامة جنات الإقامة يدخلونها يوم معادهم وقدومهم على ربهم ﷻ، يلبسون حلي الجنة المحلّلة لهم[2]، عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء"[3].

عن ابن عباس في قول أهل الجنة حين دخلوا الجنة قال: هم قوم كانوا في الدنيا يخافون الله ويجتهدون له في العبادة سراً وعلانيةً وفي قلوبهم حزنٌ من ذنوب قد سلفت منهم فهم خائفون أن لا يتقبل منهم هذا الاجتهاد من الذنوب التي سلفت فعندها قالوا الحمد لله غفر لنا العظيم، وشكر لنا القليل من أعمالنا[4].

---

(1) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، حديث رقم 2459، وقال: حديث حسن؛ ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص:279).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 551).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء حديث رقم: 250 (219/1).

(4) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (10/ 3183).

والحزن فيه تسعة تأويلات: أحدها: أنه خوف النار، قاله ابن عباس. الثاني: أنه حزن الموت، قاله عطية. الثالث: تعب الدنيا وهمومها، قاله قتادة. الرابع: حزن المنّة، قاله سمرة. الخامس: حزن الظالم لما يشاهد من سوء حاله، قاله ابن زيد. السادس: الجوع، حكاه النقاش. السابع: خوف السلطان، حكاه الكلبي. الثامن: طلب المعاش، حكاه الفراء. التاسع: حزن الطعام، وهو مأثور. ويحتمل عاشراً: أنه حزن التباغض والتحاسد لأن أهل الجنة متواصلون لا يتباغضون ولا يتحاسدون[1].

فمن إنعام الله ﷻ وتفضله إذ لا واجب عليه بإدخال المؤمنين المصطفين جنته، وفيها لا يمسهم تعب، ولا كلال[2] أو إعياء أو فتور، إذ لا تكليف فيها ولا كدّ، فهي الجائزة والمفازة للذين اطاعوا الله وزرعوا في الدنيا طاعة وعبادة[3].

هذا مع الفريق الأول، الفائزون بجنة الله ورضوانه، المؤمنون، أما الصورة الأخرى من المشهد هي حال الكفار والمنافقين، الذي اتخذوا الحياة الدنيا لعباً ولهواً، واستهزاءً برسل الله ﷻ ودعوته.

فالكافرون لا يقضى عليهم بالموت، فيموتوا ويستريحوا من العذاب، ولا يخفف عنهم من عذابها، بل كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، وهذه الآية هي مثل قوله سبحانه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٣]، مثل هذا الجزاء العظيم بما لله من العظمة يجزى به من كفر بالنبي ﷺ أو بغيره من الأنبياء عليهم السلام، وإن لم نره لأن ثبوت المعجزة يستوي فيها السمع والبصر هكذا نكافئ كل جاحد لآلاء الله منكر لرسله، فندخله نار جهنم بما قدم من سيئات في الدنيا[4].

وهم في عذابهم بجهنم، يصرخون ويتصايحون ويستغيثون يعترفون بذنبهم، ويرجون أن يخرجوا من النار ويأخذوا فرصة أخرى ليعملوا عملاً صالحاً، وعرفوا أن الله عدل فيهم، ولكن سألوا الرجعة في غير وقتها، فقد عُمِّروا فيها دهراً وعمراً، يتمكن فيه من أراد التذكر من العمل، متعناكم في الدنيا، وأدررنا عليكم الأرزاق، وقيضنا لكم أسباب الراحة، ومددنا لكم في العمر، وتابعنا عليكم الآيات، وأوصلنا إليكم النذر، وابتليناكم بالسراء والضراء، لتنيبوا إلينا وترجعوا إلينا،

---

(1) النكت والعيون للماوردي (4/ 475).

(2) {الكِلال، بالكَسْر: جَمْعُ} كالٍّ، وَهُوَ المُعْيِي، تاج العروس (30/ 350)

(3) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (4/ 260).

(4) انظر: فتح القدير للشوكاني (4/ 406)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (16/ 62)، تفسير المراغي (22/ 133).

فلم ينجع فيكم إنذار، ولم تفد فيكم موعظة، وأخّرنا عنكم العقوبة، حتى إذا انقضت آجالكم، وتمت أعماركم، ورحلتم عن دار الإمكان، بأشر الحالات، ووصلتم إلى هذه الدار دار الجزاء على الأعمال، سألتم الرجعة؟ هيهات هيهات، فات وقت الإمكان، وليس للظالمين والكافرين نصير ينصرهم فيخرجهم منها، أو يخفف عنهم من عذابها[1].

ثمار المنهجية السابقة:

1. يوم القيامة هو يوم الحساب الأكبر والأخير، فيه يجازى كل إنسان بما عمله في الدنيا ويثاب أو يعاقب بناءً عليه؛ إن خيراً فخير وإن شراً فشر.
2. الناس يوم القيامة فريقان؛ فريق المؤمنين الذين يحاسبون حساباً يسيراً، ويدخلون جنات الخلد ودار المقامة التي وعدهم الله إياها ثواباً على أعمالهم الصالحة.
3. الفريق الثاني هو فريق الكافرين الذين يحاسبون حساباً عسيراً، ويحشرون مع الشياطين ويعذبون في نار الجحيم.

المنهجية السابعة: قدرة الله مطلقة والآلهة الباطلة عاجزة

الله ﷻ هو الخالق، والمتفرد بالعبادة، له توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، فالمتصف بهذه الصفات لهو القادر على أي شيء أراد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ [فاطر: ٤٠]

المعنى الإجمالي:

فهذه الأسئلة تُطرح على عقول المشركين، ويسألوا أنفسهم، ويتجردوا في الإجابة، فهذه الحجة واضحة والدليل بيّن، فهذه الأرض بكل ما فيها ومن فيها، هذه هي مشهودة منظورة، أي جزء فيها أو أي شيء يمكن أن يدعي مدع أن أحداً –غير الله– خلقه وأنشأه! إن كل شيء يصرخ في وجه هذه الدعوى لو جرؤ عليها مدَّع[2].

---

(1) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: 690)

(2) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (5/ 2947).

فإذا كانوا لم يخلقوا شيئاً من الأرض، فهل لهم معنا شركة في خلق السماوات أو في التصرف فيها، حتى يستحقوا لذلك مشاركتنا في العبادة والطاعة أم معهم كتاب بهذه الشركة! فيكون بينة وحجة لهم، ولكن كل وعودات الظالمين للظالمين إلا باطلاً[1]،**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١].

والناظر في هذه الصورة يرى واضحاً أن التساؤل للمشركين إنما هو تبكيت لهم، وإذلال، وهو كذلك دعوة لهم ليُعملوا عقولهم، فيتفكروا، فربما الفطرة الصافية تهديهم إلى الطريق الصواب، وإلا فما يعد بعضهم بعضاً باطلاً.

وقد بين الله تعالى للمشركين به أن تلك المعبودات التي عبدوها من دونه لا تملك لعابديها وزن ذرةٍ من خيرٍ أو ضُرٍّ في السماوات أو في الأرض، وليس له تعالى منها ولا من غيرها معين يعينه، أو مساعد يساعده، بل هو المنفرد بالخلق كله، المنفرد بالعطاء والمنع[2]، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: ٢٢]

لذلك فلا يجوز أن يُشرك مع الله أحدٌ في ربوبيته، حتى وإن كان ملكاً أو مقرباً؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذا الناقض: فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار؛ فهو كافر بإجماع المسلمين، لأن الثمرة التي يريد أن يصل إليها من يجيز جعل الوسائط بين العبد وربه، هو إثبات الاستغاثة والاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله. وهذا هو الشرك بعينه[3].

ومما سبق نستدلُّ على أن دعوة الإسلام امتدت إلى أساس العقيدة الإسلامية نفسه، فلا إيمان إلا بالاقتناع والحجة، ولا يقين إلا بالبحث والتأمل. والله الواحد الأحد يقيم الدليل تلو الدليل على وحدانيته، داعياً عباده أن يناقشوا هذه الأدلة بالمنطق والعقل، وأن يؤسسوا إيمانهم على الحجة والاقتناع، وهو لذلك يضرب الأمثلة من واقع حياة الناس ومعاشهم[4].

---

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (11/ 355).

(2) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، د. حمود الرحيلي (1/ 466).

(3) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (124/1)، المفيد في مهمات التوحيد، د. عبد القادر صوفي (ص: 79).

(4) انظر: طرق تدريس التربية الإسلامية نماذج لإعداد دروسها (ص: 80).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [فاطر: ٤١]

روى ابن أبي حاتم[1] عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام قال: يا جبريل هل ينام ربك؟ فقال جبريل: يا رب ان عبدك موسى يسألك هل تنام؟ فقال الله: يا جبريل قل له فليأخذ بيده قارورتين، وليقم على الجبل من أول الليل حتى يصبح، فقام على الجبل وأخذ قارورتين فصبر، فلما كان آخر الليل غلبته عيناه فسقطتا فانكسرتا، فقال: يا جبريل انكسرت القارورتان فقال الله: يا جبريل قل لعبدي إني لو نمت لزالت السماوات والأرض[2].

وما سبق مثالٌ بسيط وتوضيح يسير على قدرة الله تعالى، وعظمته، وهي تأكيد لوحدانيته، وانفراده بالربوبية، فقدرته على التحكم بمخلوقاته التي منها السماوات والأرض؛ تدل على أن الواحد، إذ لو كان غيره معه لاختلفوا؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

<u>ثمار المنهجية السابقة:</u>

1. إن الله ﷻ الذي خلق السماوات والأرض هو صاحب القدرة المطلقة، وهو وحده القادر على فعل ما يريد، فأمره بين الكاف والنون.
2. إنّ جميع المعبودات التي يعبدها المشركون ليس لهم من القدرة على الخلق، أو جلب نفع أو دفع ضُر، إنما هي شرك يستحق السخرية منهم في الدنيا، والعقاب في الآخرة.
3. الله ﷻ هو المتفرد بالكبرياء فليس له شبيه أو مثل، وهو المتفرد بالربوبية فلا رب لهذا الكون سواه، وهو المتصرف في شؤونه، ولا يجوز أن يُشرك معه أحد، أو أن يُعاند أو يُنافس؛ لأن عاقبة فاعل ذلك الخسران المبين.
4. إن الظالمين الذين لم يلتزموا بمنهج الله ﷻ في الهداية، بعضهم يعدُ بعض الغرور والبطلان.

---

(1) عبد الرحمن بن محمد بن إدريس أبو محمد بن أبي حاتم الحنظلي الرازي أحد الأئمة في الحديث والتفسير والعبادة والزهد والصلاح حافظ بن حافظ، قال يحيى بن منده: صنف المسند في ألف جزء توفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة قارب التسعين. (طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (1/ 111)).

(2) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (3186/10).

المنهجية الثامنة: الأجل مقدر ومحتوم

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وحدد له مسار حياته، ومنذ بداية تكوين خلق الإنسان حدد له كل تفاصيل حياته، ففي الرزق قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢]، وفي الأجل قال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق؛ قال: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقةً مثل ذلك ثم يكون مضغةً مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلماتٍ ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد"[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴾ [فاطر: ٤٥]

المعنى الإجمالي:

لقد قررت هذه الآية سنّة من سنن الله تعالى وحكمة من حكمه، فلو أن الله تعالى آخذ الناس بكل شيء كسبوه واجترحوه مؤاخذة عاجلة، لما بقي على ظهر الأرض من يدبّ عليها، لأن الناس مقصّرون دائماً عن القيام بواجباتهم نحوه ولا يفتأون يجترحون ما يستوجب المؤاخذة والعذاب، ولكن الله يمهلهم إلى الآجال المعينة في علمه، فإذا ما جاءت أنزل بهم ما يستحقون[2].

وفي سورة النحل نظير هذه الآية إذ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِمۡ مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ [النحل: ٦١]

فهذه قمة ورأس الحكمة، فلا يكون العقاب آنياً من الله ﷻ رحمة لهم وإمهالاً، فقد يتوب تائب، وقد ينحرف عابد، وفي الحديث قال عبد الله بن مسعود: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، قال: "فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم: 3208 (111/4).
(2) التفسير الحديث لدروزة (3/ 139).

الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة"[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ [الكهف: ٥٨].

وهذه الآية مرتبطة بالتي سبقتها؛ فقد دعت السابقة هؤلاء المشركين والناس عامة إلى السير في الأرض والنظر في أحوال الأمم السابقة، فقد كانوا أكثر منهم قوة وبطشاً وما أعجزوا الله تعالى، فها دافع لهم أن يزدجروا، وإلا فإن العذاب سيأتيهم في موعده دون تأخير كما قدّره الله ﷻ[2].

وبَصَرُ الله ﷻ بعباده كفيل بتوفيتهم حسابهم وفق عملهم وكسبهم، لا تفوت منهم ولا عليهم كبيرة ولا صغيرة، التفسير فيجازي بالثواب أهل الطاعة، وبالعقاب أهل المعصية، والله بصير بمن يستحق منهم الثواب، ومن يستحق منهم العقاب، لا يخفى عليه شيء من أمرهم[3].

فإن الله أي الذي له صفات الكمال الموجد بتمام القدرة وكمال الاختيار كان ولم يزل، بعباده الذين أوجدهم ولا شريك له في إيجاد أحد منهم بجميع ذواتهم واحوالهم، بصيراً أي بالغ البصر والعلم بمن يستحق العذاب منهم بالكسب ومن يستحق الثواب[4].

ثمار المنهجية السابقة:

1. إن الله خلق الإنسان وكتب أجله منذ بداية خلقه، ولذلك فلا تموت نفس ناقص أجلها أو رزقها، وهذا من شأنه أن يعطي للإنسان دفعة أن يكون مع الحق أينما كان، وذلك كون الشجاعة لا تقدِّم أجلاً والجبن لا يؤخره.
2. من رحمة الله ﷻ أنه لا يعاجل الناس بالخطايا، ولا يعاقبهم آنياً على ذنوبهم، إمهالاً لهم لعلهم يؤبوا إليه، وإتماماً لمسيرة الحياة على الأرض، ولو عاقب كل إنسان على خطيئته مباشرة لانقرضت المخلوقات لكثرة ذنوبها، ولكن جميع الذنوب مسجلة عند الله البصير يحاسب كل إنسان على عمله.
3. إن الله مراقبٌ لعباده في جميع أحوالهم، وهذا يجعل المؤمن يلتزم الانضباط فلا يقع في المعاصي والذنوب.

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم: 3208 (111/4).

(2) التفسير الواضح للحجازي (172/3).

(3) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (5/ 2951)، التفسير المنير للزحيلي (22/ 284).

(4) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (16/ 79).

المطلب الثاني

في الجانب التربوي والأخلاقي

ويشتمل على أربع منهجيات:

المنهجية الأولى: وسوسة الشيطان وأثرها

المنهجية الثانية: عدم تساوي الخير والشر

المنهجية الثالثة: التجارة الرابحة والميراث الشريف

المنهجية الرابعة: أخذ العبر والعظات من الأمم السابقة

المنهجية الأولى: وسوسة الشيطان وأثرها

هناك الكثير من الأمراض والآفات التي تصيب العاملين في مجال الدعوة، وتصيب المسلمين بشكل عام، ومن هذه الآفات؛ داء العُجب، وهو أن يتكبر الإنسان في نفسه. تقول: هو معجب بنفسه[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨]

المعنى الإجمالي:

فالكفار والفجار، يعملون أعمالاً سيئةً، وهم في ذلك يعتقدون ويحسون أنهم يحسنون صنعاً، فمن حسّن له الشيطان عمله السيء، من معاصي الله، والكفر به، والإشراك في عبادته من هم دونه، فرأى ذلك حسناً، وظنّ قبيحه به جميلاً، فذلك جزاؤه على نفسه، فهو الذي أعمى بصيرة قلبه، ولم يهتد إلى طريق الحق والصواب، فليس للنبي ﷺ حيلة في هدايته، إنما الهداية والضلال أمر بيد الله ﷻ، هو القادر عليه والمقدّر له[2].

وفي "أفمن زين له سوء عمله" أربعة أقوال، أحدها: أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قال أبو قلابة[3]. ويكون، سوء عمله معاندة الرسول عليه الصلاة والسلام. الثاني: أنهم الخوارج، رواه عمر بن القاسم[4]. يكون سوء عمله تحريف التأويل. الثالث: الشيطان، قال الحسن. ويكون سوء عمله الإغواء. الرابع: كفار قريش، قاله الكلبي[5]. ويكون سوء عمله الشرك[6].

---

(1) مقاييس اللغة للرازي (4/ 243).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم ابن كثير (6/ 535).

(3) أبو قلابة الجرمي اسمه عبد الله بن زيد من عباد التابعين وزهادهم ممن هرب من البصرة مخافة ان يولى القضاء فدخل الشام يأوي الرباطات ويكون في الثغور ومعه بنى له إلى ان اعتل علة صعبة فذهبت يداه ورجلاه وبصره، ومات سنة أربع ومائة (مشاهير علماء الأمصار (ص: 145)).

(4) عمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري أبو حفص، سراج الدين النشَّار: مقرئ شافعيّ مصري. النشار حرفته، له كتب منها: البدر المنير في شرح التيسير والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (الأعلام للزركلي (59/5).

(5) هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي، أبو النضر الكوفي، اتهمه جماعة بالوضع، مات سنة ست وأربعين ومائة (خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (ص: 337)).

(6) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (14/ 325).

وتزيين القبيح وتجميله، والإغراء بزينته المصطنعة على ارتكابه، فتلك من وظائف الشيطان حيث لا يجترح الإنسان الشر إلا وعليه من الشيطان مسحة تزينه وتجمله، وتظهره في غير حقيقته وردائه، لذلك ترى المؤمن العاقل يوزن أعماله بميزان التقوى والإيمان قبل الإقدام عليها، حيث لا يرى جميلاً إلا ما جمله القرآن والدين، ولا يرى قبيحاً إلا ما قبحه الإسلام والدين[1].

إنها حقيقة نفسية دقيقة عميقة يصورها القرآن في ألفاظ معدودة، إنه نموذج الضال الهالك البائر الصائر إلى شر مصير، ومفتاح هذا كله هو هذا التزيين، هو الغرور، هو الستار الذي يعمي قلبه وعينه، فلا يرى مخاطر الطريق، ولا يحسن عملا لأنه مطمئن إلى حسن عمله وهو سيء، ولا يصلح خطأ لأنه واثق أنه لا يخطئ![2]

وفرق كبير بين الفريقين، فكيف يتساوى المحسن والمسيء وكيف يتماثل الذين حسّن لهم الشيطان أعمالهم، ظانين أنهم محسنون صنعا، وأولئك المهتدون على طريق الحق والخير؟، وأمر الله نبيه بالإعراض عن أمر قومه، وألا يهلك نفسه أو يوقعها في الغم والحزن، بسبب عدم إيمان قومه، وإصرارهم على الكفر، وبقائهم في الضلال، فالله عليم بأحوالهم واستعداداتهم، وعالم بما يفعلون من المنكرات والقبائح، فيجازيهم بما يستحقون[3].

فإن الله يضل من يشاء عن دينه ويهدي من يشاء لدينه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات بتركهم الإيمان، أي فلا تحزن نفسك إن الله عليم بما يصنعون من الخير والشر[4].

ثمار المنهجية السابقة:

1. الشيطان عدو الإنسان الأزلي فهو المتسبب في خروج آدم عليه السلام من الجنة، وهو سبب اقتراف المعاصي، وعلى الإنسان المؤمن العاقل أن يتخذه عدواً ولا يرضخ لوساوسه وتزيينه للسوء والباطل.
2. الهداية والضلال بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وكفر الكافرين كان باختيارهم مع علم الله المسبق بذلك الاختيار.

---

(1) العصبة المؤمنة بين عناية الرحمن ومكر الشيطان (ص: 14).

(2) مفرق الطريق في القرآن الكريم لعلي الشحود (ص: 371).

(3) التفسير الوسيط للزحيلي (3/ 2122).

(4) بحر العلوم للسمرقندي (3/ 101).

3. على الدعاة أن يبذلوا جهدهم في الدعوة دون انتظار نتائج لأنها متعلقة بمشيئة الله، فإن شاء هدى الضال، وإن شاء أبقاه على ضلاله، فوظيفتهم التربية والتعليم وفق تعاليم الشرع الحنيف.

المنهجية الثانية: عدم تساوي الخير والشر

إن الله خلق الإنسان، وخلق معه طريقي الخير والشر، الحق والباطل، وترك له الخيار في السير بأحدهما؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠]، والسائر في أحد هذين الطريقين يعلم بأنهما لا يستويان، لا يستويان بالتعب والمشقة في الدنيا؛ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات"[1]، وكذلك لا يستويان في الأجر في الآخرة؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى: ٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ١٩ – ٢٢]

المعنى الإجمالي:

فالأعمى عن دين الله الذي ابتُعِث به نبيه محمداً ﷺ والبصير الذي قد أبصر فيه رشده؛ فاتبع محمداً وصدقه، وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان، ولا الجنة والنار، والحرور بمنزلة السموم، وهي الرياح الحارة، وما يستوي الأحياء القلوب بالإيمان بالله ورسوله، ومعرفة تنزيل الله، والأموات القلوب لغلبة الكفر عليها، حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه، ولا تعرف الهدى من الضلال، وكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان والكافر والكفر، وقال ابن عباس: وما يستوي الأعمى والظلمات والحرور ولا الأموات، فهو مثل أهل المعصية، ولا يستوي البصير ولا النور ولا الظل والأحياء، فهو مثل أهل الطاعة[2].

فكما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة، كالأعمى والبصير لا يستويان، وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور، كذلك لا تستوي الأحياء ولا الأموات، وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات[3]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم: 2822، (2174/4).
(2) انظر: جامع البيان للطبري (20/ 457).
(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 542).

﴿فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [الأنعام: ١٢٢]

وهذه مقارنة واضحة وصريحة لنهاية كل طريق من الطريقين، ومهمة الرسل تنتهي بتبليغ الرسالة، وما عليهم في عدم اهتداء مدعويهم إلى الدين الحق، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فإن هذا الصنف من البشر الذي يهتدي إلى الحق بواقعه المحسوس، هو كالأنعام بل أضل، وذلك لعدم انتفاعهم بما وهبهم الله من عقول للتدبر، بل هم أضل منها، لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها، وهؤلاء لا يدركون ذلك، أولئك هم الكاملون في الغفلة[1].

وعليه فكل إنسان لا يُعمل عقله، ولا يتمعن في خلائق الله وآلاءه، فنهايته العقوبة المحتمة من الله، كما أن للفريق الآخر المهتدي ثواب عظيم من الله على إيمانهم واتباعهم الحق والخير.

وهذا الفعل لله فهو القادر على إسماع من شاء، وتفهيمه آياته ووعظه بعظاته، وليس من قدرتك أيها النبي ﷺ إسماع من في القبور، وذلك زيادة في إقناطه من إيمانهم، إنما هو نبي نذير[2].

ثمار المنهجية السابقة:

1. الإنسان مسير لأجله ورزقه، ومخير في أعماله واتباعه، وله الحرية الكاملة في اختيار الطريق الذي يسلكه، وهذا الاختيار لا يخرج عن علم الله.
2. الإنسان الذي يبحث عن السعادة والنجاة يختار الطريق الذي يؤدي إلى ذلك.
3. هناك فرق شاسع بين طريقي الحق والباطل، وهذا الفرق واضح وبيّن، وما سبق أمثلة حسية على الفروقات بين الطريقين، وهو دعوة لإحسان الاختيار وسلك الطريق القويم، والابتعاد عن طريق الضلال والغواية.
4. الأعمى هو الذي يسير على غير هدى، وبالتالي سلوكه وأخلاقه تكون في طريق معوج، وهو لا يرى الحق لأنه يعيش في ضلال.

---

(1) انظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم لنخبة من علماء الأزهر (ص: 236).

(2) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (150/7).

المنهجية الثالثة: التجارة الرابحة والميراث الشريف

إن المؤمن الذي عرف طريق الحق واختار السير فيه، لابد أنه اشترى قيمة في التجارة الرابحة، التجارة التي تنفع في الدنيا، وتنجي في الآخرة، تلك التجارة التي هي وصية الأنبياء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الصف: ١٠ – ١١]، وهذه التجارة مصحوبة بميراثٍ عظيمٍ لأهلها، إن المنهج الرباني، والتعاليم القويمة، ورد عن أبي الدرداء أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن العلماء هم ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍ وافرٍ"[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣١ – ٣٢]

<u>المعنى الإجمالي:</u>

دلائل الحق في هذا الكتاب واضحة في صلبه، فهو الترجمة الصحيحة لهذا الكون في حقيقته، فالقرآن الصفحة المقروءة والكون هو الصفحة الصامتة، وهو مصدق لما قبله من الكتب الصادرة من مصدره، والحق واحد لا يتعدد فيها وفيه[2].

والعمل بهذا الحق واجب، لأنه الكتاب الوحيد لم يمسه التحريف والتبديل والتغيير، وهو الكتاب الوحيد الذي تكفّل الله تعالى بحفظه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، فالله ﷻ يعلم أن الكتب السابقة لم تصبح تحمل هداية الله لعباده لما داخلها من التحريف والتغيير، لذا مع علمه بحاجة البشرية إلى وحي سليم يقدم إليها فتكمل وتسعد عليه متى آمنت به، وأخذته نوراً تمشي به في حياتها المادية هذه، أرسل النبي ﷺ وأوحى إليه هذا الكتاب الكريم وأوجب عليه وعلى أمته العمل به[3].

---

(1) أخرجه ابن ماجه، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم: 223 (81/1)، حسنه الألباني في مشكاة المصابيح (74/1).

(2) في ظلال القرآن لسيد قطب (5/ 2944).

(3) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (4/ 355).

والكتب السابقة ليست في كمال القرآن، فالأمر الذي لم يُختم، الزيادة فيه متوقعة، أما إذا وقع الختم فلا يكون بعده زيادة مرتقبة[1].

وإذا كان الإنسان أعلم بمن يربيه ولا سيما إن كان مالكاً له فالخالق ﷻ عالم أدق العلم وأتقنه ببواطن أحوال عباده، بصيرٌ بظواهر أمورهم وبواطنها أي فهو يسكن الخشية والعلم القلوب على ما أوتوا من الكتاب في علمه وتلاوته وإن تراءى لهم خلاف ذلك، فأنت أحقهم بالكمال لأنك أخشاهم وأتقاهم، فلذلك آتيناك هذا الكتاب، فأخشاهم بعدك أحقهم بعلمه، فلو كان في أحوالك ما ينافي النبوة لم يوح إليك مثل هذا الحق المعجز الذي هو أفضل الكتب[2].

ثم بعد هذا التقرير بحقيّة الكتاب المنزّل على نبينا محمد ﷺ، جاء التوضيح الرباني بحقيقة الميراث من النبي، فالميراث ليس مالاً ولا جاهاً، وليس سمعةً وخلافها، ولكنه كتاب الله سبحانه، الكتاب الحق، الذي نُسخت به الكتب السابقة، وورثة هذا الكتاب على أصنافٍ ثلاثة: ظالم لنفسه، مقتصد، وسابق بالخيرات.

عن ابن عباس: الذين اصطفينا من عبادنا هم أمة محمد ﷺ، ورّثهم الله كل كتاب أُنزل، فظالمهم مغفورٌ له ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب[3].

أما في تعريف هذه الأصناف الثلاثة؛ فالظالم لنفسه هو: المفرِّط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات، والمقتصد هو: المؤدّي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات، والسابق بالخيرات هو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات[4].

وتصديقاً لهذا المعنى، رُوي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣٢] قال: "هؤلاء كلهم بمنزله واحدة، وكلهم في الجنة"[5]، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ألا إن سابقنا سابقٌ، وإن مقتصدنا ناجٍ، وإن ظالمنا مغفورٌ له "[6].

---

(1) نظم الدرر للبقاعي (53/16).

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (16/ 53)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (7/ 152).

(3) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (7/ 23).

(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 546).

(5) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الملائكة، حديث رقم: 3225، (363/5) وقال: حديث غريب حسن.

(6) تأويلات أهل السنة للماتريدي (8/ 490).

ولشرف هذا الميراث الذي أورثته أمة القرآن، أمة محمد ﷺ، كان الوعد الإلهي بالفوز الأخروي، يوم الحساب، فهؤلاء الذين اتبعوا طريق الحق –على اختلاف فئاتهم وتفاوتها– يعدهم ربهم بجنات عدن بعد استيفاء العقاب لمن حقّ عليه، فيدخل هؤلاء المصطَفوْن جميعاً جنات الإقامة الدائمة يوم المعاد، التي يُحلّون فيها أساور من ذهب مرصع باللؤلؤ، ويكون لباسهم حريراً خالصاً، وقد أباحه الله تعالى لهم في الآخرة، بعد أن كان محظورا عليهم في الدنيا[1].

وذلك هو الفضل الكبير الذي فضّل به من كان مقتصراً عن منزلته في طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه[2].

ثمار المنهجية السابقة:

1. القرآن الكريم هو الكتاب الخالد، وهو المحتوي على أدلة الصدق والحق، والإيمان به من أركان الإيمان ولا يصح الإيمان بدون الإيمان والتصديق بكل ما فيه.
2. أعظم الميراث هو ميراث النبوة، حيث أنهم يورثون العلم، والحق والهدى، ومن ميراث نبينا ﷺ القرآن الكريم، ويرثه أصناف ثلاثة ذكرناها، جميعهم في الجنة، ووعد الله المصطفين جميعا أو السابقين إلى الخيرات جنات عدن يدخلونها[3].
3. المرتكبون للسيئات وهم مؤمنون يدخلون في صنف الظالم لنفسه، وهم مع ذنوبهم إلا أنهم من أصحاب الجنة كما أوردنا الدليل، وذلك بعد استيفائهم لحسابهم الذي يكون يسيراً.
4. العلم هو الحقيقة الثابتة، وما عداه فهو محو وباطل، ودل على أن التالين لكتابه الذي هو العلم هم العلماء، وغيرهم وإن كانوا موجودين فهم بالمعدومين أشبه[4].

المنهجية الرابعة: أخذ العبر والعظات من الأمم السابقة

إن كثيرًا من آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، تدعونا للتأمل والتفكر في أحوال الأمم السابقة، وما أصابها من خير بطاعتها، ومن شر ودمار بعصيانها وتجبرها وتكبرها، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ

(1) التفسير المنير للزحيلي (22/ 267).
(2) جامع البيان للطبري (20/ 471).
(3) التفسير المنير للزحيلي (22/ 269).
(4) نظم الدرر للبقاعي (16/ 52).

يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ ﴾ [الرعد: ٣٠]، والإنسان المؤمن العاقل لا يمر على مثل هذه المواضع دون إمعان نظر، وإعمال فكر، حتى يقتدي بالصالحين منهم، ويتعظ من الفاسقين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴾ [فاطر: ٤٤]

المعنى الإجمالي:

في الآية السابقة؛ إنذار ووعيد لمن يعصي الله ورسوله، فمهما بلغت قوته، ومهما عظمت قدرته، فلا يبارز بها دعوة الله، فهو القادر على الإهلاك والتدمير، وما حدث للأمم الغابرة خير دليل على ذلك، فمن الأمم السابقة من كانت أكثر قوة وأعظم ملكاً، ولكن أخذهم الله بعصيانهم وذنوبهم، فليتعظ اللاحقون!

وهذه الآية تساؤل لأهل مكة المشركين، ألم يسيروا في الأرض التي أهلكنا أهلها بكفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا؟ فإنهم –المشركون– تجّار يسلكون طريق الشام فينظروا حال الأمم التي يمرون عليها ويرون ما وقع بها، فيتعظوا بهم وينزجروا عما هم عليه من عبادة الآلهة بالشرك بالله، ويعلموا أن الذي فعل بأولئك ما فعل وهم الأكثر قوة، لن يتعذر عليه أن يفعل بهم مثل الذي فعل بأولئك من تعجيل النقمة والعذاب لهم[1].

وهذا ديدن الرسل؛ التذكير بأيام الله في الغابرين لتحصل العظة الحسية الظاهرة، حتى لا تكون للناس حجة بعد الرسل، ولهذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾ [إبراهيم: ٥]، والناظر في حقيقة هذه الأيام يرى فيها عظمة بطش الله بالكافرين والمعاندين، ويظهر فيها التأييد الإلهي للطائفة المؤمنة[2].

والمؤمنون كيّسون فطنون، يدركون الحقائق في أوضح صورها، مستهدين بذلك بنور الإسلام الذي يزكي النفوس ويطهر القلوب ويصفي العقول.

---

(1) جامع البيان للطبري (20/ 485).

(2) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (189/13).

ثمار المنهجية السابقة:

1. السير في أماكن الأمم السابقة فيه عظة للمؤمنين بأن الله ﷻ ناصرهم ومؤيدهم، وفيه تحذير وتهديد العصاة والكافرين بأن الله ﷻ يمهل لهم، ويبعث لهم الرسل والبينات، فإن لم يهتدوا أخذهم كما أخذ الأمم السابقة.
2. الله ﷻ هو القادر على كل شيء ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فعلى الناس أن يحذروا من ظهور هذه القدرة بتعذيبهم فإنه لا رحمة لهم مع كفرهم وعنادهم.
3. إن الغرور بالقوة والسلطان، دون الاعتماد على الله ﷻ، يورث الذل والهزيمة، وتكون هذه الأمم عبراً لغيرها.

المطلب الثالث

في الجانب التشريعي والسياسي

ويشتمل على منهجية واحدة:

منهجية: التكليف الرباني بالخلافة

منهجية: التكليف الرباني بخلافة الأرض

إن الله ﷻ خلق الإنسان وكرمه على سائر المخلوقات، وزاده كرماً بأن جعله خليفته في الأرض، والمؤتمن على ما فيها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]، وهذا الإستخلاف بخلف القرون بعضها لبعض على ما فيه من تكريم للبشر، إلا أنه تكليفٌ رباني بحفظ الأرض، والقيام بدينه فيها، وبهذا يكون الله تعالى أناب الجماعة البشريّة بوصفها خليفة الله تعالى لقيادة الكون، وإعماره دينياً و اجتماعيّاً وطبيعيّاً.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [فاطر: ٣٩]

المعنى الإجمالي:

هو الذي جعلكم خلائف في الأرض يخلف بعضكم بعضاً، أنتم خلائف لله في أرضه وهذا الوضع يقتضى منكم أن تتذكروا أنكم مفارقون لهذه الدنيا، فلا تغتروا بها، ولتنظروا إلى أنفسكم، وأنتم خلفاء لله فلا تتخذوا معه شركاء لا يمتون لكم بصلة شريفة[1].

والخليفة: الذي يخلف غيره في عمل، أي يقوم مقامه فيه، فإن كان مع وجود المخلوف عنه قيل: هو خليفة فلان، وإن كان بعد ما مضى المخلوف قيل: هو خليفة من فلان[2].

ثم بعد تعاقب الأمم وإهلاك الله سبحانه للعاصين منهم واندثارهم، أوكلت مهمة الخلافة في الأرض إلى أمة خاتم الأنبياء والمرسلين، فقد جعلهم خلائف في الأرض كلها، وأنه يختبرهم بهذه الخلافة فيجزيهم بما يعملون فيها[3].

إنها معركة ابتلاءات وتمحيص تبين الغث من السمين، ألا ترى المسلمين الأوائل كيف كانوا يعذبون ويضطهدون، ولا يجرؤ أحد على حمايتهم حتى اضطروا للهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة، وقد قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢][4].

---

(1) التفسير الواضح للحجازي (3/ 169).

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور (23/ 242).

(3) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (11/ 412).

(4) الخواطر للشعراوي (17/ 10317).

وأول خليفة استخلفه الله ﷻ هو آدم عليه السلام، فهو خليفة الله في إمضاء أحكامه وأوامره، لأنه أول رسول إلى الأرض، ومما ورد عن الاستخلاف في الأرض قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]، وهذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة ، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص: ٢٦]، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٥٥] أي يجعل منهم خلفاء، إلى غير ذلك من الآي[1].

وفي آية النور دليل على أن الله ﷻ وعد أمة الإسلام أن تكون الولاية لهم، ويجعلهم أئمة الناس والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم، وهذا ما تحقق في عهد النبي ﷺ من فتوحات وانتشار لدعوة الإسلام حتى عمّت كل جزيرة العرب والبلدان المحيطة فيها[2].

وقد جعلهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في ممالكهم أو خلفاً من الذين لم يكونوا على حالهم من الإيمان والأعمال الصالحة، والذين استُخلفوا من قبل هم بنو إسرائيل استخلفهم الله ﷻ في مصر والشام بعد إهلاك فرعون والجبابرة أو هم ومن قبلهم من الأمم المؤمنة[3].

وإذا وَلِيَ شخص أمر الناس، فلابد أن يحكم بينهم بالعدل، فهذه وصية من الله ﷻ لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله وقد توعد الله ﷻ من ضل عن سبيله، وتناسى يوم الحساب، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد[4].

وإن من ملّكه الله ﷻ حكم الأرض، يجب أن يحكم بالعدل والإنصاف، ولا يؤثر هواه في قضائه بينهم على الحق والعدل فيه، ويميل به اتباعه هواه في قضائه بالعدل والعمل بالحق عن

---

(1) انظر: جامع الأحكام للقرطبي (1/ 263-264).

(2) مختصر تفسير ابن كثير (2/ 615).

(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (6/ 190).

(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (7/ 62).

طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان فيه، فتكون العاقبة الحتمية لمن يحيد عن طريق الحق بأن يكون من الهالكين بسبب ضلاله عن سبيل الله[1].

أما الكافرون الذين يعمّرهم في الحكم مدة يتذكر فيه من تذكر، بعد علمهم بأن الله هو الذي مكنهم لا غيره، واحتقروا هذه النعمة السَنِيَّة فالضرر والإثم راجع إليه، ومن كان يتوهم أن بسط الدنيا على الفاجر ربحٌ وإكرامٌ من الله له، فهو مخطئ، إنما هو إمهال لهم، حتى يظنوا أنه يسعدهم وهم راسخون فيه، فالله ﷻ يعاملهم معاملة من يبغض ويحتقر أشد بغض واحتقار ولهم عذاب شديد[2].

ثمار المنهجية السابقة:

1. الإنسان هو خليفة الله في الأرض، وأول الخلائف هو آدم عليه السلام، ومهمة هذا الخليفة هو إصلاح الأرض والسير فيها بالحق، وتحكيم شرع الله، والحكم بالعدل والإنصاف.
2. إن من كرم الله ﷻ أن جعل خلافة أمة محمد بولايتهم على الناس، هذا الأمر الذي استمر قروناً عديدة، وطريق العودة إلى أحضان ذلك المجد التليد هو بالرجوع إلى منهج الله الرباني الذي يهدي للطريق الحق، ويحفظ العِرض والمال والنفس والولد، وقبل ذلك يحفظ الدين والشريعة.
3. إن مهمة الحاكم المسلم أن يحكم بين الناس بالعدل، وذلك وفقاً لأحكام القرآن الكريم والسنة الصحيحة؛ لأن فيها العدل والإنصاف وإحقاق الحق وإبطال الباطل، وعليه ألا يُحكِّم هواه في ذلك فيبتعد عن الحق والصواب، وهذه دعوة لكل الأمة أن تعود إلى الاحتكام إلى شرع الله الحنيف.
4. الكافرين لا يزيدهم كفرهم عند الله إلا غضباً وذلاً في الدنيا، ويوم القيامة خسارة وعذاب مهين.

---

(1) انظر: جامع البيان للطبري (21/ 189).

(2) نظم الدرر للبقاعي (16/ 67).

المطلب الرابع

في الجانب الدعوي

ويشتمل على ثلاث منهجيات:

المنهجية الأولى: سعة رحمة الله

المنهجية الثانية: من ابتغى العزة بغير الله ﷻ ذل

المنهجية الثالثة: كلما ازددت علمًا ازددت خشية لله ﷻ

المنهجية الأولى: سعة رحمة الله ﷻ

إن الله ﷻ اتصف بكل صفات الجمال والكمال، ومن هذه الصفات العظيمة؛ الرحمة. وتظهر هذه الصفة في كل حركة وسكنة، وفي كل حكم وقضاء، وفي كل فعل وقول، ولا أعظم ولا أكثر راحة من أن نعرف بأنه وصف نفسه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤]، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها"[1]، وذلك في قصة المرأة التي أرضعت طفلها، وهذه الرحمة تنزل بإذن الله على من يشاء، ويمسكها عمن يشاء ووقتما يشاء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢]

المعنى الإجمالي:

والرحمة هنا فيها سبعة تأويلات: أحدها: من خير، قاله قتادة. الثاني: من مطر، قاله السدي. الثالث: من توبة، قاله ابن عباس. الرابع: من وحي، قاله الحسن. الخامس: من رزق وهو مأثور. السادس: من عافية، قاله الكلبي. السابع: من دعاء، قاله الضحاك. ويحتمل ثامناً: من توفيق وهداية[2]، ونُكِّرت الرحمة لتدل على تعدد المعاني[3].

إن رحم فلا مانع له، وإن لم يرحم فلا باعث له عليها، وفي الآية دليل على سبق رحمته غضبه من وجوه: أحدها التقديم حيث قدم بيان فتح أبواب الرحمة في الذكر، وثانيها: هو أن أنث الكناية في الأول، وقد قال تعالى: لها ليعلم أن المفتوح أبواب الرحمة ولا ممسك لرحمته فهي وصلة إلى من رحمته، وثالثها: استثنى وقال لا مرسل له إلا الله فنزل له مرسلا. وعند الإمساك قال لا ممسك لها، ولم يقل غير الله لأن الرحمة إذا جاءت لا ترتفع فإن من رحمه الله في الآخرة لا يعذبه بعدها هو ولا غيره، ومن يعذبه الله فقد يرحمه الله بعد العذاب كالفساق من أهل الإيمان[4].

وإن مما يزيد في همة المؤمن وإقباله على الله ما يجد من الآيات والأحاديث التي تتحدث عن رحمة الله وغفرانه؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم: 5999، (8/8).

(2) النكت والعيون للماوردي (4/ 462-463).

(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (76/3)

(4) مفاتيح الغيب للرازي (26/ 222).

ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، قال البقاعي: ولما كان هذا مفهماً لأنه تعالى يغفر كل ذنب أتبعه تحقيق ذلك ونفي القدرة عليه عن غيره، لأن المخلوق لا يمضي غفرانه لذنب إلا إذا كان مما شرع الله غفرانه، فكان لا غافر في الحقيقة إلا الله، وهو يمحو آثارها حتى لا تذكر ولا يجازي عليها الملك الأعلى[1].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]، فهي دعوة إلى النجاة من النار، والتوبة والإنابة إلى الله قبل فوات الأوان، وهذه رحمة من الله

أن يحذر عباده، ويحثهم على التوبة للفوز بالفلاح والنجاح بالدنيا والآخرة، كيف لا وهو الذي يبين لعباده طريق مغفرة الذنوب، رُوي عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تبارك وتعالى: (يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)[2].

ومن أمثلة الرحمة ما ورد في أن توبة العبد مقبولة إذا استوفت شروطها، وكانت قبل الغرغرة، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر"[3]، ورحمة الله ﷻ وسعت كل شيء في هذه الحياة الدنيا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ويا لها من بشارة لأمة الإسلام إن علمت بأن الرحمة تغلب الغضب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش إن رحمتي تغلب غضبي"[4].

وكذلك من رحمات الله ﷻ أن أرسل للبشرية الأنبياء، وختمهم بمحمد ﷺ، وأوضح بهم طريق الحق والهداية، وطريق النجاة والنجاح، وكذلك ألهمه اللين في التعامل مع الناس؛ وذلك

---

(1) نظم الدرر للبقاعي (5/ 75).

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، حديث رقم: 3540 (548/5)، وقال عنه: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(3) أخرجه أحمد في المسند، مسند المكثرين من الصحابة، باقي المسند السابق، حديث رقم: 6160 (300/10)، حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (386/1).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه، حديث رقم: 7404، (120/9).

رحمة منه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ثمار المنهجية السابقة:

1. رحمة الله ليست قاصرة على ما وهب وأعطى، بل تمتد إلى التحريم والمنع، فما حرم شيئاً إلا رحمة بخلقه، وما منع رزقاً إلا لرحمته بعباده.
2. إن رحمة الله بعباده هي جزء يسير من الرحمة التي استأثرها الله عنده يوم القيامة، ورغم ذلك فرحمته في الدنيا بلغت كل شيء، ورحمته لا مانع لها إذا أراد عمومها، ولا يستطيع أيٌ من البشر إرسال الرحمات إذا لم يُرد الله ذلك.
3. أعظم صور الرحمة، فتح باب التوبة للعاصين في كل وقت وحين، حتى أنه سبحانه وتعالى أغدق بالعفو والكرم على العاصين حتى يؤبوا إليه، وتكفل بمحو هذه الذنوب وإخفاء آثارها.
4. تتحدث هذه الآية عن الأسلوب الدعوي في القرآن الكريم في كيفية تحقيق الرحمة بين الناس.

المنهجية الثانية: من ابتغى العزة بغير الله ذل

العِزَّةُ، هي القوة والغلبة[1]، ومَن من البشر لا يسعى إلى الغلبة؟ فبها يتحقق العز والمجد والسؤدد، هذا إن تحققت للبشر دون إسنادها إلى من هم أعلى منهم، فكيف إذا كانت هذه العزة من الله العزيز، صفة يفتخر بها كل من ينال شرف أخذها منسوبة إلى عزة الله ﷻ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [فاطر: ١٠]

المعنى الإجمالي:

اختلف أهل التفسير في المقصود بالعزة لله جميعاً، قال الطبري: لها معانٍ على ثلاثة أوجه؛ أولها: أن من كان يريد العزة بعبادة الأوثان؛ فالعزة لله جميعاً، ثانيها: من أراد العزة فليتعزز بطاعة الله، وثالثها: من كان يريد معرفة علم العزة لمن هي؛ فإن العزة لله جميعاً، والذي اختاره الطبري فيها هو القول الأول؛ لأن الآيات التي قبل هذه الآية، جرت بتقريع الله المشركين

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للفارابي (3/ 886).

على عبادتهم الأوثان، وتوبيخه إياهم، ووعيده لهم عليها، فأولى بهذه أيضًا أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك[1].

ولقد أخبرنا القرآن الكريم بحال المشركين في الاعتزاز بالأصنام والأوثان من دون الله، ويعبدونها لتعطيهم عزًا؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴾ [مريم: ٨١]، وهذا العز المنشود لن يكون له فائدة عائدة عليهم، بل سيكفرون بعبادتهم ويخيب ظنهم فيهم[2].

والعزيز اسم من أسماء الله الحسنى، وهو الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة إليه ويصعب الوصول إليه، فما لم يجتمع عليه هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه اسم العزيز، فكم من شيء يقل وجوده ولكن إذا لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزاً، وكم من شيء يعظم خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره ولكن إذا لم يصعب الوصول إليه لم يسم عزيزاً[3].

وهذه العزة ينال شرفها الرسول ﷺ بقربه من العزيز، وينالها المؤمنون من بعده بقربهم من العزيز بالله وهو الرسول ﷺ، وذلك لأن عزة المؤمنين بواسطة النبي؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١][4].

ثم عقّب القرآن بعد ذكر الحقيقة الضخمة بما له أثره ومغزاه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠]، فالكلم الطيب والعمل الصالح يكرمان صاحبهما، ويمنحانه العزة والاستعلاء[5].

والتواضع طريقٌ من طرق العزة التي ينال الإنسان بها المكانة عند الله، والغلبة والمَنَعة منه، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: "وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"[6].

والعزة الصحيحة حقيقة تستقر في القلب قبل أن يكون لها مظهر في دنيا الناس. حقيقة تستقر في القلب فيستعلي بها على كل أسباب الذلة والانحناء لغير الله. حقيقة يستعلي بها على

---

(1) جامع البيان للطبري (20/ 444).

(2) انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (145/7).

(3) المقصد الأسنى للطوسي (ص: 73).

(4) مفاتيح الغيب للرازي (226/26).

(5) في ظلال القرآن لسيد قطب (5/ 2930).

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم: 2588، (2001/4).

نفسه أول ما يستعلي. يستعلي بها على شهواته المذلة، ورغائبه القاهرة، ومخاوفه ومطامعه من الناس وغير الناس. ومتى استعلى على هذه فلن يملك أحد وسيلة لإذلاله وإخضاعه[1].

وفى الجانب الآخر تهديد للمشركين الذي يغرسون في مغارس السوء، ويعملون في مجال الضلال، إنهم لا يجنون من غرسهم هذا إلا أنكد الثمر وأخبثه، إنه العذاب الشديد في الآخرة، والحسرة والوبال في الدنيا[2].

وهؤلاء المشركون الذين يبحثون عن العزة والمكانة والغلبة لدى الناس، واتبعوا أقوياءهم لينالوا العزة عندهم، فلن يجدوها، وسيهزمون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٩]، وهذا إنكار من الله عليهم بطلبهم النصر من غير حزبه، فهم المنتصرون المؤيدون من الله، فهو الناصر المعز، وهو العزيز عن العالمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦][3].

ولذلك فأي عمل يعمله أعداء الإسلام على وجه المكر والخديعة، كمكرهم بالنبي ﷺ عند نيته الهجرة، أو إظهارهم الرياء وبأنهم مطيعون لله، فكل هذه الأعمال، وإن انطلت خدعها على المؤمنين –وهي غير خافية عن الله ﷻ–، إلا أنها ستبطل، وكل مكرهم وخداعهم يفسد ولا ينفذ[4].

ثمار المنهجية السابقة:

1. العزة صفة من صفات الله وهي ملازمة له، والعزيز اسم من أسمائه، ومن ابتغى العزة، فعليه اتباع طريق الله القويم، والتزام أمره واجتناب نهيه، وهي مفخرة للعبد إذا نسبت عزته إلى العزيز ﷻ.
2. من يبتغي العزة باتباع الأمم الكافرة الظاهرة، والقوى المشركة العظمى، فهو يلهث وراء السراب، فعزتهم مؤقتة، ومصيرها إلى الزوال، وذلك لأنها هذه العزة منبعها ضعيف وهو القوة البشرية القاصرة، ولم تستند إلى القوة الكبرى التي تؤيد وتساند عزة البشر، وهي القوة الإلهية.

---

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (5/ 2931).

(2) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب (11/ 859).

(3) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية (184/2).

(4) التفسير المنير للزحيلي (237/22).

3. العزة في معناها لا تعني التكبر، وازدراء الناس واستصغارهم، ولكن العزة تتحق بالتواضع للبشر والرأفة بهم.

المنهجية الثالثة: كلما ازددت علمًا ازددت خشية لله ﷻ

كلما ازداد علم الإنسان، وتعمقه في معاني هذا الدين، ازداد فهماً لحقيقته، واكتشافاً لمكنوناته، لذلك فلا عجب أن نرى بأن أكثر الناس خشية لله ﷻ هم أكثر الناس علماً وفهماً. ومن المعروف في الآثار: "رأس العلم خشية الله". ومن المعروف أيضًا: كفى بخشية الله علماً، وبالاغترار به جهلاً. ويقال: أول كلمة في الزبور رأس الحكمة خشية الله[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]

المعنى الإجمالي:

فالذي لا يخشى الله ليس بعالمٍ ولو حمل أعلى المراتب العلمية الدنيوية، والعكس بالعكس، قال ابن عباس: إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني. وقال مجاهد والشعبي: العالم من خاف الله، وعن عبد الله بن مسعود قال: ليس العلم رواية الحديث ولكن العلم الخشية[2].

ونحن نعلم بأن النبي ﷺ هو الأكثر علماً بربه في البشرية، فهو الذي شُرِّف بالمعراج إلى السماوات العلى، لذلك فهو الأكثر خشية لله، وهذا ما ورد عنه إذ قال: "والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله"[3].

وخشية الله تعالى فهي امتلاء القلب بالله، وخشية عقابه، ورجاء ثوابه، وأن يكون ذاكراً لله، شكوراً لنعمه، راجياً قبول طاعته، ومن عرف الله صفا له العيش وطابت له الحياة وهابه كل شيء وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله واستوحش من الناس وأورثته المعرفة الحياء من الله والتعظيم له والإجلال والمراقبة والمحبة والتوكل عليه والإنابة إليه والرضا به والتسليم لأمره[4].

---

(1) تفسير القرآن للسمعاني (4/ 357).

(2) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن محمد الجوزي (3/ 510)، النكت والعيون للماوردي (471/4)، تفسير يحيى بن سلام (2/ 786).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، حديث رقم: 1110، (781/2).

(4) انظر: زهرة التفاسير لأبي زهرة (8/ 3933)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم (ص: 406).

وهناك فرق بين الخوف والخشية وإن كانا في اللغة بمعنى واحد؛ إلا أن بين خوف الله وخشيته وفي عرف أرباب القلوب فرقاً، وهو أن الخوف تألم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات، والتقصير في الطاعات، والخشية حالة تحصل عند الشعور بعظمة الخالق وهيبته وخوف الحجب عنه، وهذه حالة لا تحصل إلا لمن اطّلع على حال الكبرياء وذاق لذة القرب[1].

الذي عرف مقام ربه هو الذي يخشاه، علمٌ، وخشية، واستقامة، أمّا ضعف علم، وضعف خشية، وضعف استقامة، يعني انعدام علم، انعدام خشية، وانعدام استقامة، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠].

هذه قاعدة ذهبية في طريق الإيمان، كلما وجدتَ نفسَك تتفلَّت من منهج الله، أو تتساهل في تطبيق أمر الله، أو لا تبالي إذا كان هذا العملُ مشروعا أو غير مشروع، إن كنتَ لا سمح الله بهذه الحالة فاحكم على نفسك حكما قطعيا بأنّ خشيتك ضعيفة، لأن علمك بالله ضعيف، هذه حقيقة[2].

وفي صياغة هذه الآية صورة بيانية جمالية، من إعجاز القرآن، حيث أنه قد قُدِّم لفظ الجلالة، وذلك لبيان من هم الخاشون، وتخصيصهم بهذا الشرف، ولو أُخِّر المفعول كما هي العادة؛ لصار الغرض بيان المخشي من هو، ولم يجب أن تكون الخشية من الله مقصورة على العلماء[3].

ثمار المنهجية السابقة:

1. أعظم الناس خشية لله؛ النبي ﷺ، ثم أعلمهم بالله، وأكثرهم فقهاً وعلماً، وذلك لأنهم الأوفر حظاً لتوقير الله، وتعظيم شأنه، فهم أكثر الناس حباً لهم، وأكثرهم طلباً لرحمته، وإشفاقاً من عذابه، وبذلك يكون النبي ﷺ هو أكثر الناس خشية لله، فهو أعلمهم بالله.
2. تختلف درجات خشية العلماء لله كل حسب علمة وفقهه وفهمه، والذي لا يخشى الله ليس بعالم، حتى وإن كان يحمل علماً كثيرًا
3. الخوف والخشية غير مترادفان، فالخوف هو الخوف من العقاب للمذنبين، أما الخشية فهي استحضار عظمة المخشي، وتعظيم مكانه، وطلب رحمته وعفوه ورفقه.

---

(1) انظر: معجم الفروق اللغوية للعسكري (ص: 218).

(2) موقع موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية،
.http://www.nabulsi.com/blue/ar/print.php?art=3241

(3) دلائل الإعجاز للجرجاني (ص: 222).

المنهجية الرابعة: لا يحيق المكر السيء إلا بأهله

كل نفس تخطط وتعمل، وعادة الكفار والمشركين والمنافقين أن يخططوا ويعملوا لإضعاف الإسلام، ووأده إن استطاعوا، هذا شأنهم منذ بدء الدعوة وإلى يومنا الحاضر، ولكن من خلال قصص التاريخ، وأخبار القرآن، نجد أن هذه الفئة مهما فعلت من أجل تحقيق مآربها الدنيّة، إلا أنه دائماً ما يفشل تخطيطها وعملها، فمكرهم وخداعهم وتضليلهم، مهما بلغ من الدقة، ومهما بلغ دعمه المادي والمعوي، إلا أنه لن يضر المؤمنين ودعاة الإسلام، إلا شيئاً يسيراً، وفي الخاتمة تكون الغلبة للحق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٣]

المعنى الإجمالي:

الآية السابقة عامة، والأمور بعواقبها، والله تعالى يمهل ولا يهمل، ووراء الدنيا الآخرة، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، ومن مكر به غيره ونفّذ فيه المكر عاجلاً في الظاهر؛ ففي الحقيقة هو الفائز والماكر هو الهالك[1].

ونقل الزبيدي في التاج عن البصائر؛ أن المكر ضربان: محمود وهو ما يتحرى به أمر جميل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ومذموم وهو ما يتحرى به فعل ذميم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر: ٤٣][2].

ومكر السيء قام به كل من عادى الإسلام، من المشركين واليهود، فقد تآمر المشركون في مكة على قتل النبي ﷺ، وأعدّوا خطتهم، ولكن الله أعمى أبصارهم، وغشّى على قلوبهم، وكذلك فعل اليهود حين ذهب إليهم النبي ﷺ طالباً دية اثنين قتلوهم، فخطّطوا لإلقاء الرحى عليه وهو جالس، لولا ان أخبره جبريل عليه السلام بخطتهم، وفي كلتا الحالتين فقد حاق المكر السيء بالمخططين والمنفذين له، وكان النصر لرسول الله ودعوته[3].

وهذه الآية متعلقة بما قبلها، حيث أن المشركون أقسموا جهد أيمانهم بأنهم سيكونون أكثر إيماناً من أهل الكتاب، ولكن بشرط أن يُرسل منهم رسول، فلما أرسل الله ﷻ محمداً ﷺ إليهم، نكثوا أيمانهم، وتولوا عن الإيمان به، وجحدوا دعوته، وكل ذلك استكباراً منهم عن اتباع

---

(1) روح المعاني للألوسي (11/ 378).

(2) حاشية دلائل النبوة للبيهقي (2/ 469).

(3) سبل الهدى والرشاد للشامي (130/3).

النبي ﷺ، وبيّتوا رغباتهم بالكيد له ولمن يتبعه، فلذلك جاء القرآن منددا ومنذراً، بأنهم مهما فعلوا فالحق منتصر، والله مؤيد دعوته ورسله[1].

وأصحاب المكر السيئ يُقدمون على مكرهم من أجل أن يحققوا مصالحهم المادية، ويحصلوا على العلوّ في الدنيا، لكن الله تعالى قضى عليهم بالخسران المبين، وبالمكانة السفلى في الدنيا والآخرة، فقد مكروا لإبراهيم عليه السلام، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [الصافات: ٩٨]، وهم يمكرون أيضًا من أجل أن يدمروا منافسيهم، لكن الله تعالى قضى بأن يرفع أولياءه الذين يتعرضون للمكر السيئ[2].

وفي فاصلة الآية؛ لأن الكفرة يعتقدون جازمين بأنهم لا يتغيرون عن حالهم وأن المؤمنين لا يظهرون عليهم، أخبرهم بأن سنة الله ﷻ في الأرض لا تتبدل، فسنته إهلاك العاصين وإنجاء الطائعين، ولن يكون في هذه الأرض من يستطيع تبديل سنة الله، كونه لا يوجد مكافئ لله ﷻ، وفي الآية أن أكثر حديث النفس الكذب، فلا ينبغي لأحد أن يظن بنفسه خيراً ولا أن يقضي على غائب إلا أن يعلقه بالمشيئة، تبرؤا من الحول والقوة لعل الله يسلمه في عاقبته[3].

ثمار المنهجية السابقة:

1. كل الأعمال، والخطط، عظيمها وصغيرها، نجاحها وتنفيذها مرهون بمشيئة الله ﷻ، ولا يستطيع أي بشر مهما بلغ من الفهم القوة والملك، ان ينفذ ما يصبو إليه دون ان توافق هذه الرغبة مشيئة الله في تحقيقها.
2. الكافرون والمشركون والمنافقون على مر الزمان هم أعداء دعوة الحق، ويبذلون أقصى جهودهم وأعظم قوتهم لإنهائها وطمسها، ويستعينون في ذلك بكل القوى المحيطة بهم، وهدفهم الأسمى السمو والرفعة وتحقيق المآرب الشخصية.
3. التخطيط الماكر، والكيد الدفين الذي يسرّه أعداء الإسلام للإسلام، لم يهلك إلا أصحابه، ولن يأتي بالضرر على الإسلام ودعوته إلا بما شاء الله، وستكون الغلبة دائماً للحق، وسيتحقق الوعد الإلهي ببلوغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، ولذلك يجب على الأمة الإسلامية أن تتحد وتعمل وفق المنهج الرباني حتى تعود إلى سابق مجدها وسالف عزها.

---

(1) انظر: التفسير الحديث (132/3).

(2) مقال المكر السيء، د. خالد الخالدي، مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني.

(3) نظم الدرر للبقاعي (16/ 76).

4. الاستكبار هو المعنى الأكبر للمكر السيء، لأنهم باستكبارهم عن طريق الحق منعوا الضعفاء والآخرون عن اتباع طريق الحق والهدى.

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله، الهادي البشير والسراج المنير، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنني بوصولي لكتابة هذه السطور، أكون قد أنهيت بحثي حول (منهجيات الإصلاح والتغيير في سور الأحزاب وسبأ وفاطر – دراسة موضوعية)، الذي حرصت فيه على البحث عن أساليب الإصلاح وطرق التغيير، كما رسمها لنا القرآن الكريم، فما كان صواباً منه فذلك فضل الله ومنه وحده، وما فيه من زلل أو خطأ أو نسيان فمن نفسي والشيطان.

ومن خلال الدراسة السابقة للسور الثلاث (الأحزاب، سبأ، وفاطر)، والوقوف على ما فيها من منهجيات للإصلاح والتغيير، خرج الباحث بالنتائج والتوصيات التالية:

أولاً: النتائج

1. إن دين الإسلام، وكتاب الله ﷻ، هو دين هداية، وكتاب إصلاح، والهدف هو إنقاذ البشرية، وإخراجهم من الضلال والظلمات إلى النور، وبهما سادت الأمم وقادت الحضارات، ولا عودة إلى ذلك المجد التليد، والماضي الحسن، إلا بالعودة إليهما، والنهل من المعين الرباني.
2. إن هدف القرآن الكريم بإصلاح الأمة يبدأ من إصلاح الفرد، الذي هو نواة الأسرة، وبه تصلح أسرته، التي هي جزء من مجتمع، بها يصلح هذا المجتمع، وبه تتحقق الدولة المسلمة، ثم أستاذية العالم، فهي مهمة متكاملة، ومترابطة، لكل عنصر فيها عظيم الفائدة.
3. إن القيام بعملية الإصلاح والتغيير، وخاصة إذا ما تعلقت بتغيير المبادئ والعقائد، فإنها عملية صعبة وتحتاج إلى صبر وجَلَد للوصول إلى النتائج المرجوة منها، إن الإصلاح لا يقتصر على جانب محدد، ولكنه يطال جميع جوانب الحياة البشرية العقدية منها، والسياسية، والتشريعية، والدعوية، وغيرها.
4. الأمة الإسلامية بحاجة ماسة اليوم إلى إصلاح ما أصابها من خلل وفساد، وتغيير مناهج وضعية، وكافرة، وذلك بالرجوع إلى منهجيات الإصلاح والتغيير الإسلامية النابعة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

5. أمة الإسلام هي خير الأمم، ورسولها هو أفضل الأنبياء والمرسلين، ومحبة الله ﷻ، لهذا النبي وهذه الأمة، تقتضي توجيهه وأمته إلى الطريق القويم الذي فيه الخير والصلاح لها في الدنيا والآخرة.
6. العقيدة الإسلامية واحدة، ومنهجها واحد، والإيمان بالله يستوجب تقواه وطاعته، وطاعة الأنبياء والتزام طريقهم
7. إيمان الفرد لا يكتمل إلا بترابط جميع أركانه؛ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.
8. إن الله سبحانه وتعالى ينصر المؤمنين على أعدائهم، حتى وان تداعت عليهم الأمم، وتكالبت عليهم القوى الشيطانية العالمية، وكل مكر هذه الأمم وتدبيرها لأمة الإسلام سينقلب عليهم وبالاً.
9. إن الله متصف بكل صفات الكمال، وله العلم والقدرة المطلقين، وهو المتفرد بالكبرياء والعزة، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه، وهو الرازق والهادي.
10. الدنيا هي دار العمل بلا حساب، والبشر كلهم من لدن آدم وإلى قيام الساعة سيُحشرون يوم القيامة الذي هو يوم الحساب بلا عمل، فمن أحسن فلنفسه، ومن أساء فعلى نفسه.
11. إن كل ما خلق الله ﷻ فله وظيفته الموكل إليها، فالملائكة لها وظيفتها، والبشر لهم وظيفتهم، وحتى الحيوان والنبات له وظيفته.
12. فضل النبي ﷺ عظيم، وقد امتدحه القرآن في أكثر من موطن، وتوعد القرآن من يؤذونه بالعذاب المهين في الدنيا والآخرة، فهو النبي المرسل لكافة الأمم في كافة الأزمان.
13. إن الإسلام نظّم جميع المعاملات بين الناس في شتى مناحي الحياة؛ كالزواج والطلاق، والتكافل الاجتماعي وغيرها.
14. إن طاعة الله تعالى، توجب على المؤمن طاعة الأمراء الذين يسيرون في الطريق الحق، وإلا فالسنة الربانية بالاستبدال ستسري بحق من يخالف ذلك.
15. أن الله ﷻ اصطفى الإنسان ليحمل الأمانة المتعلقة بتكاليف الله وأوامره، وهذا التكليف لما يتميز به الإنسان من العقل والفهم.
16. إن الله ﷻ أرسل المرسلين لهداية أقوامهم، ومهمتهم تنتهي بالتبليغ، وأما الضلال والهدى فبيد الله عز وجل، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ورحمته وسعت كل شيء.

17. الإسلام جاء لحفظ المجتمعات من العادات والظواهر الفاسدة، التي كانت منتشرة في المجتمعات السابقة، ودعوة الإسلام لذلك متجددة في عصر، فهو يدعو إلى حفظ الدين والنفس والولد والمال.
18. لقد اهتم الإسلام بالعدل بين الناس في كل الأحوال، وهذا العدل ليس دنيوياً فقط، وإنما في الآخرة وعند الحساب أيضًا.
19. إن ما صنعته الأمم السابقة من تكبر عن دعوة الله، وإيذاء لأنبياء وأولياء الله، هو سبب هلاكهم، والإنسان العاقل يتعظ بمن قبله، خشية لحاق العذاب به وإهلاكه.
20. كلما ازداد الإنسان علماً وفهماً لهذا الدين، وحقائق الدنيا ونظرياتها، يزداد خشية لله، الذي هو خالق كل شيء ومبدعه، ولذلك فأعظم الناس خشية لله النبي ﷺ، ثم العلماء.

ثانيًا: التوصيات

1. ضرورة العمل لإصلاح الأمة وتغيير واقعها، واتباع التدرج الصحيح في ذلك، بتربية الفرد، فإصلاح الأسرة فالمجتمع فالدولة ومن ثم نعود لسابق عهدنا وتسمو من جديد أمتنا تحت راية الخلافة، وذلك باستخدام الأسلوب الأمثل لذلك.
2. القرآن الكريم مصدر عزة المسلمين وكرامتهم وخاتم الكتب السماوية وهو كتاب عظيم فيه صلاح للأمة وفلاحها وسبيلها إلى التقدم والرقي والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجدها تدور حول العبادات والعقائد والمعاملات والتشريعات والأخلاق لذلك أوصي بالمحافظة والاستمرار على متابعة القرآن الكريم.
3. على الدعاة أن ينشروا العلم بين الناس حتى يتحقق تعظيم الله، والإيمان بربوبيته ووحدانيته، لأن ذلك يورث نصراً وعزاً مؤيداً منه.
4. دعوة إلى العلماء وطلاب العلم الشرعي، للبحث في القرآن الكريم ومكنوناته، فعمله غزير، وحقائقه أكثر من أن يحصيها باحث، أو أن يجملها عالم.
5. وختماً، فأُوصي بتقوى الله العظيم، ولزوم طاعته، والابتعاد عن المعاصي ومخالفة أمره، واتخاذه إلهاً واحداً لا شريك له، وترك الهوى والبدع، وعدم الخضوع لوساوس الشيطان وتزيينه للسيء.

والله تعالى أسأل أن يتقبل مني هذا العمل، خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزق كاتبه وقارئه عظيم الأجر، وأن ينفعنا بالقرآن الكريم، ويجمعنا في زمرة أهله، وأن يهدينا الإيمان العميق الصادق، والعلم الغزير النافع، والعمل الصالح المخلَص.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

ملخص الرسالة

تم بحمد الله ختم هذه الرسالة والتي كانت بعنوان: **منهجيات الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم من خلال سور الأحزاب وسبأ وفاطر (دراسة موضوعية)**، حيث قُسِّمت الرسالة إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس.

التمهيد اشتمل على تعريف المنهج لغةً واصطلاحاً والفرق بين الشرعة والمنهاج، وتعريف الإصلاح لغةً واصطلاحاً وأهمية وقواعد ومجالات وثمار الإصلاح، وتعريف التغيير لغةً واصطلاحاً وفقه ووسائل التغيير.

والفصول الثلاثة تم دراسة السور محل البحث وهي: الأحزاب، سبأ، وفاطر، وقسم الباحث كل فصل منها إلى مبحثين؛ الأول: قُسِّم إلى مطلبين الأول منهما تحدث بمقدمة عن السورة اشتملت على محور السورة، تسمية السورة، عدد آيات السورة وترتيبها ونوعها، أهداف السورة وموضوعاتها، وفي الأحزاب أُضيف إليها أسباب نزول السورة، والثاني تحدث عن المناسبات في السورة، بينها وبين السابقة واللاحقة، ومناسبة الفاتحة للخاتمة، ومناسبة محور السورة الأساسي لفاتحة وخاتمة السورة.

أما المبحث الثاني؛ فتحدث عن منهجيات الإصلاح والتغيير في السور، وقد تم تناول هذه المنهجيات من خلال أربعة مطالب: المطلب الأول: في الجانب العقدي، المطلب الثاني: في الجانب التربوي والأخلاقي، المطلب الثالث: في الجانب التشريعي والسياسي، والمطلب الرابع: في الجانب الدعوي.

وختم الباحثُ الرسالةَ بخاتمة بيَّن فيها أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث، والتوصيات النابعة من الدراسة، ثم قام بإعداد الفهارس العلمية التي تخدم البحث، والتي تضمنت: قائمة المصادر والمراجع، فهرس الآيات القرآنية، فهرس الأحاديث النبوية، فهرس الأعلام المترجم لهم، وفهرس المحتويات الذي يُسهل الوصول لموضوعات الرسالة. وتم تقديم ملخص للرسالة باللغتين العربية والإنجليزية.

Abstarct

This study shed light on the Methods of reformation and modification in the Holy Quran through Al-Ahzab, Saba'a and Fater suras (Objective study); the study divided into introduction, preface, three chapters, conclusionand appendixes. The preface included the definition of the method and the difference between legislation and method. In addition it involved definition, importance rules, domains and outcomes of reformation. Moreover, the preface contained definition, methods and perception of modification. In the three chapters the suras mentioned above were the center of the research. The researcher divided each chapter into two fields, the first one was divided into two subjects. The first subject was an introduction which indicated the sura's heart, naming, arrangement, kind and verse's number; it also showed purposes and themes whereas the creation reasons was added into Al-Ahzab. The second subject indicated the properness between each sura and the previous and the next ones, the properness of the onset for the end and properness of sura's basic heart for introduction and conclusion. The second field of each chapter indicated the methods of reformation and modification in suras through four themes; the first one was about the doctrinal aspect, the second was about ethical and pedagogical aspect. Political and legal aspect were the third aspect, and the fourth was about the mission aspect. Finally, the researcher finished his study with the conclusion which clarified the most important results and recommendation he reach through this paper. Then he prepared the scientific appendixes of Qur'an vrses, appendix of phatic hadith. Appendix of prominent outlines and indredients appendix which facilitate arrival to the study subjects. The abstract of the paper was presented in Arabic and English Languages.

قائمة المصادر والمراجع

1. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، الطبعة الأولى، رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد – السعودية، 1986م – 1407هـ.

2. الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، حياة بن محمد بن جبريل، الطبعة الأولى، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، 2002م – 1423هـ.

3. الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، عبد الرحمن بن محمد الدوسري، الطبعة الأولى، مكتبة دار الأرقم – الكويت، 1982م – 1402هـ.

4. أحكام القرآن، أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي، تحقيق: محمد القمحاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1405هـ.

5. الأحكام السلطانية، علي بن محمد الماوردي، دار الحديث – القاهرة.

6. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة – بيروت.

7. أخبار أصبهان، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق: سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1990م – 1410هـ.

8. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

9. أركان الإيمان، علي بن نايف الشحود، الطبعة الرابعة، 2010م – 1431هـ.

10. أسباب نزول القرآن، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الطبعة الثانية، دار الإصلاح – الدمام، 1992م – 1412هـ.

11. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار الجيل – بيروت، 1992م – 1412هـ.

12. أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن محمد الشيباني الجزري، تحقيق: على محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1994م – 1415هـ.

13. أسرار ترتيب القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

14. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1415هـ.

15. إصلاح الأمة في ضوء الكتاب والسنة، نصار أسعد نصار، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، الجزء 23، العدد 1، 2007م.

16. أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي "نظريات في فقه الدعوة الإسلامية، محمد أحمد الراشد، دار المحراب.

17. أصول الدين، أحمد بن محمد الغزنوي، تحقيق: د. عمر وفيق الداعوق، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية – بيروت، 1998م – 1419هـ.

18. أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود بن عبد العزيز الخلف، 1420هـ – 1421هـ.

19. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، 1995م – 1415هـ.

20. الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، الطبعة الخامسة عشر، دار العلم للملايين، 2002م.

21. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة العارف – الرياض.

22. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، تحيقي: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1418هـ.

23. أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، الطبعة السادسة، المطبعة والمكتبة المصرية، 1964م – 1383هـ.

24. آيات عتاب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في ضوء العصمة والاجتهاد، د. عويد بن عيَّاد بن عايد المطرَفي، الطبعة الثالثة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة، 2005م – 1426هـ.

25. إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبي الحسن النيسابوري، تحقيق: د. حنيف بن حسن القاسمي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي – بيروت، 1415هـ.

26. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، الطبعة الخامسة، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، 2003م – 1424هـ.

27. بحر العلوم، أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي.

28. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، د. حسن عباس زكي – القاهرة، 1419هـ.

29. البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، 1990م – 1420هـ.

30. تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، د. فتحية النبراوي، الطبعة الثالثة، دار السعودية للنشر والتوزيع، 1985م – 1405هـ.

31. التأصيل الشرعي للمظاهرات السلمية أو الثورات الشعبية ما يجوز منها وما لا يجوز مع مناقشة الأدلة، على محي الدين القرة داغي.

32. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، مجموعة من المحققين، دار الهداية.

33. تاج اللغة وصحاح العربية، أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين – بيروت، 1987م – 1407هـ.

34. تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 2005م – 1426هـ.

35. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م.

36. تزكية النفوس، أحمد فريد، دار العقيدة للتراث – الإسكندرية، 1993م – 1413هـ.

37. التسهيل لعلوم التنزيل، أبي القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الطبعة الأولى، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، 1416هـ.

38. التعريفات، علي محمد علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأنباري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي – بيروت، 1405هـ.

39. التغيير في حياة الأمم وعوامل الثبات والاهتزاز، احمد العسال، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء – السعودية، العدد 8، 1404هـ–1983م.

40. تفسير أحمد بن مصطفى المراغي، الطبعة الأولى، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي – مصر، 1946م – 1365هـ.

41. تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس، تحقيق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، 2002م.

42. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلى – جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى، دار الحديث – القاهرة.

43. التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، 1383هـ.

44. تفسير سهل بن عبد الله التستري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1423هـ.

45. تفسير القرآن، منصور بن محمد المروزي السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم – غنيم بن عباس، الطبعة الأولى، دار الوطن – الرياض، 1997م – 1418هـ.

46. تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

47. تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين محمد بن عبد الله الإلبيري، تحقيق: حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الطبعة الأولى، مكتبة الفاروق الحديثة – القاهرة، 2002م – 1423هـ.

48. تفسير القرآن العظيم، أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الطبعة الثالثة، مكتبة نزار مصطفى الباز – السعودية، 1419هـ.

49. تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999م – 1420هـ.

50. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة.

51. تفسير مجاهد بن جبر القرشي المخزومي، تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل، الطبعة الأولى، دار الفكر الإسلامي الحديثة – القاهرة، 1989م – 1410هـ.

52. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الطبعة الثانية، دار الفكر المعاصر – دمشق، 1418هـ.

53. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مجموعة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف أ.د. مصطفى مسلم، الطبعة الأولى، جامعة الشارقة، 2010م – 1431هـ.

54. التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، الطبعة العاشرة، دار الجيل الجديد – بيروت، 1413هـ.

55. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الطبعة الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، 1997م.

56. التفسير الوسيط، د. وهبة الزحيلي، الطبعة الأولى، دار الفكر – دمشق، 1422هـ.

57. تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، ابن خمير علي بن أحمد السبتي، تحقيق: محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر – لبنان، 1990م – 1411هـ.

58. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، دار الكتب العلمية – بيروت.

59. تهذيب الأسماء واللغات، محي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلمية – بيروت.

60. التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد، الطبعة الثالثة، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، 1988م – 1408هـ.

61. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي – بيروت، دمشق، 2002م – 1423هـ.

62. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، دار السلام للنشر – الرياض.

63. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة – بيروت، 2000م – 1420هـ.

64. الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني – إبراهيم اطفيش، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1964م – 1384هـ.

65. جامع المسائل، تقسي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد عزيز شمس، الطبعة الأولى، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة المكرمة، 1422هـ.

66. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، تحيقي: محمد علي معوض – عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1418هـ.

67. الجواهر المضية، محمد بن عبد الوهاب النجدي، الطبعة الأولى، دار العاصمة – الرياض، 1349.

68. حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، تقديم مالك بن نبي، الطبعة الرابعة، دار الثقافة للجميع، 1978م – 1398هـ.

69. الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق، تقي الدين بن عبد القادر الهلالي، الطبعة الأولى، دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع – الشارقة، 1994م – 1415هـ.

70. الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، الطبعة الأولى، دار القلم – دمشق، 1998م – 1418هـ.

71. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار السعادة – مصر، 1974م – 1394هـ.

72. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية/ دار البشائر – حلب / بيروت، الطبعة الخامسة، 1416هـ.

73. الخواطر "تفسير الشعراوي"، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، 1997م.

74. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت.

75. دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية، أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله الحصين، الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1999م – 1420هـ.

76. دعوة الرسل عليهم السلام، أحمد غلوش، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، 2002م – 1423هـ.

77. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: ياسين الأيوبي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية.

78. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أبو بكر البيهقي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1405هـ.

79. دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ، شحاتة محمد صقر، دار الفرقان للتراث – البحيرة.

80. الذريعة إلى مكارم الشريعة، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام – القاهرة، 2007م – 1428هـ.

81. الرسائل الشخصية، محمد بن عبد الوهاب النجدي، تحقيق: صالح الفوزان – محمد العيلقي، جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض.

82. رسالة في أسس العقيدة، محمد بن عودة السعوي، الطبعة الأولى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية، 1425هـ.

83. روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، الطبعة الثالثة، مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت، 1980م – 1400هـ.

84. الروح، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت.

85. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي الخلوتي، دار الفكر – بيروت.

86. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: على عبد الباري عطية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1415هـ.

87. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، أبو حاتم محمد بن حبان الدارمي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت.

88. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، 1983م – 1403هـ.

89. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: عبد الرازق المهدي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي – بيروت، 1422هـ.

90. الزهد، هنّاد بن السّري، الدارمي الكوفي، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، الطبعة الأولى، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، 1306هـ.

91. زهرة التفاسير، أبو زهرة محمد بن أحمد، دار الفكر العربي – القاهرة.

92. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الشامي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1993م – 1414هـ.

93. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، 1995م – 1415هـ.

94. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، دار المعارف – الرياض، 1992م – 1412هـ.

95. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

96. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية – صيدا بيروت.

97. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر – محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، 1975م – 1395هـ.

98. سورة الكهف: منهجيات في الإصلاح والتغيير؛ دراسة تأصيلية تطبيقية، د. صلاح الدين سلطان، الطبعة الأولى، دار سلطان للنشر – القاهرة، 2008.

99. السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها، يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة – القاهرة، 1998م – 1419هـ.

100. شرح صحيح مسلم، محي الدين بن شرف، الطبعة الأولى، المطبعة المصرية، 1929م – 1347هـ.

101. صحيح البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة، 1422هـ.

102. صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت.

103. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

104. الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل بن هادي الوادعي، الطبعة الرابعة، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، 1987م – 1408هـ.

105. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الطبعة الأولى، دار العاصمة – الرياض، 1408هـ.

106. ضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي – بيروت، 1991م – 1411هـ.

107. طبقات الشافعية، تقي الدين ابن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، الطبعة الأولى، عالم الكتب – بيروت، 1407هـ.

108. طرق تدريس التربية الإسلامية نماذج لإعداد دروسها، د.عبد الرشيد عبد العزيز سالم، الطبعة الثالثة، وكالة المطبوعات، 1982م – 1402هـ.

109. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية، الطبعة الثالثة، جار ابن كثير – دمشق، مكتبة دار التراث – المدينة المنورة، 1989م – 1409هـ.

110. العصبةُ المؤمنة بين عناية الرحمن ومكر الشيطان، علي بن نايف الشحود، الطبعة الأولى، 2010م – 1431هـ.

111. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد الغيتابي الحنفي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

112. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1416هـ.

113. الفائق في غريب الحديث والأثر، أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تحقيق: على محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعرفة – لبنان.

114. فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، 1992م – 1412هـ.

115. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، الطبعة الأولى، دار ابن كثير – دمشق، دار الكلم الطيب – بيروت، 1414هـ.

116. فتح القدير، محمد بن عبد الواحد السيواسي، دار الفكر.

117. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن التميمي، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة السابعة، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة، 1957م – 1377هـ.

118. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، الطبعة الأولى، دار ركابي للنشر – مصر، 1999م – 1419هـ.

119. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم الشاربي، الطبعة السابعة عشر، دار الشروق – القاهرة، 1412هـ.

120. في نظريات التغيير، منير شفيق، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 1994م – 1415هـ.

121. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، صديق حسن خان القنّوجي، الطبعة الأولى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية، 1421هـ.

122. القيامة الكبرى، عمر بن سليمان الأشقر، الطبعة السادسة، دار النفائس للنشر والتوزيع – عمان، 1995م – 1415هـ.

123. كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، الطبعة الأولى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية، 1421هـ.

124. كتاب العين، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي – د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

125. الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي – بيروت، 1407هـ.

126. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 2002م – 1422هـ.

127. الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

128. كيف تكون من الأوائل، محمد بن حامد بن عبد الوهاب، الطبعة الأولى، دار طويق للنشر والتوزيع – الرياض، 2002م – 1423هـ.

129. اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة للزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار الكتب العلمية – بيروت.

130. لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد الخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1415هـ.

131. اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1998م – 1419هـ.

132. لسان العرب، جمال الدين بن منظور، الطبعة الثالثة، دار صادر – بيروت، 1414هـ.

133. لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

134. متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا، سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، الطبعة الأولى، 1997م – 1418هـ.

135. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، تحقيق: أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1995م – 1416هـ.

136. مجمل اللغة، أحمد بن فارس القزويني الرازي، تحقيق: زهير سلطان، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1986م – 1406هـ.

137. مجموع الفتاوي، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1995م – 1416هـ.

138. محاسن التأويل، جمال الدين بن محمد الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1418هـ.

139. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1422هـ.

140. المحكم والمحيط الأعظم، أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 2000م، 1421هـ.

141. مختار الصحاح، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الطبعة الخامسة، المكتبة العصرية –بيروت، 1999م – 1420هـ.

142. مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، الطبعة السابعة، دار القرآن الكريم – بيروت، 1981م – 1402هـ.

143. المخصص، أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1996م – 1417هـ.

144. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي – بيروت، 1996م – 1416هـ.

145. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، الطبعة الأولى، دار الكلم الطيب – بيروت، 1998م – 1419هـ.

146. المستدرك على الصحيحين، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1990م – 1411هـ.

147. مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد وآخرون، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة – بيروت، 2001م – 1421هـ.

148. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان الدارمي، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، 1991م – 1411هـ.

149. مشكاة المصابيح، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي – بيروت، 1985م.

150. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف – الرياض، 1987م – 1408هـ.

151. معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1420هـ.

152. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج، الطبعة الأولى، عالم الكتب – بيروت، 1988م – 1408هـ.

153. معرفة الصحابة، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق: عادي بن يوسف العزازي، الطبعة الأولى، دار الوطن للنشر – الرياض، 1998م – 1419هـ.

154. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، الطبعة الثانية، دار صادر – بيروت، 1995م.

155. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: بيت الله بيات، الطبعة الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي – قُم، 1412هـ.

156. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة.

157. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م – 1399هـ.

158. مفاتيح الغيب، أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1420هـ.

159. المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني)، تحقيق: صفوان الداودي، الطبعة الأولى، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، 1412هـ.

160. مفرق الطريق في القرآن الكريم، على بن نايف الشحود، الطبعة الأولى، 2010م – 1431هـ.

161. المفيد في مهمات التوحيد، الدكتور عبد القادر صوفي، الطبعة الأولى، دار الإعلام، 1422هـ.

162. مقال المكر السيء، د. خالد الخالدي، مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني.

163. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: بسام الجابي، الطبعة الأولى، الجفان والجابي – قبرص، 1987م –1407هـ.

164. من فقه الدولة في الإسلام، يوسف القرضاوي، الطبعة الثانية، دار الشروق – القاهرة، 2001م – 1422هـ.

165. مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، علي أحمد مدكور، دار الفكر العربي، 2001م – 1421هـ.

166. المنتخب في تفسير القرآن الكريم، نخبة من علماء الأزهر، الطبعة الثامنة عشر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، 1995م – 1416هـ.

167. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب.

168. منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، د. حمود الرحيلي، الطبعة الأولى، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، 2004م – 1424هـ.

169. منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد محمود متولي، الطبعة الأولى، دار ماجد عسيري، 2004م – 1425هـ.

170. منهجيات في الإصلاح والتغيير في ضوء سورة عبس، رسالة ماجستير غير منشورة، الطالبة: ابتسام ديب سمور، الجامعة الإسلامية – غزة، 2011.

171. موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري، بيت الأفكار الدولية.

172. الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، مؤسسة سجل العرب، 1405هـ.

173. الموسوعة القرآنية خصائص السور، جعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز التويجري، الطبعة الأولى، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، 1420هـ.

174. موضوعات صالحة للخطب والوعظ، محمد بن عبد الرحمن العاصمي الحنبلي.

175. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صالح بن عبد الله بن حميد، الطبعة الرابعة، دار الوسيلة للنشر والتوزيع – جدة.

176. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، تحقيق: عبد الرازق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت، 1995م – 1415هـ.

177. النكت والعيون، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت.

178. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مكي بن أبي طالب، تحقيق: مجموعة طلاب ماجستير بإشراف أ.د. الشاهد البوشيخي، الطبعة الأولى، جامعة الشارقة، 2008م – 1429هـ.

179. الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط – تركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، 2000م – 1420هـ.

180. الوافي معجم وسيط اللغة العربية، الشيخ عبد الله البستاني، مكتبة لبنان، 1980م.

مواقع الإنترنت:

181. الإصلاح في القرآن الكريم، الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ عز الدين رمضاني الجزائري، تاريخ نشر المقال: السبت؛ 19 ديسمبر 2009م، azeddin.ramdhani.com.

182. حسن البنا، تاريخ المقال: 16 يوليو 2007 موقع قصة الإسلام islamstory.com.

183. حكم المظاهرات السلمية– الشريف حاتم العوني، موقع قصة الإسلام www.islamstory.com. تاريخ المقال: الأربعاء؛ 9 فبراير 2011.

184. شرح صحيح مسلم، حسن أبو الأشبال، موقع الشبكة الإسلامية islamweb.net.

185. موقع دار الإفتاء المصرية
.http://www.dar-alifta.org/ViewFatwa.aspx?ID=458

186. موقع موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، www.nabulsi.com.

الفهارس

* فهرس الآيات القرآنية
* فهرس الأحاديث النبوية
* فهرس الأعلام المترجم لهم
* فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية(*)

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة البقرة		
1	وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ	251	15
2	أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ	214	55 – 133
3	وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ	228	75
4	لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ	236	75
5	مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ	254	113
6	مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ	255	114
7	مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ	261	119
8	بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ	117	153
9	وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ	30	167–168
	سورة آل عمران		
10	وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ	103	1
11	وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ	159	11
12	كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ	110	113–18
13	وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ	103	38
14	وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ	81	87
15	وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ	133	120
16	ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ	134	138

(*) تم ترتيب السور حسب ترتيبها في المصحف، أما الآيات فتم ترتيبها حسب ورودها في الرسالة.

17	وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ	135	171
18	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ	159	172
19	قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ	31	173
20	وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ	54	177
سورة النساء			
21	وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ	119	20
22	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ	65	52
23	إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا	58	61
24	فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ	3	77
25	فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ	103	94
26	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ	59	123
27	إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ	97	143
28	وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا	28	147
29	ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ	139	174
سورة المائدة			
30	لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ	48	11-10
31	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ	6	12
32	إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ	33	51-44
33	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ	1	57
34	وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ	64	98
35	إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ	73	98
36	فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ	56	174
سورة الأنعام			

37	مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ	38	78
38	وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ	116	129
39	أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ	122	161
سورة الأعراف			
40	وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ	170	15
41	إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ	128	45
42	يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا	187	49
43	ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا	43	128
44	لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا	179	161
45	وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ	156	171
سورة الأنفال			
46	وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ	60	17
47	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا	15	17
48	ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ	53	21
49	إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ	9	134
50	وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ	39	141
سورة التوبة			
51	وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ	105	37
52	قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا	51	38
53	لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ	128	96
54	خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا	103	120
سورة يونس			
55	ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ	52	41

56	ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ	14	60
57	دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ	10	95
58	وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ	53	108
سورة هود			
59	هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا	61	60
60	وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ	50	128
سورة يوسف			
61	وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ	82	99
61	وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ	103	129
63	وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ	106	140
64	وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ	64	170
سورة الرعد			
65	إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ	11	19-22-126
66	وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ	23	95
67	سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ	24	95
68	كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ	30	165
سورة إبراهيم			
69	وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ	7	117-125
70	وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ	34	117
71	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ	5	165
سورة الحجر			
72	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ	9	162
سورة النحل			

73	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا	36	17
74	ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ	125	47
75	يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا	83	141
76	وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم	61	156
سورة الإسراء			
77	وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ	81	134
78	فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا	103	134
79	وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ	111	140
80	وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ	44	142
سورة الكهف			
81	مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ	17	115
82	فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ	29	129
83	وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ	58	157
سورة مريم			
84	وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا	81	173
سورة طه			
85	وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا	124	42
سورة الأنبياء			
86	وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ	107	113– 128
87	وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ	28	114
88	بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ	18	133
89	لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا	22	140– 155
سورة الحج			

90	وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ	40	134
سورة المؤمنون			
91	ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ	28	108
92	أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ	115	146
سورة النور			
93	وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ	31	83
94	وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ	55	168
95	وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	31	171
سورة الفرقان			
96	ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ	17	111
سورة الشعراء			
97	نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ	193	143
98	عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ	194	143
99	بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ	195	143
سورة العنكبوت			
100	وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ	13	149
101	أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ	2	167
سورة الروم			
102	فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ	30	20
103	وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ	47	133–51
سورة لقمان			
104	إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ	34	50
105	وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ	25	140
106	هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ	11	154

	سورة السجدة		
107	فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ	17	105−42
	سورة الأحزاب		
108	ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ	5	−65−28 85−76
109	مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ	23	57−28
110	إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ	35	29
111	فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا	37	−66−29 77
112	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ	1	−32−30 47
113	لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ	73	−62−31 103
114	مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ	2	34
115	وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا	3	35
116	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ	9	37
117	لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ	21	39
118	لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ	24	40
119	لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ	15	102−41
120	وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ	26	44−43
121	وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ	27	43
122	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا	45	47−46
123	وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا	46	46
124	وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا	47	46
125	وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ	48	−47−46 48

126	إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا	64	51
127	خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا	65	51
128	ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ	6	54–52
129	وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ	36	52
130	وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ	22	55
131	مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ	38	59
132	إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ	72	61
133	وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ	4	65–63
134	مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ	40	67
135	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ	28	68
136	وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ	29	68
137	لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ	52	69
138	يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ	30	70
139	وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا	31	71
140	يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ	32	71
141	وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ	33	72
142	وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ	34	74
143	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ	49	75
144	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ	50	77
145	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ	53	80–79
146	لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ	55	80
147	إِن تُبۡدُواْ شَيۡـٔٗا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا	54	80

148	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ	59	82
149	وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ	7	86
150	لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ	8	86
151	وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ	12	88
152	وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ	13	89
153	قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ	16	90
154	قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا	17	91
155	مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلًا	61	92
156	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا	41	94
157	وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا	42	94
158	هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ	43	94
159	إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ	56	97
160	إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ	57	98
161	وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ	58	99
سورة سبأ			
162	لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ وَرَبٌّ وَٱشۡكُرُواْۖ جَنَّتَانِ	15	101– 144
163	ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ	1	103– 105
164	وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ	54	104
165	يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا	2	103– 106
166	وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ	3	108– 109
167	لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ	4	109

168	وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ	5	109
169	وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ	23	113
170	قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ	24	115
171	وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ	29	110
172	وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ	33	131
173	وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ	40	132
174	فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا	42	133
175	ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ	13	117– 118– 124
176	قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ	39	119
177	وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ	12	122
178	فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ	16	125
179	وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا	28	128
180	قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ	46	130
181	قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ	48	133
182	قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ	49	133– 134
183	قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ	22	154
سورة فاطر			
184	ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ	34	138– 140– 142
185	ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ	35	116– 167

186	ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	1	161- 164- 166
187	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا	5	145
188	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ	15	146
189	إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ	16	147
190	وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ	18	148- 150- 151
191	جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ	33	151
192	وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ	36	151
193	وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا	37	151
194	قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ	40	153
195	إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا	41	155
196	وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟	45	156
197	أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا	8	158
198	وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ	19	160
199	وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ	20	160
200	وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ	21	160
201	وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ	22	160
202	وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا	31	162
203	ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا	32	162- 163
204	أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ	44	165

205	هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ	39	167
206	مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ	2	170
207	مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ	10	172–173
208	إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ	28	175
209	ٱسۡتِكۡبَارٗا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئُۚ	43	177
سورة يس			
210	سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ	58	58
سورة الصافات			
211	فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ	98	178
سورة ص			
212	يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِى ٱلۡأَرۡضِ	26	168
سورة الزمر			
213	وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ	27	16
214	وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ	3	141
سورة الشورى			
215	فَرِيقٞ فِى ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِى ٱلسَّعِيرِ	7	160
سورة الزخرف			
216	فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ	54	63
سورة الأحقاف			
217	قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ	4	138
سورة محمد			
218	وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ	30	92
سورة ق			
219	إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ	17	143

220	مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ	18	143
سورة الذاريات			
221	وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ	22	115– 156
222	وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	56	142
سورة الطور			
223	وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا	48	115
سورة النجم			
224	وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ	39	149
سورة الرحمن			
225	هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ	60	40
سورة الواقعة			
226	فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ	83	147
227	وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ	84	147
228	وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ	85	147
229	فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ	86	147
230	تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ	87	147
سورة المجادلة			
231	وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟	3	63
232	فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا	4	63
233	قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ	1	64
سورة الصف			
234	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ	10	162
235	تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ	11	162

سورة التغابن			
236	زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ	7	108
سورة الحاقة			
237	وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ	17	143
سورة المعارج			
238	وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ	32	58
سورة المدثر			
239	وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ	31	144
240	كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ	38	148
سورة النبأ			
241	يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ	38	114
سورة النازعات			
242	يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا	42	49
243	فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ	43	49
244	إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ	44	49
245	إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا	45	49
246	وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ	40	176
سورة عبس			
247	يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ	34	149
248	وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ	35	149
249	وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ	36	149
250	لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ	37	149
سورة الأعلى			
251	ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ	13	152

سورة البلد			
252	وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ	10	160
سورة الشمس			
253	قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا	9	17
254	وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا	10	17
سورة الضحى			
255	وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ	11	117

فهرس الأحاديث النبوية

	طرف الحديث	الصفحة
1	من لا يشكر الناس لا يشكر الله	ث
2	ما من مولود إلا يولد على الفطرة...	20
3	من رأى منكم منكرا فليغيره بيده...	23
4	كأيِّن تقرأ سورة الأحزاب؟	27
5	تقوى الله وحسن الخلق	33
6	لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل	34-124
7	لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله...	36
8	اعقلها وتوكل	36
9	أول ما خلق الله القلم وقال له: اكتب...	38
10	إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنا مَعَ عَبْدِي...	39
11	من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل	41-135
12	كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى...	41-64
13	قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت...	42
14	وَالَّذِي نَفْسِ بِيَدِهِ لَقَدْ أَشَرتَ عَلَيَّ فِيهِم بِالَّذِي أَمَرَنِي اللَّهُ بِهِ	44
15	اعلموا أنما الأرض لله ورسوله وأني أريد أن أجليكم من هذه الأرض...	45
16	اذهبا فبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا...	46
17	لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم	47
18	بعثت أنا والساعة كهاتين" وأشار بالسبابة والوسطى	49
19	كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟	50
20	فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون...	52
21	لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك	53
22	كلُّ أمتي يدخلون الجنّة إلا من أبى...	53
23	عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ...	56
24	عمي الذي سميت به لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدراً...	57
25	ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله	58
26	من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل...	58
27	كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون	62

28	لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له	62
29	ما أراك إلا قد حرمت عليه	64
30	ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد...	66
31	سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله...	66
32	من ادَّعي أباً في الإسلام غير أبيه...	66
33	إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما...	67
34	مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً...	67
35	يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً...	68
36	إن فيك جاهلية	73
37	أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق	75
38	تُخَيِّرُوا لِنُطَفِكُمْ، فَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ	76
39	خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني...	77
40	لما تزوج النبي ﷺ زينب، دخل القوم فطعموا...	79
41	يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر...	80
42	إن الله تعالى تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان...	85
43	إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق	86
44	ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله...	94
45	يقول الله: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي...	94
46	من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً	97
47	فقولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد...	97
48	...ولعن المصورين	99
49	من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب	99
50	الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه...	108-145
51	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر...	113-129
52	للشهيد عند الله ست خصال...	113
53	فأسجد لله فيدعني ما شاء الله أن يدعني...	114
54	وإن الله تعالى يحب أن يرى أثرُ نعمته على عبده	117

55	أفلا أكون عبدا شكوراً	118
56	قال الله تبارك وتعالى: أنفق ينفق عليك	119
57	ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان...	119
58	اتقوا النار ولو بشق تمرة	120
59	من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله...	122
60	اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي...	123
61	من أطاعني فقد أطاع الله...	123
62	دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا...	124
63	بل هو رجل، ولد عشرة، فسكن اليمن منهم ستة...	125
64	مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله...	128
65	دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة، وحول الكعبة ثلاث مائة وستون نصباً...	134
66	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار...	144
67	ألا لا يجني جان إلا على نفسه...	150
68	الكيِّس من دَانَ نفسه وعمل لما بعد الموت...	151
69	إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً...	156
70	فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع...	157
71	حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات	160
72	إن العلماء هم ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً...	162
73	هؤلاء كلهم بمنزله واحدة، وكلهم في الجنة	163
74	لله أرحم بعباده من هذه بولدها	170
75	يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني	171
76	إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر	171
77	لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه...	171
78	وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله	173
79	الله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله	175

فهرس الأعلام المترجم لهم

م.	الأعلام	الصفحة
1	ابن أبي أوفى	67
2	ابن أبي حاتم	155
3	الحسين بن الفضل	149
4	الكلبي	158
5	أبو قلابة	158
6	أنس بن النضر	57
7	أوس بن الصامت	64
8	زيد بن حارثة	65
9	سعد بن معاذ	43
10	سفيان بن عيينة	49
11	سيّد قطب	34
12	طلق بن حبيب	32
13	عبد الحميد الفراهيدي	14
14	عبد الله بن المبارك	39
15	عمر بن القاسم	158
16	عيينة بن حصن	37
17	معتب بن قشير	88

فهرس

المحتويات	الصفحة
الإهداء	ت
الشكر والتقدير	ث
المقدمة	1
أولاً: أهمية البحث	2
ثانياً: أسباب اختيار الموضوع	2
ثالثاً: أهداف البحث	2
رابعاً: الدراسات السابقة	3
خامساً: منهج البحث	3
سادساً: خطة البحث	4
التمهيد	
المطلب الأول: مفهوم المنهج	10
أولاً: مفهوم المنهج في اللغة	10
ثانياً: مفهوم المنهج اصطلاحاً	11
ثالثاً: الفرق بين الشرعة والمنهاج	11
المطلب الثاني: مفهوم الإصلاح	13
أولاً: الإصلاح في اللغة	13
ثانياً: مفهوم الإصلاح اصطلاحاً	13
ثالثاً: أهمية الإصلاح	15
رابعاً: قواعد الإصلاح	16
خامساً: مجالات الإصلاح	16
سادساً: ثمار الإصلاح	18
المطلب الثالث: مفهوم التغيير	19
أولاً: مفهوم التغيير لغةً	19
ثانياً: مفهوم التغيير اصطلاحاً	19

ورود لفظة التغيير ومشتقاتها في القرآن الكريم	19
رابعاً: وسائل التغيير	23
الفصل الأول: سورة الأحزاب ومنهجيات الإصلاح والتغيير فيها	
المبحث الأول: مدخل إلى سورة الأحزاب	
المطلب الأول: بين يدي السورة	27
أولاً: محور السورة	27
ثانياً: تسمية السورة	27
ثالثاً: عدد آيات السورة وترتيبها ونوعها	27
رابعاً: أهداف السورة موضوعاتها	27
خامساً: أسباب نزول السورة	28
المطلب الثاني: المناسبات في السورة	30
أولاً: مناسبة السورة لما قبلها (السجدة)	30
ثانياً: مناسبة السورة لما بعدها (سبأ)	30
ثالثاً: مناسبة محور السورة لمقدمتها وخاتمتها	30
رابعاً: مناسبة افتتاحية السورة لخاتمتها	31
المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير في السورة	
المطلب الأول: في الجانب العقدي	
المنهجية الأولى: دوام التقوى ارتقاء إيماني	32
المنهجية الثانية: وحدة العقيدة قوة أكيدة	34
المنهجية الثالثة: ما خاب من توكل على الله ﷻ	35
المنهجية الرابعة: الإيمان بقضاء الله وقدره تسليم وانقياد	37
المنهجية الخامسة: الاقتداء بالرسول طريق الوصول	39
المنهجية السادسة: الثواب لمن أطاع والعقاب لمن عصى	40
المنهجية السابعة: مبدع الشيء مالكه	42
المنهجية الثامنة: مهمة الأنبياء دعوة واصطفاء	45
المنهجية التاسعة: علم الغيوب عند علام الغيوب	48
المنهجية العاشرة: نار جهنم لمن ابتعد عن منهج الله ﷻ	50
المطلب الثاني: في الجانب التربوي والأخلاقي	
المنهجية الأولى: الولاية العامة للنبي ﷺ	52

المنهجية الثانية: زوجات الرسول ﷺ أمهات المؤمنين	54
المنهجية الثالثة: النصر حليف المؤمنين	55
المنهجية الرابعة: عهد المؤمنين مع الله	56
المنهجية الخامسة: إرشاد الأمة كشف للغمة	58
المنهجية السادسة: أمانة التكاليف وعظمة الثواب	60
المطلب الثالث: في الجانب التشريعي والسياسي	
المنهجية الأولى: تحريم ظاهرة الظهار	63
المنهجية الثانية: تحريم عادة التبني	65
المنهجية الثالثة: ثواب المحسنات من أمهات المؤمنين	68
المنهجية الرابعة: بقدر النعمة تكون النقمة	70
المنهجية الخامسة: طهارة آل البيت	72
المنهجية السادسة: حكم الطلاق قبل المساس	75
المنهجية السابعة: أحكام خاصة للنبي ﷺ في النكاح	76
المنهجية الثامنة: زر غبًّا تزدد حبًّا	78
المنهجية التاسعة: التزمي الحجاب تبلغي الأسباب	82
المطلب الرابع: في الجانب الدعوي	
المنهجية الأولى: لا جُناح في الخطأ ما لم يُتعمد	85
المنهجية الثانية: الدعوة إلى الله ميثاقه الغليظ	86
المنهجية الثالثة: المنافقون داء كل زمان	88
المنهجية الرابعة: أذكر الله يذكرك	93
المنهجية الخامسة: فضل الصلاة على النبي ﷺ	96
المنهجية السادسة: عقوبة من يؤذي الله ورسوله والمؤمنين	98
الفصل الثاني: سورة سبأ ومنهجيات الإصلاح والتغيير فيها	
المبحث الأول: مدخل إلى سورة سبأ	
المطلب الأول: بين يدي السورة	101
أولاً: محور السورة	101
ثانياً: تسمية السورة	101
ثالثاً: عدد آيات السورة وترتيبها ونوعها	101
رابعاً: أهداف السورة موضوعاتها	101

المطلب الثاني: المناسبات في السورة	103
أولاً: مناسبة السورة لما قبلها (الأحزاب)	103
ثانياً: مناسبة السورة لما بعدها (فاطر)	103
ثالثاً: مناسبة محور السورة لمقدمتها وخاتمتها	103
رابعاً: مناسبة افتتاحية السورة لخاتمتها	104
المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير في السورة	
المطلب الأول: في الجانب العقدي	
المنهجية الأولى: توحيد الله ﷻ	105
المنهجية الثانية: علم الله مطلق	106
المنهجية الثالثة: إنكار الساعة البعث والجزاء	108
المنهجية الرابعة: الشفاعة عند الله لمن أذن له	113
المنهجية الخامسة: الرزق والهدى من الله ﷻ	115
المطلب الثاني: في الجانب التربوي والأخلاقي	
المنهجية الأولى: وجوب شكر الله على نعمه	117
المنهجية الثانية: الترغيب في الإنفاق	119
المطلب الثالث: في الجانب التشريعي والسياسي	
المنهجية الأولى: وجوب طاعة الأمير	122
المنهجية الثانية: التغيير سنة الله في أرضه	124
المطلب الرابع: في الجانب الدعوي	
المنهجية الأولى: عالمية الرسالة الخالدة	128
المنهجية الثانية: التفكر والتدبر طريق الوصول إلى الحق	130
المنهجية الثالثة: الحق غالب	132
الفصل الثالث: سورة فاطر ومنهجيات الإصلاح والتغيير فيها	
المبحث الأول: مدخل إلى سورة فاطر	
المطلب الأول: بين يدي السورة	136
أولاً: محور السورة	136
ثانياً: تسمية السورة	136
ثالثاً: عدد آيات السورة وترتيبها ونوعها	136
رابعاً: أهداف السورة موضوعاتها	136

المطلب الثاني: المناسبات في السورة	138
أولاً: مناسبة السورة لما قبلها (سبأ)	138
ثانياً: مناسبة السورة لما بعدها (يس)	138
ثالثاً: مناسبة محور السورة لمقدمتها وخاتمتها	138
رابعاً: مناسبة افتتاحية السورة لخاتمتها	138
المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير في السورة	
المطلب الأول: في الجانب العقدي	
المنهجية الأولى: الخالق يستحق العبادة	140
المنهجية الثانية: الملائكة مكلّفة بمهام متنوعة	142
المنهجية الثالثة: البعث حقيقة واقعة لا محالة	144
المنهجية الرابعة: افتقار الخلق إلى الله	146
المنهجية الخامسة: لا تزر وازرة وزر أخرى	148
المنهجية السادسة: فريق في الجنة وفريق في السعير	151
المنهجية السابعة: قدرة الله مطلقة والآلهة الباطلة عاجزة	153
المنهجية الثامنة: الأجل مقدّر ومحتوم	156
المطلب الثاني: في الجانب التربوي والأخلاقي	
المنهجية الأولى: وسوسة الشيطان وأثرها	158
المنهجية الثانية: عدم تساوي الخير والشر	160
المنهجية الثالثة: التجارة الرابحة والميراث الشريف	162
المنهجية الرابعة: أخذ العبر والعظات من الأمم السابقة	164
المطلب الثالث: في الجانب التشريعي والسياسي	
منهجية: التكليف الرباني بالخلافة	167
المطلب الرابع: في الجانب الدعوي	
المنهجية الأولى: سعة رحمة الله ﷻ	170
المنهجية الثانية: من ابتغى العزة بغير الله ذل	172
المنهجية الثالثة: كلما ازددت علمًا ازددت خشية لله ﷻ	175
المنهجية الرابعة: لا يحيق المكر السيء إلا بأهله	177
الخاتمة	180
ملخص الرسالة	184

Abstract	185
قائمة المصادر والمراجع	186
فهرس الآيات القرآنية	202
فهرس الأحاديث النبوية	217
فهرس الأعلام المترجم لهم	220
فهرس المحتويات	221